

أحلام النخيل



أحلام النخيل

عبد العزيز عتيق

يطلب من :

مكتبة مصر

دار مصر للطباعة
٢٧ شارع كامل مدني - الجيزة

إهداء

إلى أول ثغر ابتسم لي . . . فابتسمت له . . !
إلى أول صوت طرق أذنى بترنيمة الطفولة في المهد . . !
إلى أول يد كشفت الغطاء عن بصرى وقالت :
انظر . . . !

هذه . . . هي السماء والنجوم ، والأنهار والجداول . . !
وتلك . . . هي المروج والحقول ، والشجر والنخيل . . !
وأولئك . . . هم الناس . . !

إلى الروح التي لم تعرف الفضول معى أبدا . . !
إلى النور الذي غمر نفسى وطهرها . . وأطلع فيها أزهار المحبة ، والتسامى . . ،
والمروءة ، والاستجابة . . إلى الحق والخير والجمال . . !
إلى الذات التي كانت كلما وجدتني مستغرقا بين النخيل في تأملاتي وخواطري . .
راحت تصلى لله جاهدة أن يشفينى من الشعر . . !

إلى الفاضلة « . . . »
همسة حنين وذكرى
ودمعة حب ووفاء
واغفرى لي . . . إن عزّ فيك
إلى اليوم الرثاء . . ! !

مقدمة

بقلم
عميد الأدب العربي الأستاذ الكبير
الدكتور طه حسين

هذه جنة من جنات الشعر ، وما أقلها ، بل ما أندرها في هذه الأيام التي حار فيها شبابنا بين شعر قديم لا يحسنونه ، وبين محاولة لشعر جديد لا يبلغون بها ما ينبغي أن يكون للشعر من أصالة تروع القارئ أو السامع ، وتسحرهما بما تنشي من صور ، وما تجلو من جمال في الألفاظ والمعاني والصور ، وسمو الخيال وطموحه وتعمقه للوضوح الذي يريد الشاعر أن يقول فيه !

ولست من الذين يتشددون في المحافظة على الأوزان والقوافي التي صاغ القدماء عليها شعرهم . ولست من المنكرين على الشاعر أن يكون حرا بأوسع معاني الحرية فيما يؤثر لنفسه من مذهب في إنشاء الشعر ؛ يلتزم مذهب القدماء إن شاء ، ومذهب أصحاب الموشحات إن أراد ، ويتكرر من المذاهب في الشعر ما يلائم طبعه وذوقه ومزاجه الفني .

لا أطلب منه إلا شيئا واحدا ، وهو أن يقرض على شعرا يروقي ، وتستريح إليه نفسي ، ويأنس إليه طبعي وذوقي . شعرا أحب أن أسمعه وأسمعه وأسمعه ، فلا أجد في ذلك شيئا من ملالة أو سآمة ، وإنما أراه دائما جديدا يطرقني كلما سمعته ؛ كأني أسمع لأول مرة مهما يكثر إنشاده أمامي أو قراءته علي .

فأصالة الشعر تقتضي هذه الخصلة . وأنت تستطيع أن تجعلها مقياسا تفرق به بين الشعر الجيد الرائع وبين الشعر الفاتر الرديء .

ونحن نقرأ شعر الفحول من العرب ومن أمم أخرى قديمة وحديثة ، فلا نمل

قراءته ، ولا يعرض لنا الزهد فيه . وإنما هو رائع دائماً قد غلب الزمان وأحداثه ، وقهر كل ما أتيج لذوق الإنسان من تطور .

فهو قديم بما يمضى عليه من الزمن ، وهو طريف لأصالته وبراعة منشئه في ابتكار صور لا تبلى ، وفن لا يقدر عليه الزمن .

وإذا استطاع شعراؤنا أن ينشثوا شعرا على هذا النحو فلا عليهم ولا على أن يلزموا سنن القدماء ، أو ينشثوا لأنفسهم ما يلائم أمزجتهم من الفن . لا أريد منهم إلا أن يكون قههم أصيلا جميلا بأعمق وأبقى ما يكون الجمال .

وصاحب هذا الديوان يدعونا إلى جنته هذه الرائعة الشائقة ، بل هو لا يدعونا إليها .. لأنه متواضع لا يعتد بنفسه ولا بفنه على أى نحو من الاعتداد .

ولو قد خلى بينه وبين ما يحب لاحتفظ بجنته هذه لنفسه ، يلم بها كلما دعاه طبعه إلى أن يلم بها . وهو لا يدخل دون أن يضيف إليها روعة إلى روعة ، وازدهارا إلى ازدهار .

ولولا الإلحاح عليه والتشدد في هذا الإلحاح لما عرف الناس أن له شعرا . ذلك أنه شديد الحياء ، قليل الرضى عن نفسه وعن فنه ، وما ينشئ من شعر أو نثر .

وقلة الرضى هذه هى آية الفن الأصيل حقاً . فالفن طموح دائماً ، لا يبلغ منزلة من الجودة إلا طمع في منزلة أرفع منها ، وسما إليها ريثما يبلغها ، ثم يطمح إلى منزلة أخرى أبعد منها سمواً ، وأرقى منها رقياً ..

وهو كذلك ساخط دائماً ، طامح إلى النكال دائماً ، لا يطمئن إلى شيء ولا يستريح إلى شيء . وويل لصاحب الفن إن اطمأن أو استراح .

وأنت تدخل هذه الجنة من الشعر فترى فيها أكثر ما ترى جمالا وإشراقا . ويخيل إليك وأنت تستمتع بجمالها وإشراقها أنك قد كنت تجد وتكد وتشقى بألوان العناء ، وتحمل أثقالا تشق عليك حتى تضنك ..

وأنت تمضي أمامك متعثراً . قد ضاقت عليك الدنيا ، وضاقت عليك نفسك . وإذا هذه الجنة تفجؤك على غير انتظار منك لها أو طمع منك فيها ، فلا تكاد تدخلها حتى تحس كأنك لم تجد . ولم تكد ، ولم تشق ، ولم تمضك الأحران ، ولم تثقلك الأعباء ، وإنما أنت ناعم البال راضى النفس ، قد أنسيت كل شيء إلا ما ترى .

وأنت تطوف في هذه الحديقة فترى فيها ما شاء الله أن ترى من شجر باسق في السماء ، وزهر نضر يملأ النفس بهجة ورضى . وربما مررت بمكان موحش قائم جدير أن تعرض عنه ، ولكنك مع ذلك تقبل عليه ؛ لأنك تحس أنه يصور إنساناً قد شقى كما كنت تشقى ، واحتمل أعباء ثقالاً أثقل من أعبائك تلك التي كنت تحملها والتي كانت تنوء بك .

وأنت ترثي لهذه النفس اليائسة البائسة التي أمضتها الخطوب وفرقتها الأحران فترثي لها وتعطف عليها ، ويجد قلبك شيئاً من رحمة . ولكنك لا ترثي لأحد ، ولا ترق لإنسان ، وإنما ترثي لنفسك وترق لها وترحمها من طول ماشقيت بأحداث الزمان ، ومن ثقل ما احتملت من أعبائه .

وقد تمر هنا أو هناك بزهرة قد مسها الذبول أو كاد ، فلا عليك من هذا الذبول . وأى جنة تستطيع أن تعصم كل أزهارها من عبث الزمان ، أو يستطيع صاحبها أن يعصمها من هذه الأحداث ؟

وأنت واجد في هذه الجنة فنونا من الجمال ؛ منها ما يعنف بك ويشق عليك حين يثور الشاعر بما في حياة البيئة التي يعيش فيها من آفات وآثام .

فشاعرنا ساخط على الأجنبي حين كان يحتل الوطن ويسيطر عليه ويستأثر بمنافعه . وساطط على المسرفين في الثراء المستأثرين بطيبات الحياة دون كثرة الشعب التي تشقى بآفات الثلاث : الجهل والبؤس والمرض .

وهو ساخط أحياناً على كثرة هذا الشعب لأنها تدعن لسلطان الأجنبي ، وتحضع لاستغلال المستغلين ، ولا تثور لتظفر بحريتها ، ولا تغضب لحقوقها المبهضوة ، وإنما هي قانعة لما فرض عليها من شقاء .

وشاعرنا من أجل ذلك مبهج كل الابتهاج، راض كل الرضى حين ثار
الشعب بالإنجليز، متعرضا في سبيل حريته لألوان الأذى وضروب المحن،
لا يحفل بذلك ولا يأبه له؛ لأنه قد عرف نفسه واندفع يطالب بكرامتها،
وعرف حقوقه واندفع يطالب بردها عليه.

وشاعرنا في هذه الظروف يرسل خياله على سجيته، فيهم في هذا الخيال
إلى أبعد مدى. وإذا هو يصور لنا انتصار القائد وعودته إلى الوطن مظفرا،
ومن ورائه الأسطول الذى كبح جماح العدو ونكل به تنكيلا.

وشاعرنا بعد هذا كله هائم بجمال الطبيعة، يصفها كما لم يصفها شاعر عربى
حديث. وهو محب لظل النخيل، بارع فى وصف الرياض، رائع حين يصف
البحر هادئا ومائجا.

والطبيعة عنده حية دائما، قوية دائما، تمتع بجمالها، وتمتع بهذا الحب الذى
يشيع فيها. فهو لا يستظل بالنخيل إلا مع حبيب أو ذكرى حبيب وشوق إليه.
وهو لا يلم بساحل البحر إلا أرسل نفسه على سجيته، فأحب البحر هائجا
مائجا، وأحبه هادئا مطمئا، ونعم بهذا الجمال الذى يمرح على الساحل فنون
المرح. وربما أقله مع حبيبته زورق يسعى على هذا البحر الهادئ المطمئن
الذى يفتن باتساع أفقه، وانطلاق النفس حرة إلى غير غاية، واستمتاعها
بالنعيم حرة إلى غير حد.

وشاعرنا عاشق لغناء الطير، يجد فيه روحا لنفسه، وشفاء لقلبه من آلام
البعد والهجر ولوعة الشوق وحرقة الفراق.

وأبرع ما يكون شاعرنا حين يصف جمال الطبيعة المصرية التى يشيع حبها
فى النفس والقلب فيملؤها حنانا ورضى وأملا.

وفته فى كل ما طرق من الموضوعات حر طليق، يألف التزام الوزن

والقافية كما كان القدماء يفعلون . ويألف التحرر من قيود القافية فيتنقل بين
القوافي في غير مشقة ولا عناء ولا تكلف .

وأنت تنتقل معه بين هذه القوافي والأوزان التي تطول حيناً وتقصّر حيناً،
وتخف مرة وتعنف أخرى دون أن تجد في ذلك إلا راحة ودعة ورضى .

وكذلك يمضي الشاعر في ديوانه كله على اختلاف فنونه ، لا تحس فيه
صنعة ، ولا تجد فيه مشقة ، وإنما تسيغه للقراءة الأولى فيملاً نفسك جمالاً وسحراً .

وأشهد أني قد قرأته مرات فلم أشعر بأنني قد قرأت شيئاً كنت قد قرأته
من قبل ، وإنما شعرت دائماً بالجدة والطراقة وخفة الروح ، وعذوبة الشعر .

وما أشك في أني سأقرؤه إن شاء الله وأقرؤه ، وأستمتع بقراءاته كلها ، كما
استمتعت بقراءته من قبل .

وأنا أتمنى على الشاعر ألا يزهد في فنه أو يعرض عنه ، مهما تكن الأحداث
والخطوب والظروف ؛ فشعره لا يحسن إليه وحده ، وإنما يحسن إلى
قرائه جميعاً .

طه مـين

تقدير

الاعتراف بالجميل يستأدني في مستهل هذه الكلمة أن أزجي أصدق الشكر إلى أستاذنا الكبير الدكتور طه حسين .

فعندما أعددت هذا الديوان للطبع ، سألته عما إذا كان وقته يتسع لإلقاء نظرة عليه . وعلى الرغم من نشاطه العلمي والأدبي الذي يكاد يستبد بكل وقته ، لم أجد منه إلا كل ترحيب .

ثم كانت المفاجأة . . . المفاجأة السعيدة لي ! فأستاذنا الكبير لم يلق نظرة على الديوان فحسب ، وإنما قرأه ، ثم تفضل مشكورا بتدوين انطباعاته عنه في تلك المقدمة القيمة التي أثبتتها في صدر الديوان معترزا بها .

ولست هذه أولى أياديه علي- ، فالواقع أني مدين لأستاذنا الدكتور طه حسين بأفضال وعوارف كثيرة . وحسبي أنه هو الذي التقطني من غمار الحياة كما التقط كثيرين غيري ، وأتاح لهم ولي فرصة الاستزادة من العلم والمعرفة .

وإني لأتهز هذه المناسبة فأعرب له عن مدى حبي وتقديري واعترافي بما أسدى إلي من فضل لا يزال متصلا سابغا . ولا عجب . . . فهو كما أوحى إلي الشعر فيه :

أُرِيحِيَّ عِلْمَ النَّاسِ
.. فنون الأُرِيحِيَّة ؟

ثم أنتقل إلى الديوان . . .

ومن قبل ظهر لي ديوانان : « ديوان عتيق » و « أحلام النخيل » . صدر الأول في مستهل عام ١٩٣٢ ، والثاني في مستهل عام ١٩٣٥ ، وكلاهما نفدت طبعته منذ سنوات .

ويسعدني أن أقدم اليوم إلى القراء الجزء الثاني من « أحلام النخيل » . وهذا الديوان الجديد يضم ما أمكن نشره مما نظمت من شعر بعد عام ١٩٣٥ . وقد أضفت إلى ذلك مختارات من « ديوان عتيق » ومن الجزء الأول من « أحلام النخيل » ؛ ليستطيع من شاء أن يتبع أسلوب الشاعر وتجاربه ومجالات فنه على اختلاف مراحل عمره الشعري ، وأن يخرج بصورة متكاملة عن ذلك .

وكدت أن أسمى هذا الديوان الجديد « بين الضجيج » ، لأنني نظمت شعره بين ضجيج الحياة وصخبها ! ثم كدت أن أسميه « روضة الشعر » ، كما اقترح أستاذنا الدكتور طه حسين بعد قراءته له .

وأخيرا رأيتني مندفعاً لاشعورياً إلى تسميته « أحلام النخيل » ، كسابقه . فما سر الإصرار اللاشعوري على هذه التسمية ؟

لعل ذلك للدور الذي كان النخيل ، ولا يزال ، يلعبه في حياة الشاعر الفنية . فأحلام النخيل ليس اسماً عصرياً مبتكراً ، وإنما هو اسم أوحى النخيل به إلى الشاعر فيما أوحى .

وقصة ذلك أن في قرية الشاعر روضاً باهراً من النخيل ، لعله كان بأشجاره السامقة المشرّبة إلى السماء أول تعبير جميل من تعابير الأرض تفتحت عيناه عليه !

في كتف هذا النخيل المتوج المشوق درج الشاعر طفلاً وصبياً وشاباً ، فامتلات نفسه به ، واصطبغ خياله بظلاله ! أجل كان هذا الروض النخيلي ملعب حدائثه ومستودع ذكرياته : يغيب عنه ما يغيب فتظل صورة النخيل ماثلة أمامه في كل مشهد ، وتظل همساته وظلاله وأطيافه سارية في أطواء نفسه . . . وكان كلما زار قريته أسرع إليه دون غيره مشوقاً مفتوناً ، وإن قلبه ليكاد يقفز من مكانه ليعانق النخيل جملة وتفصيلاً . . . !

ثم لا يكاد يخطو في مسالكه ، ويتلفت يمينا وشمالاً حتى تنثال على خاطره ذكريات الطفولة والشباب ، وأحلام الطفولة والشباب ! وإذا النخيل يستوعبه

ويستغرقه ثم يملئ عليه ! فهو إن لم ينظم تحت كل نخلة قصيدة ، فقد نظم جزءا
من قصيدة أو فكر تفكيرا شعريا على الأقل . . . !

وكم من مرة اختلف الشاعر إلى روضه النخيل فاقد النفس ، شارد الخيال !
وكم من مرة أوى إليه وفي نفسه عتب على الحياة والناس ! وما هو إلا أن يستروح
نسائه ويتفيا ظلاله ، ويصغى إلى شدة طيوره وخرير مياهه ، حتى يجد فيه نفسه
ويواتيه خياله !

ثم إذا هو يترنم بألحان جديدة ! وكأنى بكل قصيدة نظمها في ظلال الروض
وتحت سمائه حلم من أحلام النخيل المتصوف همس إليه به فترجمه إلى الحياة
والناس شعرا . . . !

حتى في غربة الشاعر في الخارج . . . كان هذا النخيل لا يكاد يبارح مخيلته
أو يغيب عن عينيه ! وما أكثر ما كان يفرع إليه بخياله ، فيعيش فيه ، ويستلمه
ويستوحيه . . . !

وبعد . . . فلم يبق إلا أن أخلى بين القراء وبين الجزء الثاني من « أحلام
النخيل » ؛ ففيه غنيت لهم ولنفسى على أوتار مختلفة . فإن لم يجدوا فيه جديدا ...
فحسبى أنى قد غنيت لنفسي بأشجانها ومواجعها ، وأشواقها وأحلامها . . . !!

عبد العزيز عتيق

القاهرة : ٩ يناير ١٩٦٠



اليوم المنتظر...

« أيها الأشبال . . .
حينما يأتى هذا اليوم
وهو آت لا محالة فاذكروني ... ! »

فكرة هذه القصيدة فكرة مثالية . .

إنها ترمى إلى تصوير الأشواق الوطنية الحبيسة ، وإثارة العزة القومية ، وتمجيد البطولة ، وتحبيبها إلى النفوس . كذلك ترمى إلى نقل المستحيل إلى درجة الإمكان ، وانطلاق البشرية المعذبة من قيود العبودية لحظة . . . للتمتع بأفراح الحرية وأعيادها

هى تصوير اليوم المنتظر لكل أمة مُنيت بالاستعمار . . .

على ضوءه ترى كيف يكون النصر والتحرر فى مقدورها وطاقاتها . . . إذا توفرت على استكمال كل ما ينقصها من مظاهر القوة ، وأسباب الحياة

وإلى موسيقى بلدية ميت غمر يرجع الفضل فى ميلاد هذه الفكرة الشعرية . . .
كان ذلك صبيحة أحد أيام الخريف عام ١٩٣٠ . فبينما كنت أسير فى شارع البحر مستغرقا فى جمال الطبيعة من حولى ، طرقت أذننى ألحانٌ عذبة مؤثرة . وتلقتُ . فإذا موسيقى البلدية أمامى تسير عازقة

وقد استخفنتنى هذه الألحانُ ممتزجةً بمعانى الطبيعة النابضة فى الريف . فرُحْتُ أتبعها حتى نهاية شوطها . . . وكنت من شدة التأثير أسأل نفسى فى أسف عميق :

متى نرى الموسيقى المصرية تعزف أمام الجيش ، وقد عاد منتصرا . . ؟
متى نراها تطوف أمامه الشوارع ، والشعب محتشد على الجانبين ، يحى ويهتف ،
وينثر الورود فى طريق القائد والجنود . . . ؟
متى تبصر أعيننا أعلام الحرية مرفوعة ، وأفراحها منصوبة . . ؟

ثم شاءت السوانحُ السعيدة بعد إتمام دراستى ، أن أعمل فى مدينة ميت غمر ،
وأن أمضى بها أعواما ثلاثة ، مرت بى كالأحلام فى سرعتها وعجائب مشاهداتها . .
فى هذه الأعوام السعيدة كنت لا أكاد أرى هذه الموسيقى حتى أخف لسماعها
والسير فى صحبتها ، فلا تزداد الفكرة القديمة عندى إلا تشعباً ووضوحاً . . .
ثم أخذت الفكرة بعد اكتمالها تُلحّ علىّ فى تصويرها ، ولهذا نظمت القصيدة
التالية صيف عام ١٩٣٥ فى أربع جلسات متعاقبات تحت ظلال النخيل فى قرينتنا . .
فإلى فرقة موسيقى البلدية بميت غمر . . . أهدى هذه القصيدة ، اعترافاً بأثرها
فيها ، وذكرى للأيام الذهبية التى قضيتها بين أكناف مدينة ميت غمر ، وتحت
سمائها الضحوك . . . !

« الجماهير محتشدة في ميدان واسع أمام دار
إحدى الجرائد اليومية انتظارا لأخبار
المركة الفاصلة ، وقد غشى الواقفين الفرع »

نَفَرَ القَوْمُ فِي الظَّهيرة والحَرِّ مُجوعًا تَسْتَطْلِعُ الْأَخْبَارَا
نَفَرَ القَوْمُ فِي المدينة كَالسَّيِّلِ أُلُوفًا ، تَكَادُ تَقْنَى انتظَارَا
نَفَرَ القَوْمُ للجرائد حتى مَلَأُوا دُورَهَا ، وزادوا انتشارَا
وقفوا عندها — كما يقف المَظْدُ لَوْمٌ فِي ساحة القضاء — حَيَارَى !
مِنْ رِجَالٍ ، وَفِتْيَةٍ ، وَشَبَابٍ وَكَهولٍ ، وَنِسْوَةٍ ، وَعَذَارَى
لا ترى غيرَ أعينِ شاخصاتٍ ووجوهٍ قد ارتدين اصفرارا
وَكَأَنَّ الذَّهولَ غَشَى عليهم وَكَأَنَّ الفناءَ يمشى جهارا
لحظةً أَبْطَأَتْ ودَوَّى نَدَايُ : أبشروا... إِنَّا انتصرنا انتصارا !
لحظةً بَعْدَهَا تحرر شعبٌ واستحق الحياة والإكبارا
فإذا بالفناء عاد حياة وإذا بالسكون أضحى انفجارا
الزغاريدُ ، والمهتافُ يوم الذِّصْر ، والرقصُ والعناقُ ابتدارا
ودوئُ المدافع الصاعدُ الجَوِّ وخُضْرُ الأعلام تعلو الديارا
آيةٌ للخلاص من رِبْقَةِ الأَسْرِ رِوَرْمَزُ لَمَّا كَسَبْنَا اقتدارا

استقبال الأساطيل

رَحَّبَ الشَّاطِئُ بِالمُسْتَقْبِلِينَ حينما خَفُّوا إِلَيْهِ مَسْرِعِينَ
 نَزَلُوا فِي ظِلِّهِ وَاحْتَشَدُوا أُمَمًا تَسْتَقْبِلُ الْفَتْحَ الْمُبِينِ
 أُمَمًا لَمْ تَطْعَمْ النُّصْرَ ، وَلَمْ تَسْتَسْفِهْ مِنْذُ آلاَفِ السَّنِينَ
 وَدُمُوعُ النُّشُوءِ الْكُبْرَى جَرَتْ حينما لاحت على البعد السفين
 تَمَخَّرُ الِيمُّ ، وَفِي أَجْفَانِهَا نُشُوءُ النُّصْرَ ، تَبَدَّتْ لِلْعِيُونِ
 تَمَخَّرُ الِيمُّ ، وَفِي خَطَرِهَا أَثَرُ الْإِعْيَاءِ ، يَخْفَى وَيَبِينُ
 تَمَخَّرُ الِيمُّ ، فَيَحْدُو رَكَبَهَا أَمَلُ الشَّعْبِ وَجَبْرِيلُ الْأَمِينِ
 وَإِذَا الْأَعْلَامُ فِيهَا خَفَقَتْ خَفَقَ الْقَلْبُ لَهَا خَفَقَ الْحَنِينِ
 هَلَّلَ الْمِينَاءُ لَمَّا عَانَقَتْ مَوْجَهُ الرَّاqَصَ ، مِثْلَ الرَّاqَصِينَ
 فَإِذَا الشُّطَّانُ مَادَتْ طَرْبًا وَإِذَا النَّاسُ عَلَيْهَا يَهْتَفُونَ
 وَإِذَا الْبَحْرُ جَوَارٍ خَرَجَتْ تَحْمِلُ الشَّعْبَ ، يُحْيِي الظَّافِرِينَ

أَيُّهَا الْمَرْتَابُ فِيمَا سَمِعْتَ أَذْنَاكَ الْآنَ ، دَعِ عَنْكَ الظَّنُونَ
 هَلْ رَأَيْتَ الْحَشَرَ يَطْفَى سَيْلُهُ أَوْ رَأَيْتَ النَّاسَ فِيهِ يَنْسِلُونَ ؟
 أَيْنَ يَوْمُ الْحَشْرِ مِنْ هَذَا الَّذِي قَدْ بَنَى الْآبَاءُ فِيهِ لِلْبَنِينَ ؟ !

في نزول القائد والجيش

مرحباً بالقائد المنتصر مرحباً بالجيش ربّ الظفر
انزلوا الوادي وحيثوا وطناً قد درأتم عنه سيلَ الخطر
ليس ينسى ما أتيتم أبدأً من كفاح فوق ذرع البشر
قد رفعت علم الوادي ، وكم نكسته قسوة المستعمر !
فانعموا اليوم وطيبوا سَكناً في رُبا الوادي البهيج المنظر
فما نلتُم ضربتم للـورى مثلاً يبقى بقاء الأعصر !

على جانبي الطريق

وسالت على الجانبين الوفود قياماً ترجع عذب النشيد
تصفق للقائد الألمي وتهتف من خلفه للجنود
وترقص في نشوة المستقل وتنثر فوق الطريق الورود
وترفع بالدعوات الأكف وتحقق فوق الرؤوس البُود
ويعبث بالناس عزف النحاس فتسمع منهم زئير الأسود

وتَهْتَزُّ مِنْ صَوْتِهَا الْأَرْضُ حَتَّى تَكَادُ بِأَوْتَادِهَا أَنْ تَمِيدَ
وَيَطْفَأُ السَّرُورُ لِمَرَأَى السَّرُورِ فَيَنْتَثِرُ الدَّمْعُ فَوْقَ الْخُدُودِ

فِيَا مَوْكِبَا لِمَ يُتَحَّجَّ لِلْمُلُوكِ وَلَمْ يَحْظَ قَطْرُهُ فِي الْوُجُودِ
إِلَى الْخَالِدِ سِرٌّ فِي ضَمَانِ السَّمَاءِ فَأَنْتَ حَرِيٌّ بِهَذَا الْخُلُودِ
دَفَعْتَ عَنِ الْوَطَنِ الْعَادِيَاتِ وَذُدْتَ عَنِ الْأَهْلِ رِقَّ الْعَبِيدِ
فَأَحْيَيْتَ شَعْبَكَ بَعْدَ الْمَوَاتِ وَأَرْضَيْتَ بَيْنَ الْقُبُورِ الْجُدُودِ !

٥

صلاة القائد

حَبِّذَا أَنْتَ يَا نَسِيمَ بِلَادِي حَبِّذَا أَنْتَ مُنْعَشَا لِفُؤَادِي
حَبِّذَا الصَّبْحُ فِي الْمَرْجِ ضُحُوكَا وَالنَّدى حَالِمًا عَلَى الْأَعْوَادِ
حَبِّذَا النَّهْرُ وَهُوَ مُخَضَّضُ الشُّطِّ وَأَحْبَبُ بِمَاءِهِ فِي أَطْرَادِ
حَبِّذَا الْأَهْلُ فِي الْمَدِينَةِ يَمْشُو ن ، وَهُمْ بَيْنَ رَائِحٍ أَوْ غَادِ
كَمْ تَمَثَّلَتْهُمْ رُؤَى فِي دُجَى اللَّيْلِ ل ، فَكَانُوا عَلَى النَّوَى خَيْرَ زَادِ

يَا بِلَادِي : الْآنَ قَدْ وَضَحَ الْحَقُّ وَدِنَا أَعْدَاءَنَا يَا بِلَادِي !
كُنْتُ بِالْأَمْسِ مُلْجَأً مُسْتَبَاحًا لِلْكَسَالَى مِنْ كُلِّ صُقْعٍ وَوَادِ

كنتِ بالأمنِ كعبةً للمصلينِ كن ، فردُّوكِ بؤرةً للفسادِ !
كم أثاروا الخلافَ ناراً تلظى بين أبنائكِ الضعافِ الشَّدادِ
كم ليالٍ بَتنا على الضَّيمِ فيها وطعِمتنا الأسى ، وشوكَ القتادِ
كم أسودِ ضحَّوًّا بهم ، كم نفوسِ أسلموها إلى يدِ الجَلادِ
رُبَّ أمرٍ لخيرنا حبسونا عنه كرهاً ، في قسوةٍ واضطهادِ
وشماعٍ من الرجاءِ تبدَّي فأحالوه قطعةً من سوادِ
كلما ساعَ مَوْرِدٌ بعدَ يأسٍ زاحمونا عليه ، مثلَ الجرادِ !

وتجلتْ عنايةُ الله للشعبِ ب فهِبَتْ بطولةُ الأُمجادِ
فإذا بالجيوشِ ترحف كاليلِ ل وتغشى منازلَ الآسادِ
فأرينا الأعداءَ ما لم يروه أبداً من بسالةِ وجلادِ
وانتزعنا النصرَ المبينَ اقتداراً وتركنا قُلُوبَهم للبوادِ !

يا بلادي : اليومَ فاستقبلي النورَ ر ، وعيشي طليقةً ، يا بلادي
لم يَعدْ فيكِ مَأمَلٌ للألى كما نوا يعيشون عيشةَ الأوغادِ
لم يَعدْ فيكِ مَأربٌ للألى كما نوا يظنون أننا كالجمادِ

فانعمى اليوم بالسيادة ، وامضى فى طريق الآباء والأجداد
فلكِ الملكُ فائقا كل مُلك ولكِ الأمرُ نافذاً فى العباد
لكِ حُبِّي على المدى وصِلَاتِي لكِ سَمِي ، وعُدَّتِي وعَتَادِي

٦

أيها المصريون

ليس هذا اليومُ إلا يومكم فى خيال الشاعر المرتجلِ
فاجمعوا الأمرَ ، ونادوا قومكم واخلموا عنكم رداء الكسلِ

ذلك القائدُ رمزٌ ومِثال للذى يظهر منكم فى غدِ
فلتكونوه جميعاً يا رجال ليرى التاريخُ ما لم يشهدِ

ليس بين الشعبِ والمجدِ سوى أن تشبُّوها لظى تستعُرُ
ثورةٌ فى ظلِّها الأمنُ انطوى فإذا الشعبُ بها ينتصرُ !

قد سئمنا العيشَ فى جوف الظلام فألى النور اقصِدوا كي نستفيقُ
وانسُوا الأحقادَ ، وادعوا للوثام مَنْ يطيق العيشَ ذُلًّا؟ مَنْ يطيقُ؟

كلما سِرْتُ فأبصرتُ الدخيلُ نافذَ السلطانِ ، يدعو فيجانبُ !
جاشتِ النفسُ ، وغشَّاني الدهولُ وسرى الخزيُّ لقاى كالحرابُ !!

لا تقولوا : الموتُ ، فالموتُ حياةٌ للذى يغضبُ يوماً لبلاده
والذى إن راح يرميها الرُّماةُ يتلقى الطمنَ عنها في فؤاده

يا بلادى ، لكِ عزمى أيّداً وجهادى بين شقّى قلمى . .
يا بلادى ، لن تهونى أبداً أنا أفديك بروحى ودى !

إلى الغرب

أيها الغرب عذب الشرق عذب أضرم النار بيننا والدخانا
وتحكم في أهله وتجز وتقنن في قهره طغيانا
واحشد البر والبحار جنوداً وإذا اسطعت ، فاملاً الجوجانا
ليس تهديدكم لنا بمخيف لا ، ولا عسفكم لنا أوهانا
إنه الحق ، سوف ندفع عنه كل باغ يسومهُ العدوانا

أيها المستقل دعني وشأني واقصر اللوم ، إن قدرت ، الآنا
أيها المستقل أنت طليق لا تبالي بكائن من كانا
لا تلني إذا غضبت لحقي ما ألفنا الإنسان يبقئ مهانا
أيها المستقل حسبك ألا تصحب الذل أو تذوق الهوانا

* القاهرة : عام ١٩٣٠ .

الغرب والشرق

قل لهذا الغرب : يا غربُ إلاما
كم بريف القول أشقيت الورى
قد هبطت الشرق داءً مُعضلاً
فإلام العسفُ والغدرُ بنا ؟
الخداعُ المحضُ قد حلَّته
أشخوصُ نحن ، أم قومٌ لنا
لا تحدّثُ عنكَ قوما عرفوا
أو تلوّحُ بالكاذيب فما
كلما طفت بواد آمن . . .

تعشق الجورَ وتهوى الانقسام ؟
وبمحض الكيد آذيت السلام
لم يفت شيخاً ، ولم يرحم غلاما
وعلام اليوم حرمت الكلام ؟
والكفاحُ الحقُّ قد أمسى حراما !
مطلبٌ قامت له الدنيا قياما ؟
أنك الخطبُ الذى غشى الأنا
أدومَ الدلّ ، إذا ما القيدُ داما
طار عنه الأمنُ ، والخوفُ أقاما !

يا ذئاب الغرب قد ضقنا بكم
ما عليكم - لا جنيتم مطعما -
أعلى الله أخذتم موثقاً

وسئنا وجهكم عاماً فعاما !
يا ذوى الأطماع أن تحيوا كراما ؟
أن تسوسوا الناس ظلماً واحتكاماً ؟

* القاهرة : عام ١٩٣٢ .

ذلك الشرقُ الذي يُبغضكم أقسم اليوم على ألا ينسأما
ذلك الشرقُ الذي جازَ المدى يوم هَمَّتْ بالخرافات هُياما
هَبَّ يَسْعَى مُستعيداً مجده لن يَمَلَّ السعى ، أو يلقى الجأما
فاتقوا الشرقَ ، وخافوا بطشه إنَّ « سعاداً » أيقظ الشرقَ وناما

الشهيد . . . !

جرت حوادث هذه القصيدة عام ١٩٢٤ ، ليلة الغطاس ،
وقد خرجنا من الأزهر في مظاهرة كبرى ، حيث الشوارع مظلمة ،
ومصاييحها محطمة !

ولم تكد المظاهرة تشق طريقها في شارع الغورية حتى أطبق
عليها جنود الإنجليز الغاشمون بأسلحتهم من بوابة المتولى وعند
ملتقى شارع الموسيقى بشارع الغورية .

كانت المعركة رهيبة بين الوطنيين والأعداء ، وفيها لقي
نداء الوطن والواجب كثيرون من شباب مصر الوطنى الناصر .

هذه الأحداث شهدتها صبياء ، ثم سجلتها في مدينة

ميت غمر عام ١٩٣٣ .

في ليلة الهول ، والأحداث تلتطم	والشر يعصف بالوادي ويحترق
في ليلة الهول ، والثوار قد وثبوا	كالأسد تنشب أظفاراً وتلتهم
في ليلة الهول ، والثوار قد نفرّوا	إلى المنايا ، وقد أضراهم الغشم
في ليلة الهول ، والأنوار مطفأة	من الشوارع ، والأفواج تصطدم
والغدر في مهج الأعداء مشتعل	والباس في أوجه الثوار مرتسم
في هذه الليلة الليلاء ، كان فتى	يسعى إلى مثل تحيا به الهمم

يسمى إلى الموت مجنوناً كأن به
وكان من خلفه قلبان كم خفقا
قلبان . قلب أبٍ يخشى فجيعته
فكلما سمعا الأصوات صاحبة
وكلما أبصرا قتلى ومجزرة
شوقاً إلى دمٍ جلاديه يضطرم !
دُعراً ، إذا ما طغى البركان والحُم
وقلب أمٍّ عليه كاد ينحطم
شبت بصدريهما النيران والضرَم
صاحا فقدناه ! يا للموت يحترم !

في ليلة الهول ، والأحداث تلتطم
والثائرون لهم في الأرض ألوية
عاد الفتى تحت جُنج الليل منطلقاً
فاستقبلاه على شوقٍ لطلعته
وعاتباه ، ولكن في مُخاشنة
« وكيف تسعى إلى الحرب التي اشتجرت
تهاك تنهاك أن ترضى فجيعتنا
والشرُّ يعصفُ بالوادي ويحتدم
من جُندها الحق والإيمان والشم !
يسعى إلى أبويه وهو مُلتئم
وقبلاً وجهه ، والدمع ينسجم !
أن يتبع الغي ، وهو العاقل الفهم
وليس فيها لنا خيلٌ ولا نعم ؟
وارجع - هُدَيْتَ - فإن الحرب تنتقم »

قد عاتباه ، ولكن ياله عتبا
فصاح مما به : رَبَّاهُ معذرة
القاعدين عن الحق الذي سلبوا
أَمْضُهُ ، فعراه السُّخْطُ والبرَم !
إلى سلائل فرعون الألى أئعوا
والناعمين عن المجد الذي هدموا

أَمَا كُنِيَ أَنْكُمْ دِنْتُمْ لِقَاهِرِكُمْ
أَمَا كُنِيَ أَنَّهُ أَمْسَى بِفَضْلِكُمْ
مَاذَا تَرَكْتُمْ لَنَا نَرْعَاهُ بَعْدَكُمْ ؟
يَسُودُ فِي الدَّارِ مَنْ لَا حَقَّ يَسْنَدُهُ
وَكَيْفَ جِئْتُمْ بِنَا لِلْكَوْنِ نَعْمَرُهُ
أَيْنَا وَارثُو الْمَجْدِ الَّذِي خَضَعْتَ
أَمْ إِنَّا وَارثُو الْمَجْدِ الَّذِي صَدَعْتَ
إِنَّا لِيَحْزَنُنَا الْأَحْرَارُ قَدْ سَعِدُوا
وَإِنَّ مِمَّا تَقَاسِيهِ ، وَيُوجَعُنَا
لِيَحْيَ «سَعْدٌ» رَجَاءُ الشَّرْقِ أَجْمَعِهِ
الْبَاعِثُ النَّهْضَةَ الْكُبْرَى ، وَخَالَقَهَا
فَلْيَشْهَدْ الْحَقُّ ، وَالتَّارِيخُ نَهْضَتَنَا

هَذِي السَّنِينَ ، وَلَمْ تَحْزَوْا ، فَتَنْتَقِمُوا ؟
يَعِثُ فِي ذَلِكَ الْوَادِي ، وَيَحْتَكِمُ ؟
الْدَّارُ ؟ كَيْفَ وَفِيهَا الْحَقُّ مُهْتَضَمُ ؟
وَنَحْنُ ، أَبْنَاءُهَا ، مِنْ حَوْلِهِمْ خَدَمُ !
مَقِيدِينَ ؟ وَكَمْ فِي الْقَيْدِ مَا يَصِمُ ؟ !
لَهُ الْمَشَارِقُ ، وَالْأَفْطَارُ ، وَالْأَنَمُ ؟
أَيْدِيكُمْ صَرْحَهُ ؟ يَا قَوْمُ وَبِحَكْمِ !
بِالْعَيْشِ صَفْوَاً ، وَلَمْ نَنْعَمْ كَمَا نَعْمُوا
أَنْ قَدْ وَثِقْتُمْ بِمَنْ لَيْسَتْ لَهُمْ ذِمَّةُ !
لِيَحْيَ هَذَا الزَّعِيمُ الْمَفْرَدُ الْعَلَمُ
وَالْمَوْقِفُ الْأَسَدُ قَدْ ضَاقَتْ بِهَا الْأَجْمُ
وَالْيَشْهَدُ الدَّمُ وَالْأَسْلَاءُ وَالرَّمُ !

فِي لَيْلَةِ الْهَوْلِ ، وَالْأَحْدَاتُ تَلْتَطِمُ
فِي لَيْلَةِ الْهَوْلِ ، وَالْأَنْوَارُ مَطْفَأَةٌ
كُنَّا نَخُوضُ إِلَى الْأَعْدَاءِ مُعْتَرِكَا
كُنَّا نُبَاغْتِهِمْ فِي حَيْثَا كَمْنُوا
وَالشَّرُّ يَعْصِفُ بِالْوَادِي وَيَحْتَدِمُ
مِنْ الشَّوَارِعِ ، وَالْأَفْوَاجُ تَصْطَدِمُ
نَرْمِي وَنُرْمَى بِهِ وَالْبَأْسُ مُحْتَدِمُ
كُنَّا نَشُدُّ عَلَيْهِمْ كُلَّمَا هَجَمُوا !

وكان هذا الفتى المقدام مندفعاً
يخطو إلى حتفه ، لا شيء يُرهِّبه
فصاح والموتُ يغشاه ويُرَّعه :
أموتُ وليجى مَنْ عاشوا ومن سبقوا
يخطو إلى حتفه ، جذلانَ يتسمُّ
حتى وهى ، فرماه الفاتكُ العَرِمُ
أموتُ ، وليبق هذا النيلُ والمهرمُ !
«ولتجى مصرُ» و«يحيا سعدُ» والعلمُ !

إلى المستعمرين*

مُسْتَرَقِّ الشُّعُوبِ يَا ظَالِمِيهَا حَدِّثُونَا : إِلَى مَتَى تَظْلَمُونَا ؟
خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ الْكَوْنَ حُرًّا فَلِمَذَا عِبَادَهُ تَأْسِرُونَا ؟
أَتَحَدُّ لِقُدْرَةِ اللَّهِ جَلَّتْ إِذْ عَثَوْتُمْ فِي مَلِكِهِ مَفْسِدِينَا ؟
يَا يَدَ الشَّعْبِ دَاعِبِيهِمْ رَوِيدًا فَعَسَاهُمْ ، لَوْ دُوعِبُوا ، يَعْدِلُونَا !

مُسْتَرَقِّ الشُّعُوبِ : فِي مِصْرَ شَعْبُ يَأْنَفُ الرُّقَّ ، وَالْخُدَاعَ الْمُهِينَا
يُرْخِصُ النَّفْسَ أَنْ تَذِلَّ لَضِيْمٍ يُنْكِرُ الْكَوْنَ أَنْ يَعِيشَ سَجِينَا
فَاعْجُمُوا عُودَهُ ، إِذَا التَّبَسَّ الْأَمْرُ رُ ، فَخَاشَى لِعُودِهِ أَنْ يَلِينَا !

يَا شَبَابَ الْبِلَادِ أَحْيَيْتُمُوهَا وَأَيِّتُمْ عَلَى الْمَدَى أَنْ تَهُونَا
كُلَّ يَوْمٍ لَكُمْ مَوَاقِفُ صَدَقٍ تَمَلُّ الْأَرْضَ رَوْعَةً وَقُتُونَا
أَرْسِلُوهَا فِي قُوَّةٍ وَإِبَاءٍ صِيحَةً تُرْهَبُ الْأَلَدُ الْخُتُونَا
عَلِّمُوهُ كَيْفَ احْتِرَامُ الْأَمَانِي أَشْعِرُوهُ بِأَنَّنَا لَنْ نَدِينَا !
قَدْ سَمْنَا « حَسَنَ التَّفَاهِمِ » مِنْهُ فَلْيَكُنْ سُوءُهُ لَنَا الْيَوْمَ دِينَا !

* القاهرة : عام ١٩٣٣ . وقد نظمت ردا على بعض سياسة مصر وقتذاك ممن كانوا يتادون
بسياسة « حسن التفاهم » مع الإنجليز .

مصرع النسرين*

« ما الطائران المصريان الشهيدان فؤاد
حجاج وشهدى دوس ، وهذه القصيدة
قيمت يوم الاحتفال بدفن رفاتيهما »

خلَّ البكاء بموكب الشهداء	إنَّ البكاء مطيئةُ الضعفاء
الناعمين فلا تُحسُّ وجودهم	والماتتين ، وهم مع الأحياء !
نسران طارا في الفضاء وحلقا	فوق الضباب ، وعاصف الأنواء
طلبا الحياة لمصر ، عاش شبابها ،	فاستشهدا في موطن الأعداء
حدث أزال عن العيون غشاها	فرأت هناك بسالة البسلاء
الواهبين دمائهم لبلاדם	والمقعديها مقعدَ الجوزاء

إن الذين وعى الزمانُ نخارهم	من كلِّ ذى تاج ، وربِّ لواء
الباسطين على الممالك ظلَّهم	الرافعين عروشهم في الماء
المنجيين لمصر آسادَ الشرى	من كلِّ صاحبِ همَّةٍ ومضاء
تركوا الهويَّتى للضعيف، وأقبلوا	يتطلبون لمصر كلَّ علاء
ويُزخرفون لها مقاصيرَ المنى	ما أشبه الأبناء بالآباء !

* ميت غمر : ١٩٣٤ .

أشبابَ مصرَ ومعقَدَ استقلالِها
العصرُ عصرُك ، نائمًا ومشمرًا
فانهضْ به شأنَ الشبابِ محققًا
لا تغلُ في شأنِ الحياة ولا تكنْ
ما العمرُ ؟ ما الآمالُ ؟ ما الدنيا إذا
ما كان ميتًا مَنْ يموت لقومه
تمضي السنونُ ، وذكرُهُ وجهاده
فاربأُ بنفسك أن يضيئك ضائمٌ
شرفٌ ومجدٌ أن تكون ضحيةً
ورجاءها في الشدة العسراء
والأمرُ أمرُك ، في هُدًى وعماء
، رغمَ الخطوبِ ، لمصرَ كل رجاء
متخلفًا عن معشر النُصراء
لم تُعلِ قومك فوق كلِّ سماء ؟
لكنه حيٌّ مع الأحياء
قبسٌ يشقُّ مطارفَ الظلماء
وافعلْ كفعلِ الفتية القُدراء
لحياة شعبٍ ، ضاق بالزلاء !

أشبابَ وادى النيل ، شأنك والعلا
في مصرع النسرِ أصدقُ آية
طارا إليك ، مبشرين ، فعوجِلا
فأبجْ لنفسك أن تذوبَ عليهما
وافعلْ كفعلهما ، ودعْ ذكرَ الردى
وانشرْ لقومك ما انطوى من مجدٍ
هم ورثوك المجدَ أبيضَ زاهرًا
في كل صبحٍ مُسفرٍ ومَساء
عما اضطلمت به من الأعباء
وسرَ النعيِّ بمصرع البشرى !
واكتمْ أساك ، وحرقة الأحشاء
فالوتْ خيرٌ من حياة شقاء
وأعدْ فخارَ جدودك القدماء
فاحمله مثلَ الشمسِ للأبناء !

ما في المَقام على الهوانِ سعادةٌ إلا لمحسوبٍ من البؤساء !
فدع الوَناءَ ، فلن يسرك أن تُرى متخلفاً عن عصرِكَ العَداءِ
والخلد ، نحو الخلدِ سرٌّ متقحماً ثمنُ الخلودِ بطولَةُ العطاءِ

في ذمة الله الغفور وفضله نسران من أبنائنا الكرماءِ
قلَّ البيانُ عن الوفاءِ إليهما ومشى الأسى باللوعة الحراءِ !
فوجئتُ ، أحوجَ ما أكون تكلماً وعجزتُ عن تصويرِ بعضِ عزائي
ومِن الحوادثِ ما ينوءُ بحمله شعبٌ ، ويُخرِسُ ألسُنَ الشعراءِ !

ملحمة

مصر التي . . .

بين بين . . !

بعد غياب دام سبع سنوات في إنجلترا ، عاد الشاعر إلى وطنه ،
في مارس ١٩٥١ ، لمدة شهرين .

وفي أثناء هذه المدة طاف بكثير من المدن والقرى . وقد أذهله
أن يرى الأحوال في وطنه تنقلب من سيئ إلى أسوأ ، بينما الناس ذاهلون
عن واقعهم ، وعما يكتنفهم من أخطار داخلية وخارجية !

كان الفساد مستشرياً ، والملك باغياً فاجراً ، والاقطاع جشعاً جائراً ،
والأحزاب في صراع محوم من أجل الحكم : أبهته واستغلاله ، لا مسئولياته
وتبعاته ! ! ثم كان الشعب منسياً . . ! لا أحد يفكر إلا في استنزاف
جهده ، وامتصاص دمه ، وتسخيره لمآربه وشهواته . . !

ومن تلك الأوضاع الشاذة الأليمة استلهم الشاعر بعد عودته إلى
مقر عمله في لندن فكرة هذه « الملحمة » ، فصور كل ما رأى في صراحة
وصدق كما أحسه وشعر به .

وفيما يلي بعض صور من هذه الملحمة ، للدلالة على موضوعها
واتجاهها وروحها . . .

مقدمة*

لا تؤاخذني إذا صارحتُ قومي
بأمور فيهم لا أرتضيها
أو إذا أرسلتها جبارة
صيحة تأخذ من لا يثقها
أو إذا قلتُ لدى البنى : اتد
نحن قوم لا نرى البنى وجيها
لا تؤاخذني : فمن إيمانه
في كفاح الشر لا يخشى كريها
أو فأخذني . . فما تسطيعُ هذما
لفتى عاش ، ولم يأسف ، نزيها !

* على الباخرة من الاسكندرية إلى مرسيلا . مايو سنة ١٩٥١ .

١ - أبناء الكلاب !!

لا تخشَ من يوم الحساب
وقلِ الحقيقة لا تُحَابِي

أرأيت من تدعوهم ظلماً بأبناء الكلاب ؟
الطالعين مفاجئيك بكل مَذْرَجَةٍ وباب ؟
الناعمين على « الرصيف » لقي كأسراب الذباب ؟
من كلِّ ملتحفِ السماء وكلِّ مفترشِ التراب ؟
أو كلِّ مسلوبِ القُوَى عبرَ الشبابِ بلا شباب ؟
أو كلِّ حيٍّ ميتٍ ، أ كفائه مِرْقُ الثياب ؟
ما بالهم لا يرحمونك في الذهبِ وفي الإياب ؟
ويطاردونك بالدعاء ، وما الدعاء بمستجاب ؟
لا تأخذنك رحمةٌ فيهم وبالغ في العقاب !
الغابُ مرَّتُهُ الخصبُ لكل ذي ظُفُرٍ وناب !

* لندن : يونيه ١٩٥١ ، والخطاب موجه إلى رجل الإقطاع .

أَرَأَيْتَ أَبْنَاءَ الشَّقَاءِ

الْمَكْرَهِينَ عَلَى الْفَنَاءِ ؟

العائشين بِلا غِذاءٍ . . أَوْ كِساءٍ . . أَوْ دِواءٍ ؟

النَّيْلُ ؟ أَيْنَ نَصِيبُهُمْ فِي النَّيْلِ مِنْ زَادٍ وَمَاءٍ ؟

أَلْهَمَ ، كَمَا لَكَ ، حَقَّهُمْ فِي مِصرَ . . فِي هَذَا الثَّرَاءِ ؟

أَمْ أَنَّهُمْ وَجَدُوا لِيَقْقُوا طُعْمَةً لِلْأَغْنِيَاءِ ؟

تِلْكَ الضَّحَايَا مَا لَهَا مِتْكَتَلَاتٍ فِي الْمَرَاءِ ؟

مَا لِي أَرَاكَ عَلَى الطَّرِيقِ تَخَافُهُمْ خَوْفَ الْوَبَاءِ ؟

أَمِنْ الشَّجَاعَةِ أَنْ تَصُولَ عَلَيْهِمْ بِالْكَبْرِيَاءِ ؟

أَمِنْ الْمُرُوءَةِ أَنْ تَسْلَ عَلَيْهِمْ سَيْفَ الْجَفَاءِ ؟

وَمِنْ الْأَخْوَةِ أَنْ يُحَيَّوْا فِي اللَّقَاءِ بِالْأَزْدَرَاءِ ؟

مَهْلًا . . رَوَيْدَكَ بِالضَّحَايَا ، وَاصْطَنَعَ بَعْضَ الْحَيَاءِ !

أَرَأَيْتَ أَبْنَاءَ الْقُبُورِ

مَلَأَ الْمَدَائِنَ وَالْكَفُورِ ؟

مِنْ كُلِّ مَشْلُولٍ الْحِجَابِ أَوْ كُلِّ مَسْلُوبٍ الشُّعُورِ ؟

مِنْ كُلِّ أُخْرَسٍ نَاطِقٍ أَوْ كُلِّ ذِي بَصَرٍ ضَرِيرٍ ؟
مِنْ كُلِّ مُحْرُومٍ السُّرُورِ فَلَمْ يَذُقْ طَعْمَ السُّرُورِ ؟
أَوْ كُلِّ مُحْكُومٍ عَلَيْهِ بَأْسٌ يَمِيشُ بِلا مَصِيرٍ ؟

تلك الضحايا ما لها تفزوك باليأس المثير ؟
بالفقر ، بالبؤس المجسم في الوجوه وفي الثغور ؟
بالجهل ، بالأمراض تنخر في العظام وفي الصدور ؟
لا يُفزعَنَّكَ ما بِمُحْشَرَجَةِ الرَّعَاعِ مِنَ النَّذِيرِ . .
واعبُرْ على جثث الضحايا لا تخفْ وخز الضمير !

ما بالهم يتملقونك في الرّواح وفي البُكُور ؟
ما يبتغون ؟ أبعض ما سلبوه من مالٍ كثير ؟
مَنْ علّم البؤساء أن يرئوا إلى أملٍ عسير ؟
المالُ ليس بمصرَ حقًّا للصغير وللأكبر . . !
هو للوجيه ، والمدير ، وللأمير ، وللوزير
ولين هم فوق الوزير ، ومن هم فوق الأمير !

المالُ لم يخلقْ لإتقاذِ البلادِ من الشرورِ !
وعلاجِ أدواءِ المريضِ ، وسدِّ حاجاتِ الفقيرِ !
ولخيرِ كلِّ مواطنٍ ، وخلقِ شعبٍ مستنيرِ
وللاضطلاعِ بكلِّ إصلاحٍ ومشروعٍ خطيرِ
ولرفعِ أبناءِ القرى من وفدةِ العيشِ الحقيِرِ !

المالُ مخلوقٌ ليرحَّ فيه سكانُ القصورِ !
ولينفقوه بلا حسابٍ في الدعاية والظهورِ !
ولينفقوه على المآدب والمراقص والتمجُّورِ !
وعلى التخنُّمِ بالجواهرِ والتقمُّشِ بالحُريرِ !
وعلى السَّباقِ على القمارِ ، على الأناقةِ والمطورِ
وعلى المراكبِ^(١) كالعرائسِ مسرعاتٍ كالطيورِ
وعلى التنقلِ في الممالكِ للدعارةِ والفجورِ
تركوا العِنانَ للهوِّمِ والشعبُ في التزَّرعِ الأخيرِ !

(١) السيارات .

يا مصرُ يا أمَّ العجائبِ
في الكزازةِ والسَّخاءِ !

في الفقر ، في الترف الذريع ، وفي الصراحة والرياء !
في الجهل ، في العلم الغزير ، وفي الغباوة والذكاء !
في الكوخ ، في القصر المنيف ، وفي التدين والنساء !
ما هذه المتناقضاتُ الداعياتُ إلى الرثاء ؟
أفتلك آياتُ التجددِ والسلامةِ والبناء ؟

يا مصرُ ! كم ؟ وإلى متى نحيا ونخبطُ في عماء ؟
الناسُ تمدو للأمام ، ونحن نركضُ للوراء !
الناسُ تعملُ للخلود ، ونحن نعملُ للفناء !
الناسُ تُسْرِفُ في الكفاح ، ونحن نُسْرِفُ في الهراء !
يا مصرُ فيضى بالحنان على بنيكِ الأشقياءِ
إن يَفْقِدُوا فيكِ الرجاء ، فما الرجاء من البقاء ؟

٢ - مدرسة الرتب*

عجبٌ... وحسبك من عجبٍ في مصر مدرسة الرتب
ميمونة قد أنشد وها للتلاميذ النجب !
ولها مناهجها التي قامت على محض الكذب
وعلى الخنوع... على النفا ق... على مجافاة الأدب
وعلى التزلف بالشفي عين : الدعارة والذهب !

* لندن : يونيه ١٩٥١ .

٣ - إنها الثورة .. أسمع خطاها !!

أما فيك يا مصرُ مَنْ يغضبُ

ومَنْ لا يخافُ ولا يرهبُ ؟

أما فيك مَنْ قلبه أمةٌ وَمَنْ عزمه الجيشُ أو أصلبُ ؟

أيطغى الطغاة ، ويحنى الجناة ولا مَنْ يثورُ ولا يضربُ ؟

ألا مَنْ يُدِيل لمن عذبوا مِنْ المجرمين الألى عذبوا ؟

أرى الظلم كالليل لا ينجلي وكالموت أشباحه تُرعبُ

غريبون نحن ، وفي أرضنا وأرزاقنا جملةٌ تُسلبُ !

وأرواحنا في يد الظالمين دُمى لا تُعدُّ ولا تُحسبُ !

ونسألُ حريةً منهمم وهياتَ حريةٌ تُوهبُ !

ولا هي تُشرى ، ولكننا من الغاصبين لها تُغصبُ !

أخى يا أخى كيف ترضى الخضوعَ ، ونحن بنى النيل لا نُغلبُ ؟

أفق يا أخى ، فالشقاء الكئيبُ يكاد يايماننا يذهبُ !

* لندن : يولييه ١٩٥١ .

أَتَسْمَعُ أَنْتِ شَعْبَ جَرِيحٍ وَرَبُّ السَّهَامِ أَخٌ أَوْ أَبٌ ؟
أَتَبْصِرُ مِثْلِي وَجُوهَ الضَّحَايَا تَحَدَّثُ بِالْبُؤْسِ ، لَا تَكْذِبُ ؟
أَتَبْصِرُ كَيْفَ اسْتَحَالَ الرِّجَالُ مَطَايَا لِحَاكِهِمْ تُرْكَبُ ؟
أَتَبْصِرُ مَنْ وُلِدُوا مُتَعَبِينَ وَمَا كَابَدُوا الْعِشَ أَوْ جَرَّبُوا ؟
وَمَنْ خَرَجُوا ثُمَّ لَمْ يَرْجِعُوا وَمَنْ فِي دُجَى السَّجَنِ قَدْ غُيِّبُوا ؟

وَأَدْخُلُهَا فِي اشْتِيَاقِ الْغَرِيبِ لَعَلِّي أَرَاهَا كَمَا أُرْغَبُ !
فَأَبْصُرُهَا وَكَأَنَّ لَمْ يَعُدْ لِهَذَا الزَّمَانِ بِهَا مَأْرَبُ !
وَزَايِلُهَا الْبِشْرُ ، مِلْحُ الْحَيَاةِ ، وَفَارَقَهَا الطَّيِّبُ وَالطَّيِّبُ !
وَأَضْحَتْ بِسَاتِدْنِهَا غَابَةً يَعْثُ بِهَا الذُّبُّ وَالثَّعْلَبُ !
فَلَا أَمَلٌ يَسْتَحِثُّ النَّهْيَ فَيَشْغَلُهَا الصَّعْبُ فَالْأَصْعَبُ !
وَلَا فَرْحٌ يَسْتَخَفُّ النُّفُوسَ وَيُوحِي إِلَيْهَا بِمَا يُطْرَبُ !
وَلَا النِّيلُ يَرَوِي جَفَافَ الْقُلُوبِ بَ ، وَلَا يَنْعَشُ الرُّوحَ أَوْ يُخْصِبُ !
وَلَا الرُّوْضُ يَقْطُرُ مِنْهُ الشَّدَى وَلَا هُوَ فِينَانُ مُعْشَوْشِبُ !
وَلَا هِيَ مِصْرُ كَعْهَدِي بِهَا وَلَا هِيَ مِصْرُ الَّتِي نَزَّقْتُ !
وَلَكِنَّمَا هِيَ مِصْرُ الطَّفَاةِ وَمَنْ وَرِثُوهَا وَلَمْ يَتَعَبُوا !

وَمَنْ يَوْمُنَا مَعَهُمْ بِالْعَصِيبِ وَمَنْ يَوْمُهُمْ مَعَنَا أَعْصَبُ !

يَقُولُونَ : شَعْبُ طَوَاهِ الْفَنَاءِ	أَتَقْنِي الشُّعُوبُ ؟ أَلَا فَاعْجَبُوا
سَيَنْتَقِمُ الشَّعْبُ مُسْتَقْتَلًا	لِمَنْ كُمْ أُسَيِّئُوا وَمَا أَذْنَبُوا
سَيَنْتَفِضُ الشَّعْبُ مِنْ صَمْتِهِ	وَيَبْعَثُهَا صَرْخَةً تُرْعِبُ
سَيَرْسِلُهَا ثَوْرَةً قَلْبُهَا	بِحَقْدِ الْمَلَائِكِينَ لَا يَنْضُبُ !
وَكَاللَّيْلِ تَدْرِكُ أَعْدَاءَهَا	فَلَا مَنْ يَفِرُّ وَلَا يَهْرُبُ
فَمِنْ أَجْلِ مِصْرَ وَأَبْنَائِهَا	يَهْوَنُ الْفِدَاءُ وَيُسْتَعَذَبُ !

قَوِيلَ الطَّغَاةِ غَدَاةَ الْحَسَابِ	عَلَى مَا جَنَوْهُ وَمَا خَرَّبُوا
لَئِنْ قَرَّبُوا الشَّعْبَ مِنْ حَيْثِهِ	فَإِنَّ مَنِيَّتَهُمْ قَرَّبُوا
وَلِلنَّصْرِ يَوْمٌ قَرِيبٌ الصَّبَاحِ	وَاللَّظْمِ ، مَهْمَا يَطْلُنْ ، مَغْرِبُ !

٤ - سوف ... *

من وحي خطبة العرش

«سوف» ! يا «سوف» قد سئمتك فينا

خدعة حُلوة ، وحلم نهار !

«سوف» ! يا «سوف» وانتظرنا قرونا

فإذا بالرجاء محض انتظار !

سوف يا قومنا نرُدُّ الصحارى سَكناً طيباً ، وروضاً نصيراً

وحقـــــولاً تجود بالخير حتى لا يرى الشعبُ جائعاً أو فقيراً

سوف من جوفها نقضُ كنوزاً ذخرتها لنا الجدودُ دهوراً

وانتظرنا مؤملين طويلاً وإذا بالرجاء محضُ انتظارٍ ... !

سوف نبني معاهدَ العلم حتى تَرْحَمَ الريفَ والصعيدَ ألوفاً !

فإذا الجهلُ قد تلاشى وولى وإذا الشعبُ قد غدا فيلسوفاً !

سوف نرعى المرضى إلى أن يصحُّوا وغداً لا ترى بمصرَ ضعيفاً !

* لندن : سبتمبر ١٩٥١

وانتظرنا مؤملين طويلاً وإذا بالرجاء محضٌ انتظار !

سوف يلقى المستعمرون وبالا وكفاحا منا لهم وقتالاً
سوف نُجْلِيهِمْ عن النّيل طرّاً وزدّ احتلالهم أطلالاً
ومُحالٌ أن نُلقِيَ السيفَ حتى نجدَ الشعبَ نال الاستقلالاً
وانتظرنا مؤملين طويلاً وإذا بالرجاء محضٌ انتظار !

سوف يلقى العمالُ منا عنايةً واهتماماً بخيرهم ورعايةً
سوف نرقى بهم ونجعلُ حدّاً لماسى حياتهم ونهايةً
وطربنا لحظَّ عمّالِ مِصرٍ ورجونا تحقيقَ هذى الرواية
وانتظرنا مؤملين طويلاً وإذا بالرجاء محضٌ انتظار !

الذل*

أنتَ يا ابنَ الفقرِ يا ابنَ الظلمِ والجهلِ المبيدِ
يا أبا الحِطَّةِ والضعفِ وبا صنوِّ الجمودِ
يا عدوًّا للمروءاتِ وأمجادِ الوجودِ
يا سلاحًا سلَّه الشرُّ على هامِ العبيدِ
يا طريقًا ينتهى بالناسِ للبؤسِ المديدِ
ومجازاً يعبرُ الناسُ عليه للُّحودِ
أنتَ يا مَنْ يدفعُ الناسَ إلى اليأسِ الشديدِ
البطولاتُ على أرضك تَفْنَى كالْحَصِيدِ
والرُّجُولاتُ سَرابٌ حينَ تدنو من بعيدِ
أنتَ داهٍ حطَّمُ الشعبَ إلى أقصى الحدودِ !

* لندن : نوفمبر ١٩٥١ .

ثم جاءت الثورة :

على لسان الثوار

ولما طغى فينا الفسادُ المجسّدُ ورانَ على مصرَ الشقاءُ المؤبّدُ
وخيلُ للطاغوتِ في الوهمِ أنه له الأمرُ : يُشقى مَنْ يشاءُ ويُسعدُ
له الأمرُ : يَقضى ، فالأذلاءُ سادةٌ وخيرُ بنى الأحرارِ عانِ مُقيّدُ
ولما غدا للشؤمِ رمزاً ، ولم يعدْ هناكِ لوادى النيلِ فى ظلّه غدُ
وكاد يظنُّ العقلُ أنْ ليسَ فى الحمى قوَى تصرعُ الظلمَ العتيدَ وتحصدُ
عليه تمرّدنا ومُثرنا لقومنا وقد كان أذنّى ما يكونُ التمرّدُ !

* لندن : ١٩ أبريل ١٩٥٢







حديقتنا*

أشأقك رؤية الوجه المنير ولذك منظر الحسن الطير
وراقك أن ترى الأنوار تزهو تضيء جوانب الروض النضير
وتبّه منك حاملة الأمانى هواتف فى الأصائل والبكور
فأزمنت الرحيل إلى مكانٍ يشيعُ بجوّه أرجُ العير ؟

حديقتنا نما فيها خيالى صغيراً فى حمى الدّوح الصغير
تداعبهُ الورود براحتيها يهامسه البنفسج بالثغور
خيالى.. من خيال الروض.. سامٍ بعيدُ الغور ممنوعُ النظر
وقد يحفو حديقته غضوباً فتعطفه بأنغام الطيور

حديقتنا عروسُ الروض طراً ألم ترّها مهدّلة الشمور
على بسطٍ من الأعشاب تمشى كما تمشى على المهد الوثير
ترى الأشجار تنبت فى ثراها من الشجر الصغير إلى الكبير
بوارف ظلها الوافى امتداداً تقيقك لوافح اليوم الحرور

(*) القرية : أغسطس ١٩٣١ .

تجوب بها الحمامُ هادراتِ
وأسرابُ الطيور قد اطمأنت
ترجع في الفضاء هوى مُذابا
وقد تبكى فتبكى سامعها
بصوتٍ دونه صوتُ الأمانى
يريك بدائع المعطى القدير
فتشجيك الحمامُ بالهدير
جماعُها على الأيك الغضير
فتفصح عن جوى القلب الكسير
وقد تلهو فتعبث بالشعور
بُريك بدائع المعطى القدير

حديثتنا : ألا لك أن تراها ؟
تعاشقتِ الفصونُ بها لتحوى
ولولا الشمسُ تأخذها يأتا
ويستصبي الخيالُ بها غديرُ
إذا همس النسيمُ إليه سرا
وما راع الفؤادُ سوى شعورِ
ولو كان الكلامُ له مباحا
وعن أيام صَبوته وماضٍ
وكيف المباء يضطرم اشتياقا
على أن المياة لها قلوبُ
تزيل الهمم ، تُقبل بالسرور
تراها سطوة القيظ المفير
لما سمحت لضوءٍ بالمسير !
كأن الحسن من ذاك الغدير
يروح لنا به صوتُ الخویر
ينال به فيبدو في الزفير
لحديثنا عن الهجر المرير
مضى في غير إثمٍ أو فجور
فتضحك كل أنسة تفور
تؤلُّها العواطف بالسعير

وتسمعُ للرياح إذا استُثِرت	بها صوتًا يُترجَم بالزئير
وَيُغْشى الليلُ يَقْذِفُها بلبيلٍ	تَضِلُّ بِحَوْفه عينُ البصيرِ
ألا لله ما أبهأ ليلًا	يُرِينَا الدُوحَ فِي الحِجْم الصغيرِ !
نَعْدُ إِلَيْهِ أَيْدِينَا اسْتِلامًا	لهامته فتعثرُ بالجذور !
فواشوقى لمنظرها صباحًا	ومطلع شمسها البهيج المنير
وواشجنى إذا ما الليلُ غشى	بمسالكها ، ومدَّ على القصور
كأنى لم أقم فيها زمانًا	ولم يكُ زهرُها الزاهى سميرى
ولم أطرب لصنيدجها المغنى	ولم أسمعُ بأسرها ^(١) الأسير

ألا ليت المقامَ بها مديدٌ	فأنسى قسوةَ القدرِ المريرِ
وأذهلَ عن دواعى العيش طرًا	سوى داعٍ يجرُّ إلى الجبور
وليت إذا وقفتُ بها أصيلا	يحودُ الدهرُ بالنفسِ الأخيرِ !

(١) القمر .

في الحديقة

زهرة الفل

زهرةٌ طامسةٌ في نهديها ذاتُ وجهٍ كرفيقِ الأملِ
مَنْ يَرِ الحسنَ سَنَى في خدها يُبْرِدُ الشوقَ بفيضِ القُبَلِ

زهرةٌ تبسمُ عن ثغرٍ رقيقٍ سكنَ الحسنُ بطياتِ لماها
هاتِها يا صاحٍ : إني لا أطيقُ أن أراها ثم لا أَلُثمَ فاهَا

زهرةٌ كالأملِ الحلو وأحلى تُسكرُ النفسَ وتودِي بالشجنِ
هاتِها ألهو بها أو أتسلَى عن هوى أهفو إليه وأحِنِّ

هاتِها تَسْتافُ نفسَ عطرَها فهو أخرى بالنفوسِ الشارداتِ
آه ما أحلى وأندى نشرَها إنه يُحيي بنفسى الذكرياتِ !

لو ترى النرجسَ إذ كاشفَها بهواه في انبلاجِ السحرِ

* القرية : عام ١٩٣١ .

أو نسيمَ الفجرِ إذ لطفها وهى غرقى فى خضمِّ الفكرِ

أو ترى الصبحَ وقد بلَّها بنِداءِ فانشئت فى طربِ
أو شعاعَ الشمسِ إذ قبلها وكساها حلةً من ذهبِ

أو تراها وهى فى نشوتها حينما ازدانت بأنوار الربيعِ
لبعثت القلبَ فى صحبتها يتملّى عالمَ الحسنِ البديعِ

فتمالّى علّنى منك أرى فى ضميرِ الغيبِ ماضى القديمِ
أنتِ مفتاحُ لأسرارِ الورى فامنحني ذلك السرَّ العظيمِ

زهرةَ القُلِّ ! ويا رياءَ الحياةِ يا مَلاكاً لم يُدنّس أبدا
يا مُنى القلبِ الذى جفَّ نداه يا رسولاً لا يُرائى أحدا

عطّرى أرجاءَ قلبٍ خربِ وانقضى فى صدره بعضَ الرجاءِ
أشعريه بالحياة العجبِ علّه يقوى على حملِ الشقاءِ

من على الربوة

في مدينة ميت غمر كان يختلف الشاعر إلى جزيرة وسط
النيل المقدس ، حيث يجيا بين الطبيعة ، على ربوة يشرف
منها على النهر ، غارقا في أحلامه . وفي أصيل ربيع
جلس كمادته ، فأطلقت في خاطره مواكب الربيع ،
ومرأتى الأصيل فكرة هذه القصيدة . وهي مهداة إلى
المصور المصري شعبان زكي .

إلى الشاعر المكدود يأنسمة العصر	إلى الشاعر الظمآن ياموجة النهر
إلى ذلك الفنان أفرّد حالمًا	على شاطئ من نشوة الغرس في سُكرٍ
على شاطئ أَلقت إليه قيادها	سفائن قد ملّت مجاهدة السير
أحاطت به القصباء ^(١) كالأم تبغى	له سلوة في كل ريان مُحضّرٌ
ويسمى إليه الموج وهو مصفّقٌ	كأن به شوقًا تحرّك في الصدر
ويُسمعه المزمارُ الحانَ عالمٍ	تولّى ولم يُعقب سوى لوعة الذكر
وتُشجيه أصواتُ النواقيس قرّبه	وتُشعره الإيمان من حيث لا يدري
ومن خلفه دنيا ، يثورُ ذئابها	وُيُمنى بها الخير المسالمُ بالشر
ويقتل الإنسان في غير مَقْتَلٍ	ويفتخر الإنسان في غير ما نخر !
فوالهني ! مَنْ لى بدنيا أرودها	وأتسى بها وجه الملاحقة والجور !

* ميت غمر : ربيع ١٩٣٢ .

(١) جماعة القصب الذي يطلع على شواطئ الأنهار عادة .

إلى الشاعر المكدود يانسة العُصْر
إليه وحلّا عقدة من لسانه
فهذا الريحُ الطلقُ يدعوهُ هاتفاً
تمشّى على هذى المروج فأعشبت
ومدّ على الأشجار كفاً فأورقت
كساها الريحُ السمعُ كلَّ مُقَوِّفٍ
كساها وكانت عارياتٍ جسومها
وأبدع فيها للعصافير مَسْرَحاً
مواكبُ وشّاها الريحُ بكفه

إلى الشاعر الظمآن ياموجة النهر
لينطقَ بالسحر المبين من الشعر
بما فيه من نُورٍ وما فيه من زهر
وغنت على الأعواد ساجمة الطير
بأنضِر ما يهتزُّ من ورقٍ أنضِر
تميس به بين البراءة والطهر
كمن عاش من بخل الشتاء على فقر !
تُشَقِّق فيه في الأصيل وفي الفجر
وأطلعها سحراً يَحِلُّ عن السَّحَر !

فيا ساحرَ الألباب بوركت ساحراً
تنفّست في جو الحدايق والرّثبي
وجرت في قلبي الينابيع عذبة
وأحييت آمال النفوس التي ذوت
وفتحت أكام الأزاهر مُبدِعاً
تُعطرُ أشتات القلوب بطيها
فأى خيال ينظم الكون مَعْرِضاً
يُنْفِء علينا بالحياة وبالبشر
فأودعت فيه العطرَ ناهيك من عطر
وكم عاش في دنياه كالواحة القفر
وأسلمها رَيْبُ المنون إلى القبر
وأطلعها في الروض بَسَّامَةَ الثغر
وتوحي إلينا بالتأمل والفكر
يموج بآيات الصبابة والنَّشْر

من النّسمِ المِطارِ والزهرِ والرّبيّ من الألقِ اللّماحِ والطيرِ والنّورِ

إني الشّاعر المكدودِ يانسمةَ العصرِ إلى الشّاعر الظّمآنِ ياموجةَ النهرِ
إليه وحلّا عقدةً من لسانه لينطقَ بالسحر المبين من الشعرِ
إذا مرّ يومٌ لم يكن فيه شاعراً فأخلاقٌ به ألا يُعدّ من العمرِ
وما المجدُ إلا أن يعيش مخلّقا يشورُ لدى الجلّي ويهتف للنصر !

بين النخيل

أنا بين النخيل كالطائر الحما لم في عشه بطيف السعادة
أنا بين النخيل كالجدول الها دى يمضى فلا تحس أطراده
أنا بين النخيل كالشجر الوا رف ، يحمي بظله قصاده

أنا بين النخيل كالزهر الما بق تحيا بطيبه الألباب
أنا بين النخيل كالتمر اليا نع ، حلو مذاقه مستطاب
أنا بين النخيل ظل وماء وهواء ، وجنة مخصاب !

أنا بين النخيل كالشاعر الحما لد ، قد هام بالجمال هياما
أنا بين النخيل كالعابد الحسن فلا يستمال عنه لماما
هو هذا أنا ، فمن لى بصوت يمنع الناس أن يطيلوا الملاما ؟

* القرية : صيف ١٩٣٣ .

ذكرى الروض

ذكرتني يا روضُ بالبدرِ ومواكبِ الأنوارِ في الفجرِ
ذكرتني بالصبحِ مؤتلفاً وبوارفِ الأشجارِ والزهرِ
ذكرتني بالطيرِ هاتفةً فوق النخيلِ بنعمة تُغرى
ذكرتني بالريحِ ناعمةً وبرقةِ الأنداءِ والعطيرِ
أيامَ كنتُ أظلُّ مبهجاً وأصوغُ فيك روائعَ الشعرِ !
أيامَ كانَ الدهرُ في سِنَّةٍ عني ، وكنتُ أعيشُ كالطيرِ

ومضتْ عُهودٌ لستُ أذكرها من هَوَلٍ ما فيها من الشرِ
لم ألقَ وجهك في طلاقته أو أحظَ فيك بموقفِ شعري
واليومَ أنزلُ فيك مغترباً جمَّ المتاعبِ ، ضيقَ الصدرِ
سأمانَ من نفسي ومن زمني ومن الحياة ، وطعمها المرِّ
فيكاد يُنكرُني ، وأنكره ما فيك من حُسنٍ ومن سحرِ !

يا روضُ عدتُ إليك مُبتسماً أبغى الشفاءِ ، ونعمةِ البشرِ !

* القرية : صيف ١٩٣٤ .

فَارِحْ قَوَادِي مِنْ وَسَاوِسِهِ وَمَتَاعِبٍ قَدْ أَتَقَضَتْ ظَهْرِي
وَمُرِّ الطِّيُورِ تُغَنَّ لِي سَحَرًا نَعْمًا يَهْبِجُ لَوَاعِجَ الذِّكْرِ !

يَا رَوْضَ أَيْامِي الَّتِي سَلَفَتْ وَمَعِينَ أَشْعَارِ الصَّبَا النَّصْرَ
مَنْ لِي يَوْمَ فَيْكِ أَهْدُوهُ وَأَيُّعُ فِيهِ بَقِيَّةَ الْعُمْرِ ؟



اليمامة

حطَّتْ عَلَى الدَّوْحِ واطْمَأْنَنْتْ فِي ظِلِّهِ الْوَارِفِ الظَّلِيلِ
يَمَامَةٌ بِالْعَنَاءِ تَشْدُو فَتَأْسِرُ الْقَلْبَ بِالْهَدِيلِ
فَوْقَ الرُّبَى وَالنَّخِيلِ عَاشَتْ فِي عَشَاهَا الْوَادِعِ الْجَمِيلِ
تَسْتَقْبِلُ الشَّمْسَ فِي ابْتِهَاجِ بِطَرْفِهَا النَّاعِسِ الْكَحِيلِ
وَتَرْمُقُ النُّورَ فِي فُتُونِ بِنَظَرِهَا الْعَاشِقِ الْخَجُولِ

طَارَتْ مَعَ الصَّبْحِ ثُمَّ طَارَتْ فَوْقَ الرُّوَابِي وَفِي الْبَطَاحِ
وَرَفَرَفَتْ فِي الْفَضَاءِ تَسْعَى ، كَالنَّاسِ ، لِلْعَيْشِ فِي كِفَاحِ
يَهْفُو لَهَا الْقَلْبُ إِنَّ رَأَاهَا تَطِيرُ رَفَافَةً الْجَنَاحِ
وَتَقْطَعُ الْيَوْمَ فِي غِنَاءِ وَفِي ابْتِهَاجِ وَفِي انْشِرَاحِ
حَتَّى إِذَا مَا الْمَسَاءُ أَوْفَى هَمَّتْ مَعَ الطَّيْرِ لِلرَّوَّاحِ

يَا زِينَةَ الرُّوضِ يَا يَمَامَةَ يَا مَبْعَثَ الشَّعْرِ وَالْخِيَالِ

* القرية : صيف ١٩٣٤ *

ألقاكِ والنفسُ في ملالٍ فيذهبُ الشدوُ بالملالِ
يا طيبها لحظةً قدفَنّا في بحرِها عالمَ الضلالِ !
فابقِ على الدهرِ ، واطمئني في صُحبةِ الدُّوحِ والظلالِ
قُوقُ قُوقُ قُوقُ ، قُوقُ قُوقُ قُوقُ دُنْيَا من السَّحَرِ والجَمالِ !



نشيد الغروب

بعد غيبة طويلة عاد الشاعر إلى النخيل ، وفي
إحدى أمسيات الحريف دخل يستعيد ذكرياته الماضية ،
فإذا الطيور جامعة إلى أعشاشها للمبيت ، صاعدة
هابطة في موسيقى عذبة ، وكأنها كانت ترحب به ،
لما بينهما من سابق ألفة واتصال ! وقد استتاره
هذا المنظر ، فأوحى إليه هذه القصيدة :

يا طيورَ المساء في الروضة الوسـنى : يحْيِيكِ شاعرٌ تعرفينه
يا طيورَ المساء : قد عاد يستشـفى بلحنِ المُنَى ، فهل تُسمعينه ؟
رَفَرِني فوقَ رأسِه وحوالِيَه ، وغنِّي له وأذْكي حنينه
إنه كان يصطفيكِ على الكو نِ ، ويُوليكِ شِعْرَه وفنونه !

يا طيورَ المساء : ما زال يهواكِ ، فغنِّي بعَوْدِهِ ومزَارِهِ
نزل الروضة الحبيبة في الليل ، كما ينزل الغريبُ بداره
ومشى يستعيدُ فيها رُؤْيى الماضـى وما قد وَعَتهُ مِنْ أخباره
ها هنا في حِمْى النخيلِ تلقَى مُرَقصاتِ الأنعامِ من أشعاره !

عانقتهُ الأشجارُ والزَّهرُ والأضواءُ ، يا حَبَّذا عِناقُ الطبيعة !

* القرية : حريف عام ١٩٣٥

وتهاوت إليه تلثم خديّه بشوقٍ قد استشار دموعه
جمعت حوله المواكب شتى وهى ما بين مولع وولوعة
كيف لا تظهر السرور، وقد كا ن ربيعاً لها ، وكانت ربيعته !

النسيمُ العطرئُ ما باله الليلة ، يسرى إلى فؤادى شذاه ؟
والضياءُ البدرئُ ما باله الليلة ، يحو ظلام نفسى سناه ؟
والنخيلُ الروضئُ ما بالي الليلة ، أهفو إليه دون سواه ؟
كلُّ شئٍ حولى يُعيد لى الما ضى ، ويُجرى أمام عيني رؤاه !

يا طيورَ المساء : أين توارى طيفُ ليلاتنا بشطّ الغدير ؟
ها هنا كنتُ أهرج العيش والنا من ، لأحيا فى عالمٍ من نورِ
وهنا كانت السعادةُ تجو نى بفيضٍ من النعيم غزيرِ
وهنا طارت السعادةُ عن وَكرى ، وأهدت إلى سوء المصير !

يا طيورَ المساء : فى لحنك العذ ب ، مَثارُ لذكرياتٍ شريده !
يا طيورَ المساء : هل من سبيلِ تصلُّ النفسَ بالليالى الشهيدة ؟
أين من كنتُ إذ أراها هنا أنسى شقائى ، قديمه وجديده ؟

هِيَ كَانَتْ هُنَا، وَكُنْتُ أَرَاهَا طَلَعَةً تُنَلِّهُمُ الْفُؤَادَ خُلُودَهُ !

يَا طَيُورَ الْمَسَاءِ : قَدْ صَمَتَ الرُّو ضُ ، وَنَامَتِ أَطْفَالُهُ فِي لُغُوبِ !
يَا طَيُورَ الْمَسَاءِ قَدْ عُدْتُ أَسْتَشْفِي فِي بِلَحْنِ الْمُنَى ، فَعَادَ وَجِيبِي !
كُلُّ شَيْءٍ إِلَى الْغُرُوبِ أَرَاهُ الْآ نَ ، يَمْشِي فِي سَمْتِهِ الْمَرْهُوبِ !
وَنَشِيدُ الْحَيَاةِ قَدْ عَادَ ، إِذْ عُدْتُ إِلَى رَوْضَتِي ، نَشِيدَ الْغُرُوبِ !





على الشاطئ.

عَمِّ صباحاً يا كعبة المصطافِ . وملاذَّ الأحبابِ والآفِ
قد سعيْنَا إليك يسبقنا الشو قُ ، فماذا أعددتَ للأضيافِ ؟
نحن ركبُ الجمالِ والفنِّ جئنا تملئُ الجمالَ فوق الضفافِ
فانظم الشاطئُ الكريمُ جمالاً تملأه في الوجوه اللطافِ
ما بغير الجمالِ ينتعش القلبُ بُ ، ويصحو من الشقاء الموافِ

مرحباً بالجمالِ يعبتُ باللبِّ ويخفى في لُجَّةِ الرَّجَّافِ !
نزل الحسنُ في حمى اليمِّ يُبدي فتنَ النورِ في بديعِ ائتلافِ
فإذا الموجُ راقصٌ من سرورِ للعدارى ، يُريته كلَّ خافِ !
وكان الأمواجُ ، وهى تُتلاقى كلَّ جسمٍ مهفهِ شفافِ
قُبلةُ العاشقِ المروِّعِ قد خفَّ إليها في رعيَّةٍ وارتجافِ

أيها الموجُ : لا عليك ، تتمتعُ بمئاتِ الحسانِ والآلافِ !
ها هنا تخطرُ الملاحَةُ والحسنُ وتحيا لآلىءُ الأصدافِ !

• الإسكندرية : صيف ١٩٢٨ .

مشرقاتٍ كأنها الأملُ البا سمٌ ، يبدو من بعد طول تجاف
فابعثِ الفرحةَ التي تشمل اليمَّ وأشفقِ على القدود النُحاف ؟

لستُ أنسى الشيطانَ رفَّ عليها كلُّ طيرٍ مجنَّحٍ رفَّافٍ !
لستُ أنسى ما كان يومَ اجتماعنا بين سربٍ إلى الهوى مهياف^(١)
من عيونٍ توثَّب السحرُ منها ونهـودٍ تطلعت لاقتطاف
ووجوهٍ تألق الحسنُ فيها وخصورٍ مضمراتٍ عجاف
وجمالِ السيقانِ مُدَّت على الرمل فبانت دقيقةَ الأطراف !
فَتَنُ الحسنِ جُمعتُ في مكانٍ عبقرىً يختال في الأفواف
قد نعيمنا بطيبه ، وكأنا قد نعيمنا بروضةٍ مِثُناف !

لستُ أنسى الظباءَ قن إلى الشطِّ خفافَ الخطا ، وغيرَ خفاف
لستُ أنسى الظباءَ يهزجن للبحر بما فيه من غريق وطاق
يستثرن الأمواج ، وهى غوافٍ يرتشفن الأنوارَ أئى ارتشاف
لستُ أنسى الأطفالَ والموجُ يطغى فيلاقى أقدامهم ، ويوافى
فإذا هم في نشوةٍ وصياح واثناءٍ عن قصدٍ وانصراف

(١) شديد الظمأ .

لا ولا الشمس حين أدركها الأئني
فغابت في العيلم^(١) الرجاف
نزلت تستعجم في البحر غيري
من شمس تألفت في الضفاف !

لست أنسى ساع الأصيل ولا ما
كشفته للشاعر الوصف
أدركتني جلالة الشعر فيها
ووفى لي بها الخيال الوافي
وكان الظلال أرواح عشا
ق ، يُرجين نعمة الإنصاف
وكانى سموت عن عالم القيد
د ، لكون جم الطلاقة صاف
عانقتني فيه السعادة من بعد
د خصام ، وجفوة وانحراف
ورأيت الأطياف ترقص حولي
وكانى طيف من الأطياف !

يا جمالاً بالشط كان نعيماً
وجحياً للشاعر المصطاف !
لم يكن شطك المبارك إلا
برزخاً بين مأملي ومخافي
قد وقفنا من فوقه ، وكانا
قد وقفنا بشاطئ الأعراف^(٢)

حبذا البحر في اتساع وعمق
منشداً شعره بغير قواف !

(١) البحر .

(٢) قبل هو سور بين الجنة والنار ، واستعمل هنا مجازاً للفصل بين النعيم والشقاء .

حبّذا الموجُ وهو يضربُ بالرّغو وجوهَ الصّخورِ والأعطاف
حبّذا الموجُ وهو يسعى إلى الشط وَيَفْنَى على صدور الضفاف !

أيها البحرُ : في ضفافك تخضلُ قلوبٌ ملّت حياةَ الجفاف
أنت تُوحى لنا بأسمى المعاني وتُوافي بكل فيضٍ شاف
أنت أخرجت كلَّ فكر عن الصمت ونهّيت كلَّ ساءٍ وغاف
أنت سرُّ الوجود في ذلك الكو ن ، وراوِ مجادةَ الأسلاف
قد حججنا إليك ، ثم رجعنا لحياة شديدة الإجحاف
كلما ضقتُ بالحياة تمثّلتُ أمامي في كلِّ حُسْنٍ صاف
فإذا بي أعودُ أهناً بالاً وإذا بي سامي الخواطرِ صاف !

آه مَنْ لى بأن أراك وشيكاً ؟ آه مَنْ لى بعمرةٍ وطواف ؟

وداع الشاطئ

عُدْنَا؟ أَجَلٌ ، عُدْنَا ! فَقُلْ لِي: ماذا رأيتَ على « سِتَانِي » ؟
 ماذا رأيتَ ، وقد وقف ستَ ضُحَى على الرمل المِطْلُ ؟
 مِن كُلِّ جِسمٍ ضاحِكٍ يُوحى إلينا بالتملُّ ؟
 مِن كُلِّ غازيةِ القلو ب ، تسير في صَلفٍ ودَلٍّ ؟
 أو كُلِّ ساكنةِ العرا ، ، وكلِّ نازلةٍ بظلِّ ؟
 زُمَرٌ من الحسن الرفي ح ، تطوف في ضنٍّ ونيلٍ !
 هذى تحيَّي من تشا ، ، وتلك تبخل أيُّ بخلٍ
 ضاقت بهنَّ الأرضُ حتى كدتُ أَجَلِي عن محلى !
 فأخذتُ من عجي أحدَ قُ في المُشارفِ والموَلَّى !

من أيِّ وادٍ في الكنا نة ، أو صعيدٍ ، أو محلٍّ
 طلعتُ أفانينُ الجما ل العبقريِّ على « سِتَانِي » ؟
 ولأى سحرٍ في المصيد ف ، يخفُّ كلُّ فتى وكهلٍ ؟
 آمنتُ بالحسن الرفي ع ، وسحره السحر المِضْلُ !

* ميث غمر : صيف ١٩٣٨ .

مهما أقلّ فيه فلس — تـُ يبالغُ جُهدَ المُقلِّ !

يا قلبُ ، والحسنُ استوى ،	خلّ الوقارَ اليومَ خلّ
وابِسمْ كما بَسَمَ الهوى	وانزعْ هنالك كلَّ غُلّ
وانسَ الحياةَ ، وما بها	ودّعَ الشقاءَ لما يسلى
واهتفِ بشـمرك للغوا	نى ، قد برزن بألف شكل !
ألقين عاريةَ الثيا	بِ ، بضيقِها الضيقِ المِل !
وليسنَ أمواجَ الخضمِّ	البيضَ ، إلّا فى الأقل
وسبحنَ ، يا للحسنِ ! كي	ف يغيبُ فى ماءٍ ورمل ؟ !

يا قلبُ إنْ ترجعْ فلم	ترجعْ بعزمٍ مُضمحلّ
ما عدتَ إلا بالحيا	ة ، كأنها دَفَعَاتُ سَيْل !
فأنزِ لى الدنيا لعلّى	مُبَصَّرٌ أملى ، لعلّى !
يا قسوةَ الأيامِ حـولى	يا بَسْمَةَ الدنيا أطلى !

الملاك النائم

في قطار البحر ، أو قطار الفن ، يلتقى الفنان أحياناً
بصور من الجمال النادر ، وقد سعد الشاعر بإحدى هذه
الصور ، أثناء عودته ذات مرة من الإسكندرية ليلاً .
كانت جالسة قبالة تقرأ في جريدة ، حتى إذا غلبها النعاس ،
وسدت الرأس كغها ، واستسلمت لأحلام لأمها كانت
سعيدة ، لما كان يشرق على ثغرها من ابتسام أيقظ
خيال الشاعر وأوحى إليه بهذه الخواطر فإلى هذا
« الملاك النائم » ، أهدى هذه القصيدة ، فهي منه وإليه .

وسَّدَ الرأسَ كَفَّهُ ثم أَغْفَى أُرَاهُ مِنْ شِدَّةِ الْإِنِّ أَغْفَى ؟
أَمْ تُرَاهُ قَدْ مَالَ عَنْهُ حَبِيبٌ يَرْتَجِيهِ فَرَّاحُ يَلْقَاهُ طَيْفًا !
أَيُّ دُنْيَا يَزُورُهَا ؟ أَيُّ حُلْمٍ ذَهَبِيٌّ فِي صَفْحَةِ الْفِكْرِ رَفًا ؟
لَسْتُ أَدْرِي ، لَكِنْ طَيْفَ ابْتِسَامٍ نَمَّ عَنْ حُلْمِهِ السَّعِيدِ وَشَفَا
فَإِذَا بِي أَرَى الْوَدَاعَةَ وَالنَّبْلَ ، يَزِيدَانِهِ جَمَالًا ، وَلَطْفًا !

قَدْ نَزَلْنَا بِظِلِّهِ وَأَخَذْنَا نَتَحَاشَى مَوَاقِعَ اللَّحْظِ خَوْفًا !
فَرَأَيْنَا وَجْهًا أَغْرَّ مَنِيرًا وَعَيُونًا تُوْحِي لَنَا الشَّعْرَ صَرْقًا
وَرَأَيْنَا شَعْرًا يَنْوِي بِهِ الصَّدْرُ وَثَغْرًا يَكَادِي سُكْرَ رَشْفَا
وَرَأَيْنَا قَدًّا أَقْبَّ مَلِيحًا وَنَهْودًا ، تَحُلُّو ، وَتَجْمُلُ قُطْفًا

* القاهرة : صيف ١٩٣٨ .

ورأينا دنيا تموج من الفتنة فيه ، وتخطف القلب خطفا !

أيها الملاك ، يا بسم الله ، تجلت لنا حنانا وعظما
نم قريرا لك القلوب مهادا ولك الشعر مبدعا فيك وصفا
أنت من يمرض القلوب بعينيه ، ومن يجبر القلوب ، فتشفى
أنت تغفو ، وأنت تصحو فلا تر حم قلبا على الغواية أشقى
هو قلبى يخفى الولوع على البعد ، وإن كان ما به ليس يخفى !

لا ترع يا ملاك ! ما أنا إلا شاعر الحسن ، ينشد الحسن عفا
أنا لحن السماء يحنو على الكون ، ويحيا بهذه الأرض ضيفا !
أنا من ينقل الجمال إلى الشعر ، ويرويه للمسامع عزفا
أنا من يعشق الحياة سلاما أنا من لا يود فى الكون ضعفا

لا ترع يا ملاك ، إن راعى الحسن فأمسيت حائرا مستخفا
أنت أيقظتنى ، وأطلعت عيني على عالم من السر أخفى !
أنت أيقظتنى ، فأيقظت نارا أوشكت بالفؤاد تعصف عصفا
أنت تمنى ، فلا تحس بنفس أنت خلقتها بصمتك لمنى !
لا ترع يا ملاك ! إن فؤادى هو أنقى من النقاء ، وأصفى !



الريفية الطائشة

أُحِبُّكَ حُبِّي للحياةِ وربما
أراكِ فيزداذُ الفؤادُ تلهفًا
وفي البعد ، لوتدوين ، مالو بشتته
فقربك يُشجيني ، وبعدك قاتلي
تبسمتِ كالأيامِ تُقبلُ بالمنى
ويا ليتنى أدرى : أوقفُ لمهجتي
أم الطيشُ يهديها، وكالسَّخرِ طيفها،
خصصتُك بالمطف الذي ليس ينفدُ
عليكِ ويُغريني الجمالُ فأسجدُ
لراعكِ منه لاعجُ يتوقدُ
فياليت شعري، أيُّ حالِكِ يُسعدُ؟
فتبعثُ في النفس الحياةَ وتوجدُ
صَدَى بِسماتِ طيفها يترددُ
إلى كلِّ غرٍّ ليس عُقباهُ تحمدُ ؟

تعالى ، أرني وجهك السَّمحَ علني
وهيّا اغمريني بالحنانِ فإنني
وروي فؤادي من حديثك إنه
ولا تسألي عَمَّنْ يَذُمُّ وَمَنْ يَشَى
أرى فيه آمالي إذ العيشُ أنكدُ
سئمتُ تحرّيه ومازلتُ أنشدُ
لأنشودةً يشدو بها ويُغرّدُ
إذا نحن أرضينا الضميرَ ونَدَدُوا

فيا سلوةَ المحزونِ قد سببتُ في الهوى
فما طاب لي عيشٌ ولا خفٌ مقصِدُ

• القرية : صيف ١٩٣٠ .

ويا ربَّ محبوبٍ وقفتُ حياله
فعدتُ وما بى غيرُ داءٍ مخامرٍ
فإن تغمرينى بالحنانِ فإننى
وسوف أقولُ الشعرَ فيك كأنه
وإن تهجرى ، والهجرُ لاشك آفةٌ
فيا ضيعةً للروح والحبِّ فى الدنا
أناجيه فى رفقٍ فيفسو ويخجُدُ
وغيرُ ليالٍ ذكُرها يتجددُ !
لمؤليك إخلاصاً على الدهرِ يخلدُ
من الملاء الأعلى بحسبك يشهدُ
يُصابُ بها الحبُّ العفيفُ فيفسدُ ،
ويا ضيعةً للشعرِ يُحفى ويُرهدُ !



إلى هاجر

يَا مَنْ يُعْنِفُنِي أَنَا وَيَمِطُّنِي
يَا مَنْ يُعْنِفُنِي مَهْلًا فَقَدْ نَجَحْتُ
هَذَا الْفَوَازُ فَتَقَبُّ فِي جِوَانِحِهِ
حَاشَا لَغَيْرِكَ أَنْ يَلْقَى بِهِ سَكَنًا
أَهْوَاكَ أَهْوَاكَ فِي سِرٍّ وَإِعْلَانٍ
كُلُّ التَّجَارِبِ مِنْ بَذْلِ وَحَرَمَانِ
أَكُنْتَ تَلْقَى بِهِ ظِلًّا لِلْإِنْسَانِ ؟
وَأَنْتَ لَا زِلْتَ فِي قَلْبِي وَوَجَدَانِي

* القرية : صيف ١٩٣٠ .

رسالة إلى قلبي

يا فؤاداً دأبهُ الصَّمُّ ما بهذا الشملُ يلتئمُ
قد أقمتَ العمرَ تعطفهم بعيونِ الدمعِ ما رحوا
كلما كاشفتهم بهوى أسرفوا في الهجر واحتكموا
علموا بالأمر فاعتسفوا ليتهم بالأمر ما علموا ..

ما لهذا القلبِ يذكركم وقصاري ذكرهم ندم ؟
ما لهذا القلبِ يتبعهم وهم بالعهد قد برموا ؟
ما له من بعد أن قتلوا ودّه بالأمس يضطرم ؟
عجياً للقلب .. نبصره في مجال الحزيم ينهزم !
وعزيرٌ أنت يرى أبداً للآلى خانوه يحترم
ولمن إن شاء أسعده ووقاه الموت يتسم

يا فؤاداً يستطيعهم أنصفوا في الحب أم ظلموا
لست لي قلباً أدلّ به إن تهنّ أو تنسَ عندهم

* القاهرة : عام ١٩٣١

هم ~~مما~~ ^{تجاوزوا} في جفائهم فلتكن يا قلب مثلهم

ما مُقَامِي اليَوْمَ ، وَأَسْفَى	وَالْأَمَانِي الْبَيْضُ تُحْتَرَمُ ؟
مَا حَيَاتِي الْيَوْمَ فِي دَعَا	وَحَيَاتِي كُلُّهَا أَلَمْ ؟
إِن نَفْسِي فِي حَدَائِثِهَا	دَبَّ فِيهَا الْيَأْسُ وَالسَّقَمُ
لَيْسَ مِنْ حَسَنِ تَهَشُّ لَهُ	كُلُّ حُسْنٍ عِنْدَهَا عَدَمُ !
عَافَتِ الدُّنْيَا وَزُخْرُفُهَا	وَانْزَوَتْ بِالصَّمْتِ تَعْتَصِمُ
وَلَقَدْ تَبَكَّى زَمَانٌ رَضَى	لَمْ تَدُمْ فِيهِ لَهَا النَّعْمُ
عَلَّوْهَا بِالْمُنَى كَذِبًا	إِن شَجَاها ذَلِكَ النِّعَمُ
أَيَقْظُوها طَالَ رَقْدُهَا	وَاعْتَرَاهَا الْهَمُّ وَالسَّأَمُ !

وَيْحَ هَذَا الْحَسَنِ نَعْبُدُهُ	وَهُوَ لَا يَنْفَكُ يُحْتَرَمُ
نُشِيرُ الدُّنْيَا بِسَطَوَتِهِ	وَكَأَنَّا عَنْدهُ خَدَمُ !
نُرْسِلُ الْأَنَاتِ صَامِتَةً	وَالْأَسَى فِي الدَّمْعِ مَرْتَمُ
وَهُوَ لَا يَحْدِثُنَا	وَهُوَ قَاسٍ لَيْسَ يُحْتَشَمُ !

يا فؤاداً جَفَّ أخضره واحتواه الشيبُ والمهرمُ !
لهني كم أنتَ في حُرْقٍ من هوى يطنى ويزدحمُ
غائمٌ كالليل مُتَسَكِّراً هائجٌ كالـوج يلتطمُ
قزودٌ للهوى أسفاً وأنسَ يا مسكينُ جَهْمُ
هو حُبُّ لو إلى صنمٍ كان ليّ حبنا الصنمُ !

الرياء في الحب

لا تروِّق لى السوداد ودغنى حسبُ هذا الفؤادِ ما قد أصابه
أى سَهْمٍ لم يقصِدِ القلبُ حتى زدتَه ظالماً بما قد أذابه ؟
كلُّ خطبٍ يهون فى الحب إلا أن يخونَ الحبيبُ يوماً صحابه
قد ، لعمري ، صحا الفؤادُ وأضحى لا يرى فيك أنسه أو طلابه

يا حياة الخداع : ماذا تريدِىن بِقَلْبٍ قد ملَّ منكِ الدُّعابةُ
كلَّ يومٍ لنا حبيبٌ جديدٌ خائنُ العهدِ فاجعُ أحبابه
كم سَقَيْنَاهُ صافى الودِّ صِرْفاً وسقانا من كأسه المرَّ صابه
كم شَدَوْنَا بحسنه وصَبَوْنَا وهوَ لاهٍ عن شَدَوْنَا والصَّبَابَةِ
للذئابِ الجِيعِ منه جَنَاهُ ولنا منه أن نذوقَ عذابه !

أَلْغَيْرِى وقد رعيتُ صِباهُ ونَضاً الشمرُ فوقه جلبابهُ
يَبْذُلُ الحسنَ طائعاً وهو يدرى أنه مُرْجِى لعهدِ الكآبةِ ؟
أَيْهَذَا المزوقُ الودَّ تَهْلأ لا تكنْ قطُّ بالهوى تَلْعَابَةُ

* القاهرة : عام ١٩٣١

ليس هذا الجمالُ حَقُّكَ دوني فارعَ للشَّعرِ حَقَّهُ وجنابه
كان هذا الجمالُ سرًّا مَصُونًا فكشفنا بالشَّعرِ عنه حجابَه
وجَـلَوْنَاهُ للعيونِ جَمالًا شاعريًّا يَجِلُّ عن أن يُشابهَ
كان حقُّ الوفاءِ ألا تُرينَا خُلُقًا لم نكنْ حَسَبنا حِسَابَه

أجزاءُ الذي اصطفاكَ وأَفَنِي فيكَ ، لو تَدْرِي ، عمرُهُ وشبابُهُ
ورَأَى مِن صفاءِ حُسْنِكَ رَوْضًا يَهْرُ الشَّعرِ ظلُّهُ فاستطابه
أن تجازِيَه بالخيانةِ غَدْرًا ثم تُهْدِي إلى الذَّئابِ ثِيابه ؟
ليتَ لي مثلهم فـؤَادٌ غليظًا يَعْشَقُ الفَتَكَ والدماءَ المُذابَه !
لَفَتَكُنَا كَفَشَكِهِم وانتقمنا في أناشيدَ كُلِّهَا خَلَابَه
بعضها يُطربُ الفؤَادَ ، وبعضُ كُنْتَ تَرْجُو دُنُوَّه واقترابه
يَدِي قد خَلَقْتُ حُسْنَكَ جَهْلًا وبها كُنْتُ مَن أرادَ ذهابَه !

عهد جديد

وكالأمَلِ المحبوبِ وجهك حينما تطالعي منه العيونُ النواعسُ
هو الصبحُ، لولا أنَّ بالصبحِ حاجةً إلى شاعرٍ تهفُّو إليه العرائسُ

قفي يا رجاء القلب وقفةً مُشْفِقِ لينعمَ محرومٌ ويسعدَ بأُسُ
قفي قاسمِني الحبَّ فالعُبءُ مرهقُ ألا والمسي في الحب ما أنا لامسُ
فما أنا من ودِّ الهوى وأراده ولكنه طَرْفٌ هناك يُخَالِسُ
وقفتُ على هذى العيونِ عواطفِ وإني عليها ما حيتُ لحَابِسُ

لك الله لا تنأى : فما لي مَطْمَحُ سواك ، ولا لي في هواك مُؤَانِسُ
أحبُّ فيسمو بي العفافُ إلى الذرى ويرفعني أنى على الحسنِ حارسُ !
أظَلُّ به أشدو وما كنتُ شادياً ولكنني من ذلك النورِ قابِسُ

فديتك لا أقوى على الحب صامتا يُزِيلُنِي فيه الجوى ويلابسُ
هو الشكُّ مجنوناً ، هو اليأسُ طاغياً هو الموتُ يرَّوُّ، وهو غضبانٌ عابسُ

✻ القاهرة : عام ١٩٣٢ .

فيا سلوة القلب المهيض رجاؤه
فقدت أمانى الوضاء ، وعقنى
وإما اذلهم الليل واشتد هوله
وياربما تغفو القلوب قريرة
فلا هو ، كالأحياء ، بالعيش ناعم
ولا هو ، كالموتى ، يداويه راهس
حنانك ؛ إني من حياتي يأس
رفاق ، ودهر لا يزال يشاكس
تساورنى ، أوّاه ، فيك الهواجس
عشية هذا القلب يقظان ناعس
ولا هو ، كالموتى ، يداويه راهس

هبي لى على الأيام لذة طامع
وطرفاً يشع الحب أبيض صافياً
وتغراً أحييه ، وأحياً يبرده
فكالأمل المحبوب تغرك حينما
ومجلس بث ما اختوته مجالس
فتدنو به السلوى وتنأى الوسوس
ينافسني فيه الهوى وأنافس
تقرّ بني منه الشفاء الهوامس !

مناجاة

هَمْ هَذَا الْفؤَادِ أَنْ تُسْعِدِيهِ
بَعْدَ مَا كَانَ مِنْ دَلَالٍ وَتِيهِ

إِنْ يَكُنْ بِأَحْ بَالِهَوِي رَغْمَ ضَنِّي فَاتَّقِ اللَّهَ فِي الْهَوَى ثُمَّ فِيهِ
وَبُودِي أَلَّا يَبُوحَ ، وَلَكِنْ كَيْفَ يُخَفِّيه وَالْجَوَى يُبْدِيهِ ؟
أَشْعِرْنِي بِأَنِّي بَعْدُ حَيٌّ وَكَذَا الْقَلْبُ بِالْهَوَى أَشْعِرِيهِ
وَارْمُقِيهِ بِنَظَرَةٍ مِنْكَ تَحْيِيهِ ، فَمَاذَا عَلَيْكَ أَنْ تَرْمُقِيهِ ؟
صَاحِبٌ فِي الضَّلُوعِ نَازِعَهُ الشَّوْقُ ، فَلَا تَهْجُرِيهِ أَوْ تَقْطَعِيهِ
فَكَلَا الْمَجْرِ وَالْقَطِيعَةُ دَائِمٌ أَكْبَرُ الظَّنِّ أَنَّهُ يُرْدِيهِ !

* القاهرة : عام ١٩٣٢ .

حين الفراق

لا تحسبوا البعد يُنسيني مودتكم هيهات هيهات أن تُنسى على الزمن
فليهدأ الآن قلبٌ كان وا أسنى كالطير حيران : من غصن إلى قن
ألا ليالي يعضُّها كالتى سلفت أنسى بها كلَّ ما عانيتُ من محن ؟
أصبحت لي وطنًا أزهو بنسبته على الأنام ، ألا بوركتي يا وطني !

إهداء صورة

هذه صورتي علاها اكتاب ،
فانظريها ترى مُحنًا كئيبًا !
مسَّها الشَّمْ في ربيع شباب ،
فاستحال الشبابُ منه شحوبا
تعرف الماضي العزيزَ علينا ،
فاسألها ... لعلها أن تُجيبا ... !
واحفظيها .. فقد تُؤسِّيك يوما ،
عندما يفقد الحبيبُ الحبيبا !

* القرية : عام ١٩٣٢ .

الطائر المتقل

لا تُراعى إن حَطَّ طائرُكِ الحرُّ على غيرِ روضِهِ أو غصنِهِ
أو تخافى إن راح يهتف بالأسد ماء في كل مُطربٍ من لحنِهِ
أنتِ أنتِ التي يلوذُ بها الطاء تُر في صفوهِ وساعاتِ حزنِهِ
فدعيهِ يطرُ يُغَرِّدُ للحُسْنِ من ؛ فأنتِ المرجوُّ من كل فنِّهِ
لا تروى تقييدَهُ يسأمُ الأسد رَ ويلقِ العذابَ في ليلِ سجنِهِ ؟

* ميت غمر : عام ١٩٣٢

العائبة

حنانيك : بعض اللوم والعيب إنما
أنا الشاعر المشغوفُ بالزهر عابقاً
أنا الشاعر المشغوفُ بالحسن أجتلي
يطير عليه القلبُ في كل مشهدٍ
فما أنا من قلبي بمالك أمره
ولكنه قلبٌ يعيش لغيره
أيأثم هذا القلبُ إذ هو رافعي
لئن كان في تقديسي الحسن مأثمٌ
أنا الشاعر الجوّالُ في الأرض والسما
وبالروض مطلولاً وبالطير حوَّماً
روائعَه أنى حلتُ وحيثما ..
ويهفو إليه هازجاً مترنماً
ولا أنا إن محضته النصيح أسلماً
وكم مرة عاتبته فتبرّماً !
إلى عالم أبهى وأسنى وأعظماً ؟
يُظنُّ فإني لا أرى فيه مأثماً !

أعيدُك أن ترضى له القيد ؛ إنني
وما الشاعر الموهوبُ بالشاعر الذي
دعاه يطير في الكون يسعدُ بائساً
دعاه يغرد للجمال على المدى
فما الخلدُ إلا ما يصورُه لنا
أرى القيد موتاً للنبوغ مجسماً !
يطيقُ حياة الأسرِ صاباً وعلقماً
ويفرحُ محزوناً ويوقظ نوَّماً
أغاريد ما أندى وأحلى وأنما !
وما السَّحرُ إلا ما يرجع مُبهماً !

* مبدع غمر : عام ١٩٣٢ .

وعاتبةٍ غيرى تقول وقلبها
أجدك لا تنفك تذكر غيرنا
عدتك العوادي . كيف ، بالله ، لم تعد
لك الله ! كم تقسو ، ولم تدر أنى
فقلت لها أحب بعثك قاسيا
هو الفن يدعونى إليه بسحره
من اللوعة الحرى يخال جهنما :
وتنسى التى أولتك حبا وأنما ؟
تحن إلينا بعد ما كنت مغرما ؟
«ضعفت وكاد القلب أن يتحطا» !
وحبك مكبوحا وشعرك قيما
وهيات أن ألقى أصم وأبكما

الأجنبينى العشب ، فالعشب أفة
ولا تحسبى قد نسيت شقاوتى
فما أبعث الأشعار إلا زراية
من العيش مذموما ، من الحظ عابسا
تصير صرح الود ربعاً مهدما
وأصبحت أحياء فى الحياة منما
وما أرسل الأنعام إلا تهكما
من الصبح ختلا ، من الدهر مجرما !

لك الحب منى ما حيت ، وإن تكن
حياتى ما أشقى وأقسى وألما !

ديار الأحباب

أنعشنا روائح من ديارٍ كم حنّا لها وللساكنينها
يا ديارَ الأحبابِ أهلاً وسهلاً من غريبٍ عنها، وإن كان فيها !

* في الطريق من ميت غمر إلى القاهرة : عام ١٩٣٢ .

زورق النور

يا قلبُ ماذا جَدَّ بِمَدِّ المَتَابِ يا قلبُ حتَّى عُدَّتْ بِي للعَذَابِ ؟
اليومُ تُغريني بِحِجْرِ اللَّظَى وبِالَّذِي مَا كَانَ لِي فِي حِسَابِ
يا حَسَنَهَا مِنْ طَلْعَةٍ لَمْ تَكُ دُ تدعو قَدِيمَ الشَّوْقِ حتَّى اسْتَجَابِ
أَرْتُو وَتَرْنُو فِي اخْتِلَاسٍ ! فَيَا قَلْبِي : أَأَحْبَبْتَ ؟ أَيَا لِمَصَابِ !
مَنْ يَنْصَحُ القَلْبَ بِأَنْ يَرْعَوِي عَنْ غِيَّهِ فِي السَّعَى خَلْفَ السَّرَابِ ؟
مَنْ يَنْصَحُ القَلْبَ الَّذِي كَلَّمَ نَادِيَّتَهُ أَغْضَى وَعَافَ الْخَطَابِ ؟

يَا رَبَّةَ الحَسَنِ الَّذِي هَزَّنِي إِشْرَاقُهُ فِي رَوْعَةٍ وَاجْتِدَابِ
ماذا دَعَانِي لِلْهَوَى بِمَدِّ مَا أَهَلَّتْ بِالْأَمْسِ عَلَيْهِ التَّرَابِ ؟
سَعِيرُهُ الْمَشْبُوبُ فِي أَضْلَعِي ؟ أَمْ شَكُّهُ يَفْعَلُ فَعْلَ الْخَرَابِ ؟
أَمْ هَجَرُهُ أَظْلُ فِيهِ الْمَدَى كَأَنَّنِي فِي عَزَلَةٍ وَاغْتِرَابِ ؟
لَعَلَّهُ الشَّوْقُ إِلَى نُورِهِ وَرَوْضِهِ الْمَعشُوشِ الْمُسْتَطَابِ !

يَا أَيُّهَا النُّورُ الَّذِي شِئْتَهُ فِي خَاطِرِي يَنْسَابُ أَيُّ انْسِيَابِ
بَدَّدَ ظِلَامَ النَفْسِ مِنْ أَفْقِهِمَا وَقَدْ زِمَامَ الرُّوحِ نَحْوَ الْعُيُوبِ

* الفرية : عام ١٩٢٣ .

وَقِفْ عَلَى الشَّاطِئِ أَوْ سِرْ بِهَا فِي ذَلِكَ الْيَمِّ الْفَسِيحِ الرَّحَابُ
يَا مَا أَحْيَلَى نَسَمَاتِ الْهَوَى تَعَطَّرُ الْقَلْبَ بِرَيَّا الشَّبَابِ !

يَا عَالَمَ الْوَحْشَةِ ! لَا مَرْجَا يَا عَالَمَ الْقَيْدِ وَدُنْيَا الصَّعَابِ !
جَسَمَتْنِي مَا لَيْسَ فِي طَاقِبَتِي مِنْ دَمْعِي الْغَالِي وَقَلْبِي الْمَذَابِ
وَمَوْكِبُ الْأَحْلَامِ هَذَا الَّذِي أَلْفَتْهُ مِنْ كُلِّ خَوْذِ كَعَابِ
أَلَسْتُ يَا ظَالِمٌ مَنْ رَدَّهْ فِي حَيْرَةِ الذَّاهِلِ وَسَطِ الشَّعَابِ
يَا عَالَمَ الْقَيْدِ : ودَاعًا فَا عَدْتُ أَطِيقَ الْعِشْرِ رَهْنًا اكْتِثَابِ !

يَا زُورِقَ النُّورِ : إِلَى جَنَّتِي صِرْ بِي عَلَى الْأَمْوَاجِ طَيْرَ الْعُقَابِ
وَأُطْلِقِ الْبَشْرَى ، عَسَى أَنْ أَرَى أَسْوَارَهَا مِنْ خَلْفِ هَذَا الضُّبَابِ
قَدْ شَفَّنِي الشُّوْقُ لَوْ كَرِ الْمُنَى وَمَا بِهِ مِنْ كُلِّ مَرَأَى عُجَابِ !

هَا قَدْ بَلَّغْنَاهَا ! فَعَنِّي لَبَا يَا رَبَّةَ الْأَحْلَانِ لَحْنَ الْمَاءِ
يَا فَرَحَتِي بِالنُّورِ ! يَا فَرَحَتِي ! وَيَا نَعِيمَ الْقَلْبِ بَعْدَ الْعَذَابِ !

هَا قَدْ بَلَّغْنَاهَا وَطَفْنَا بِهَا ! فَاسْتَقْبَلْنَا الذِّكْرِيَّاتُ الْعِذَابِ
فَيَا رَثِيبَ الشُّوْقِ : هَاكَ الشَّدَى وَيَا ظُمَاءَ الرُّوحِ : هَاكَ الشَّرَابِ !

النجوى

هل تنظرين لمغرم صبَّ
أيقظته من بعد غفوته
وتركته من بعد هدأته
إني لألح منك عاطفةً
ويهزني شوقاً ، ويأسرني
يرجو ويأملُ نعمة القربِ ؟
وأثرت فيه دواعي الحبِّ
حيران من جنبٍ إلى جنب !
مشبوبةً في البعد والقرب
سحرٌ يموجُ بصوتك العذب

ما هذه النظراتُ حاملةً
ما هذه الأنوارُ مشرقةً
ما هذه القاماتُ صاعدةً
ما هذه الدنيا التي سَفرَتْ
إني لأصبو ثم تزجرني
تسرى مهومةً إلى قلبي ؟
تُزرى بنور الشمس والشهب ؟
كالغصن ماسٍ ، ومال من عُجب ؟
في طلعةٍ فتانةٍ تسبي ؟
عما أريدُ بواكرُ الشيب .. !

هذا الفؤاد وقد نزلت به
فاحني عليه ؛ فقد غداً غرضاً
قد ملّ طول الهجر والعشبِ
أعيا الأساة وحيلة الطب !

* ميت غمر : عام ١٩٣٣ .

وتعمّديه بكل عاطفة
مأذا عليك إذا شفقت به
وجعلته فرحاً مبهجاً
وسفرت عن أمل له نصير
إن تأخذى يديّ مرحة
فلأنت من بين الورى حسبي!

تُسيه ما عاناه من خطب
وقلت فيه بؤادر الرّيب ؟
طلق المحيّا دائم الوئب ؟
ملّ الشواء بحومة الغيب ؟

ربة الحسن

ياربة الحسن: هل لي فيك من أمل ؟
أدورُ حولي فلا ألقى سوى زُميرٍ
وأقطع العمرَ رهنَ القيدِ منفرداً
حتامَ أبقى على الأيامِ مرتخصاً ؟
ياربة الحسن : فيك الآن مُطلبي
فجددي القلبَ بالآمالِ مشرقةً
إني هُجرتُ ، وكلُّ الناسِ عاداني
من الوحوشِ بدتُ في زىِّ إنسان !
لاخلَّ يذكّرني ، لا قلبَ يرعاني
حتامَ يُنكرني حظي وَيَقْلَانِي ؟
وفيك ما أرتجى من عيشي الفاني
وأشعري الرضا من قلبك الحاني

* القرية : عام ١٩٣٣

الطيف الزائر

هفا والليلُ ممتدُّ فأيقظ جفني الساهي
ومال عليَّ في صمتٍ فعانقَ جسمي الواهي

وألقى رأسه شوقاً على صدرى كمن أغفى !
أبالإغفاء تقتلني وتخطف مهجتي خطفا !

تحدثني أيها الطيفُ فقد أحدثت لي شجنا
نزلت اليوم في وطنٍ هجرت ربوعه زمنا !

تحدثني وابتدع لحناً يهدئ ثورة القلب
ويعلا خاطري أملاً ويُقدرني على الحبِّ

حبيب القلب والنفس أتذكر ليلة البدر ؟
عشية كنت تبهرني بكلِّ روائع السحر ؟

* القرية : صيف ١٩٢٣ .

أتذكر أننا كنا نسير هناك في الوادي
يحادث بعضنا بعضا برغم الريح القادي ؟

وكم من مجلس عبق أقنصاه على الشاطئ !
ونوسع ماءه عبثا فيضحك موجه الهادي !

أتذكر ؟ لا ، فما الذكرى بمرجة لما فاتنا
رجاء كنت أنشده وأزعم أنه ماتا !

وكيف ذكرت مغتربا براه الشوق واللهم ؟
أجئت تعوده أم جئت تُضنيه وتنصرف ؟

أفنى يا طيف من أهوى أفق فالنوم قد طالا !
أتغفون ثم تتركني أعاني منك أهوالا ؟

صحا والفجر يرمقنا بطرف نائم صاح
وودعنا على ظمأ لحسن فيه وصاح

ضلالٌ هذه الدنيا تفرّقنا ، وتجمعنا !
وتُديننا ، وتُبْعِدنا وتُغرينا ، وتَفْجِئنا !

فليتَ الحبُّ يُسعدنا فنلقِ عنده الأمانا
ولكن أين ما نرجو وكلُّ سعادةٍ تفني !

جـمـوح قلب*

إلام يا قلبُ تَسْتَبْقِي مودَتَهُمْ	وقد أذاقوك ألواناً من الوَصَبِ ؟
وكم تحنُّ إليهم غيرَ مُكْتَرِثٍ	بما تلاقيه من صدٍّ ومن غضبٍ ؟
تظل تسعى مدى الأيامِ تطلبهم	والمرُّ يذهبُ بين السعى والطلبِ
يا قلبُ حسبك ما قد ذقتَ من حُرْقٍ	يا قلبُ حسبك ما قد نِلتَ من تعبٍ
ماذا عليك إذا ما عشتَ منفرداً	ونمتَ عن كلِّ مرجوٍّ ومرْتَقَبٍ ؟

* الفرية : عام ١٩٣٣ .

دعاء . . . !

يا ربة الوطن القصي النائي هَلَّا أَصْخَتْ لَصْرَخَتِي وَدَعَائِي ؟
ذَكَرَاكِ لَا تَنْفَكُ تَمَلُّاً خَاطِرِي وَتَهَيِّجُ مِنِّي سَاكِنَ الْأَهْوَاءِ
أَمَّا الْجَفَاءُ . فَقَدْ تَطَاوَلَ عَهْدُهُ وَلَقِيتُ فِيهِ ، وَمَا أُرِدْتُ ، شِقَائِي .
أَهْوَاكِ مِنْ قَلْبِي وَكُلِّ جَوَارِحِي وَعَوَاظِنِي ، يَا بَخْتَةَ الشَّعْرَاءِ
وَأَيَّسَ أَيَّامِي بِأَيَّسِ لَحْظَةٍ أَلْقَاكِ فِيهَا تَوَثُّرِينَ لِقَائِي .
تِلْكَ السَّعَادَةُ ، لَا سَعَادَةَ بَعْدَهَا لِمُعَذِّبٍ . . . طَاوٍ عَلَى الْبُرْحَاءِ !

هَلْ تَذَكِّرِينَ لِيَالِيَا كُنَّا بِهَا فِي نَجْوَةٍ عَنْ أَعْيُنِ الرِّقَبَاءِ ؟
فِي كُلِّ مُنْعَطَفٍ وَشَاطِئِ جَدُولٍ أَثْرٌ يُحَدِّثُ عَنْكَ بِالْإِيمَاءِ
وَعَلَى الْحَدَائِقِ مِنْ جَمَالِكَ صُورَةٍ لَمَّا تَزُلْ فِي بِهِجَةٍ وَرُوءٍ
تَتَعَاقَبُ الْأَيَّامُ وَهِيَ كَمَهْدِهَا تَسْبِي وَتُغْرَى كُلُّ طَرْفٍ رَاءِ

وَنَأَيْتِ ! يَا اللَّهُ مِنْ أَثَرِ النُّوَى فِي مَغْرَمٍ يَهْفُو لِطِيفِ لِقَاءِ !
خَلْفَتِهِ يَشْتَاقُ مِنْكَ شِمَائِلًا رَفَّتْ رَفِيفَ الْعَطْرِ وَالْأَنْدَاءِ

(*) القرية : عام ١٩٣٣ .

لا يستريح ، ولا يُريح ! فياله
يرعى النجومَ طوالاً وغوارباً
ويودُّ لو يحظى بطيفك في الكرى
صَبًّا غداً في محنةٍ وبلاء !
ويبيت يقرعُ صخرةَ الظلماء
فيردُّ عنه الشَّهْدُ كلَّ رجاء !

هل ترحمين القلبَ طال عناؤه
أم سوف أقضى العمرَ أندب ماضى
فأراكِ راعيةً عهدَ وفائى ؟
في لوعةٍ مجنونةٍ وبكاء ؟

دائمٌ أصبتِ به الفؤادَ ! ولم أزل
أبغى الشفاءَ ، ولاتَ حينَ شفاى !

في السحر

قال لي طيفك : ماذا ؟ لم تعد
أصحا قلبك عنا ؟ أم فقدت
دائمَ اللهفة والشوق ولوعا !
زمنٌ كُنّا به الدنيا جميعا !

أ كذا الأيام والأحداث تُنسى
واللجوجُ الدائمُ التَّحْزَانُ يُنسى
في اقتدارِ كلِّ ذى إلفٍ أليفه ؟
تُكرُّ النفسُ على البرءِ وجيفه ؟

أين شِعْرٌ كان يَسْرِي كالشعاعِ
كان يَلْمَحُهُ، ولكن في اصطناعِ
يملاً الخاطرَ نوراً وجمالاً ؟
لِزَيْدِ الحُبِّ وَقْدًا واشتعالاً !

عجبا يُضْنِيكَ بالصمتِ الطويلِ
ولقد يعلم ما سرُّ الدهولِ
ثم تلقاهُ بشوشاً مَرِحاً !
ثم لا يَرِنِ لقلبٍ جُرْحاً !

ذلك الصمتُ الذي أنتَ عليه
أملأ كنتَ ندياً في يديه
أيقظ الشكَّ قوياً فبكى
ثم أنكرتَ يديه فاشتكى !

* القرية : عام ١٩٣٣ .

حائرٌ يَهْوَى ، ولكن لا يبينُ ما أشقَّ الحبَّ إنْ ظَلَّ جنينا ؛
وإذا لَجَّ به الحبُّ الكمينُ قال : عِشْ في ظلمة الغيبِ سجيناً !

وإذا ما وحشةُ الليلِ سرتُ في البرايا واحتواه المضجعُ
غلب الوجدُ عليه ومشَتْ في حنايا القلبِ نارٌ تلدع !

يتمنَّاك ولكن يالها حيرةً تَطغى على ما يتمنى !
كلما همَّ بشكوى غالها كبرياءٌ فيه لا تألوه ضنا

أفلا رجعةً من بعد انقطاع أفلا ذكرى إلى عهد الأمانى ؟
ذاك عهدٌ بات في كفِّ الضياع فأحمه ، إنْ شئتَ ، من كيد الزمان

أيهذا الطيفُ ياصنُو فؤادى يا صدَى الصوتِ الذى كان ندياً
كم أقتُ الليلَ موصلَ السهادِ أطلبُ النـومَ فيأباه علياً !

كم رجوتُ القربَ أروى ظمئى وأريحُ القلبَ فى ظلِّ حبيبي !
بحديثٍ منه يجلو صدئى ثم لم أسعدْ به يوماً مُجيبى !

والعتابُ المرءُ ! يا هَوَلَ العتابِ إن أُمِحْ بِالْحُبِّ أو أَلِفْظُ بِهِ !
ما حياتي في اضطرابٍ وعذابٍ من كثير العتبِ ، بل من حُبِّهِ ؟

كنتُ أحجوه إذا الهمُّ طغى يَنْسَخُ الهمُّ بصفوٍ شاملٍ
فأبى الصفوَ لقلبي ، وابتغى أن أعيش العمرَ عيشَ الثاكيلِ !

فأنا اليومَ أوارى أُملى بعد ما كان سِنِيًّا كالضياءِ
وأعيش الوقتَ رهنَ المنزلِ عيشةَ المفجوعِ في كلِّ رجاءِ

أيهذا الطيفُ : لا تبرحْ مُقيما إنك الذكري لعهدِ دائرِ
آه كم هَمْنَا ! وكم كنا قديما نُطْرِبُ الحُبَّ بِشَدْوٍ ساحرِ !

عواطف مكبوحه

وَأُرِيدُ لو أَفْضِي له بمواجعي فَيَصُدُّني خوفُ العتاب اللاذع
أبدًا أَهيمُ به وأُخفي لوعتي كي يطمئنَّ ! وليس ذاك بِنافعي
ويدي تنازعني اليراعة ، يا يدي كم مرة سالت عليكِ مصارعي !
أشكو الحياة، ولم أَرُدْ شكوى الهوى فيثورُ من شكوى الفؤاد الجازع

مالي وللحب الذي لا ينثنى يطغى على بوجهه المتدافع
في كل يومِ لوعةً مجنونةً وهوى يَشُبُّ سعيه بأضالعي
فإلامَ أخضع كالأنام... أنا الذي ما كنتُ يومًا في الحياة بخاضع ؟
يا ليت من أغرى الفؤاد بحبه جعل الرضى حظَّ المحبِّ القانع !

آه له من صاحبٍ متمنعٍ أتراه يعشق أن يظل منازعي ؟
حتامَ أوليه المحبة والرضا ويُطيلُ في لومي ويوقظ هاجمي ؟
وأصوغُ فيه الشعرَ وحيا ناطقًا فيردُّ أشعاري وكلَّ روائي ؟
أأظل أحيا العمرَ بين وساوسٍ وحشاشيةٍ حرّى وطرفٍ داعم ؟

* القرية : عام ١٩٣٣ .

دنیا من الحب العفیف رجوتُها فإذا الرّدى طئ الرجاء الخادع !

يا قلبُ : شأنك والهمود وعيشة	تنسى بها خُدعَ الجمال الرائع
واقتلُ حنانك بل عواطفك التي	كانت لحينك كاللحم الواقع
وإذا يهيجُك للهوى فاهتف به :	يا طالما رفّت عليك مدامي
قرّبت لي بالأمس أسباب الهوى	حتى غويتُ ولم أجدك مشايمي
واليوم أقطعها ، وحسبك شقوة	أن كنت أنت إلى القطيعة دافمي !

إليها

أناعة أنتِ أم ساهرة ؟ وناسية أنتِ أم ذاكرة ؟
وعندكِ أنى سليبُ الرقاد تغالبنى مُهجةٌ حائرة ؟
وقلبٌ يحنُّ حنينَ الغريب ويهفو لطلعتكِ البـَاهرة ؟
أجيبى فإنى قليلُ الهجوع كثيرُ الوسواسِ يا ساحرة ؟
وكيف تنامين ملء الجفونِ وأسهرُ لم تَغشِضِ ناظرة ؟

وليلٍ من الوجد لم تألفيه أناجى به روحك الطاهرة ؟
وأهمسُ بالحب فى رِغْشَةٍ وأدعوك فى لفحةِ ظاهرة ؟
فلا تسمعين دُعاء الفـُؤاد ولا تفهمين له خاطرة !
كأنك لم تُفصحى عن هواكِ يسمتكِ الحلوة الطافرة !
ووجهك هذا العفيف طغت عليه عواطفكِ الفائرة !
ولم تبعثى القلبَ بعد الهمودِ وتُحى عزيمته الخائرة !

تعالى فقلبي كقلب الجديبِ يحنُّ إلى الدَّيْمَةِ^(١) الماطرة !

* ميت غمر : عام ١٩٣٤ .

(١) السحابة .

عليك غدتُ أبداً طائراً !	تعالى فنفسى برغم الهدوء
ونصغ لنغمته الساحرة !	تعالى نرتل نشيد السماء
من الشط للروضة العامرة !	تعالى نعش كخفاف الطيور
ونَهْفُ مع النَّسْمَة العابرة !	تعالى نهم فوق وشي الرياض
بعيداً عن الأعين الناضرة	تعالى لنذكر سرّ الخلود
بأنفاسك الرطبة العاطرة	تعالى لأطفىء نار الحنين
وعهد ليالٍ مضت جائرة	وأنسى بقربك عهد الشقاء
فأبقت لنا لوعة غائرة	وعهد أمانٍ ثوت في الربيع
وتطفئ بأمواجها الزاخرة	تعالى وخلي الحياة تهيج
وأنت معى قدرة قادرة ؟ !	وكيف أخاف صراع الحياة

تُجَنُّ بك المهجة الساعرة ؟	لأى المعانى وأى السمات
كأنى به روضة زاهرة !	لوجهك ! يا لجمال الوجوه
كأنى به النية الطاهرة !	لقلبك ؟ يا لنقاء القلوب
كأنى بها خلقت شاعرة !	لنفسك ؟ يا لسمو النفوس
وأنت مئى نفسى الحائرة !	أحبك أنت ! فأنت الحياة

اطلعي*

اطلعي فالطرفُ ظمآنُ إلى طلعةٍ كالصبح ، موفورَ الضياء؛
اطلعي فالقلبُ هيمانُ إلى بسمَةٍ تُحيي به ميتَ الرجاء
اطلعي فالكونُ إمّا تطلعي تُشرقِ الغبطةُ فيه والرضاء !

* ميت غمر : عام ١٩٣٤ .

أَيْنَ أَنْتِ؟

أَيْنَ أَنْتِ الْآنَ يَا مَنْ قَيَّدَتْنِي
أَيْنَ أَنْتِ الْآنَ يَا صَاحِبَتِي
أَنَا فِي الْقَيْدِ أَعَانِي ثِقَلَهُ
وَطَأَةُ الْقَيْدِ أَقْضَتْ مَضْجَعِي
أَيُّهَا الْأَحْرَارُ : مَا أَسْعَدَكُمْ !
وَأَنَا فِي الْقَيْدِ أَبْكِي وَحْدَتِي
بِهَوَاهَا ، ثُمَّ غَابَتْ عَنْ عَيُونِي ؟
أَيْنَ أَنْتِ الْآنَ ؟ قَدْ طَالَ حَنِينِي !
مُسْتَسِرًّا فِي غِيَابَاتِ السَّجُونِ !
ظِلْمَةُ الْغَيْبِ أَعَادَتْ لِي شَجُونِي
لَا تَبَالُونَ بِقَيْدٍ أَوْ سَجِينِ !
أَطْلُبُ النُّجْدَةَ مِنْ غَيْرِ مَعِينِ !

أَيْنَ أَنْتِ الْآنَ يَا شَمْسَ الضُّحَى
أَنَا أَهْوَاكِ وَأَهْوَى طَلْعَةَ
خَفَقِ الْقَيْدِ رَوِيدًا تَوَجَّرِي
آه لَوْ أَدْنَيْتِ لِي مُطَّلَبِي
آه لَوْ وَاسَيْتِ قَلْبِي بَعْدَمَا
كُنْتُ أَنْتِ الْمَطْلَبَ الْمَرْجُوَّ مِنْ
يَا رَجَاءَ الْقَلْبِ ، يَا أَنْسَ الْحَزِينِ !
تَأْسِرُ الطَّرْفَ وَتُغْرِى بِالْفَتُونِ
وَدَعِينِي أَسْتَرْخِ مِنْهُ دَعِينِي !
آه لَوْ أَلْقَاكِ فِي طَوْنِ عَيْمِي
أَذْبَلْتُ آمَالَهُ رِيحُ السَّنِينِ !
عَالَمٌ سَاءَتْ بِمَنْ فِيهِ ظَنُونِي !

* مِيتْ غَمْر : طَام ١٩٣٤ .

البعث

قَبْلَ الْأَمَالِ صَبٌّ قَبْلَكَ وَاَهْتَدَى لِلْخُلْدِ قَلْبٌ غَاظَكَ
أَيُّ دُنْيَا مِنْ فَتُونٍ وَرَوَى أَنْتِ إِذْ تَدْنِينَ مِنِّي يَا «مَلَكُ» ؟
وَجْهَكَ اللَّيْلَةَ فِي إِشْرَاقِهِ قَدْ أَرَانِي الصَّبْحَ فِي جَوْفِ الْحَلَكِ
وَبَعَيْنَيْكَ عَلَى لَطْفِهِمَا أَسْهَمٌ مَنْ تَبَغَّه يَوْمًا هَلَكُ
وَعَلَى ثَغْرِكَ أَطْيَافُ الْمَنَى تَوْقِظُ الْفَرَحَةَ وَالْأَشْوَاقَ لَكَ
ظَلَلِي اللَّيْلَةَ صَبًّا طَالَمَا بِأَفَانِينَ هَوَاهُ ظَلَّلَكَ . .
لَا وَمَنْ أَوْدَعَكَ اللَّطْفَ وَمَنْ فِي شَغَافِ الْقَلْبِ مِنِّي أَنْزَلَكَ
لَسْتُ ، كَالنَّاسِ ، رِيَاءً ، إِنَّمَا أَنْتِ لَوْ تَدْرِينَ فِي الدُّنْيَا مَلَكُ
يَنْظُمُ الْأَحْلَامَ فِي مَوْكِبِهِ وَيُرِينَا كُلَّ حُلْمٍ فِي فَلَكَ !

لَا تَقُولِي : الْوَقْتُ قَدْ طَالَ بَنَا أَنَا عَمَّا ذُقْتَهُ لَنْ أَسْأَلَكَ !
الْصَدَى^(١) قَدْ أَتَلَفَ الْقَلْبَ الصَّدَى فَهَلُمِّي أَوْرِدِيهِ مِنْهُمُ الْمَلَكُ !
لَا تُطِيلِي الصَّمْتَ تَعْظُمُ لَهْفَتِي وَاطْمَئِنِّي لَنْ تَرَيْنِي مُثْقَلًا !

* ميت غمر : عام ١٩٣٤ .

(١) شدة الظمأ والشوق .

وَابْسِمِ لِي ، أَوْ حَتَّى بِسْمَةٍ مِنْكَ لَا أَحْظِي بِهَا ؟ مَا أَبْخَلَكَ !

مَوْتَلِ الْمَطْلُوبِ مِنْ أَيَّامِهِ لَا تَضْنِي وَامْنَحْنِي مَوْتَلَكَ
فِيكَ لِي بَعَثُ أَجَلٌ ! يَا فَرَحْتِي بِكَ يَا رُوحَ الْأَمَانِي يَا « مَلِك » !
فَدْعِينِي أَلْتُمِ الْأَضْوَاءَ ، بَلْ أَلْتُمِ الطَّهَرَ الَّذِي قَدْ جَمَلَكَ
نَحْنُ فِي الْخُلْدِ هُنَا نَحْيَا مَعًا فَهَبِينِي خَيْرَ مَا قَدْ يُمْتَلَكُ
دُمِيَّةٌ أَنْتِ ؟ أَجَلٌ ! مَرْسَلَةٌ بِالْهَدْيِ ، جَلَّ الَّذِي قَدْ أَرْسَلَكَ !

يَا رَجَاءَ الْقَلْبِ ، يَا طَيْفَ الْمَنَى نَوِّلِي اللَّيْلَةَ قَلْبًا نَوَّلَكَ
أَدْنَا الْمَوْعِدُ يَا صَاحِبَتِي وَغَدَا أَمْرُ التَّنَائِي شَاغَلَكَ ؟
أَدْنَا حَقًّا ؟ لَقَدْ أَذْهَلَنِي هَوْلُهُ الْبَادِي ؛ كَمَا قَدْ أَذْهَلَكَ !
سَاعَةَ الْخُلْدِ : أَلَا مَا أَعْجَلَكَ ! لَيْلَةَ الْبَيْنِ : أَلَا مَا أَطْوَلَكَ !

الشمس الجديدة

من وراء الغيب في دنيا الظلام أشرقت شمسٌ على الكون جديدةً
أشرقت تخطفُ أبصارَ الأنام وتمنّهم بأحلامٍ سعيدة !

لم يصنعها الله إلا من رجاء وحنانٍ وخيالٍ عبقرى
كلّ من مسّته في الكون أضاء وتجلّت فيه آياتُ النّبى !

فَتَنَ الناسُ بها من كل جنسٍ فإذا هم أوشكوا أن يعبدوها
أسعدتهم بعد إيحاش بأنسٍ وهى لا تطمع في أن يسعدوها

وتجلّى النورُ في الأفقِ البعيد فتلفت أرى من صاحبه
فإذا الفرحة تسرى في الوجود وإذا النورُ تعالى واهبه !

كنتُ في داجٍ من الوحشة أحيًا ثم لاحت لي على غير انتظار

فأرتني الغيبَ إلهامًا ووحيا وحبثني الأنسَ يحدوه الوقار

وقفتُ بي لحظةً كالحالمة ثم راحتُ تسألُ الغيبَ الضنين
ليتني أدرى ، أروحُ هائمة ذلك الإنسيُّ ، أم ماذا يكون ؟ !

مَنْ تُرَى أَنْتَ ؟ وماذا يشغلك أيها الماكثُ في الغيبِ الرهيب ؟
إيه حدّثني ، فقلبي يشملك بالحنانِ الجَمِّ ، والمطفِ الخصب !

لا تُراعى : أنا مَنْ عاشَ حياته في ارتجالِ البشرِ للعاني الطليح
أنا مَنْ يُفنى لوجه الخير ذاته ويواسي كلَّ منكوبٍ جريح !

أنا مَنْ يهتَفُ بالحسنِ الفريد ويرثُ القفرَ دنيا آهلة
أنا مَنْ يعزِفُ ألحانَ الخلود فإذا الغبطةُ تسرى شاملة

أنا ، لو تدرين ، صَوَاغُ المني بائعُ الأحلامِ في دنيا الأنام
أرسلتني حكمةُ الله هنا رحمةً منه ، وبُشرى للسلام

بيد أنى ضنقتُ بالغيب مُقاماً وسئمتُ القومَ قد عاشوا فرادى
كلما صحتُ بهم أبغى وثاماً أوغلوا فى الذل جهلاً وعناداً . . !

وأرانى الآن قد أنسيتُ نفسى وعرتنى لُوثَةٌ لا أرتضيها
وطغى الضعفُ على ذاتى وحسّى وغدا العالمُ فى عيني كريحها

يا شمعاً لله فى الغيب أضاء أتقذى نفسى من دنيا العذابِ
وارفعينى حيث نحيما فى السماء ما لنا والغيبُ والأرضُ الخرابُ ؟

منزلى الأولُ فيها^(١) قد عرفته فرأيت الحسنَ والخالدَ المقيمَ
شطرُ نفسى الضائعُ الآن وجدته فلقيتُ النورَ ، والقلبَ الرحيمَ

ليت شعرى ، لمَ قد همتُ هياماً ؟ ولمَ القلبُ عصانى فقوى ؟
أى معنى فىك أوحى لى الغراما فصحا القلبُ على نار الهوى ؟

أنتِ إذ تجزيننى ودّاً بودُ إنما تُخينِ نفساً شاعرةً

(١) فى السماء .

سوف تُؤَلِّيكِ حنانًا لا يُحَدُّ وتُتركِ الحبَّ دُنيا ساهرة!

لن تَرَينِي شاكيًا بعد التآلف كيف يشكو مَنْ تكونين معه؟
يعبرُ الهولَ ويرتادُ المخاوف مَنْ رأى منكِ مضاءً شجَّعه!

يا ظلامَ الغيبِ : مِنْ قلبي وداعا قد عَشِقتُ النورَ يَهْفُو لعناقِ
خيرُ عمري في دياجى الغيبِ ضاعا فَلأعشُ في النورِ أياى البواقِ!

اللقاء...

.. وطلعت كالفجر الوليد صباحاً
واختلت كالورد الندي منوراً
وبعثت وحى الشعر فيضاً زاخراً
وأثرتني للعيش بمد ملالهِ
وأعدت أحلامي وكم ناشدتها
وتبدلت بك وحشتي في عالمي
تتراقص الأزهار في جنباتها
فاليوم أمنحك الوفاء ، وإنه
وخطرت كالبدر الوضيء بهاء
ودنوت كالأمل المحبب فاء
وغمرت قلبي بهجة ورضاء
وملأت نفسي قوة ومضاء
عوداً فما ردت على نداء
أنساً ، وأضحى جنه فيحاء
وتعانق الأضواء والأنداء
لأقل في هذا المقام جزاء

الدار ! كيف تركتها في خاطري
قد كنت أهجرتها وأقل وجهها
والأمس الكتب التي لامستها
وأطوف في الحجرات حيث حللتها
في حينما لمست يداك ، وحيثما
سكننا تقرُّ به العيون رؤاء ؟
واليوم أغشاها صباح مساء !
وأضئها كالماشق استشفاء !
فأرى جمالك ساطعاً وضاء
طرقت خطاك ، أرى المنى تتراعى

* بيت غمر : عام ١٩٣٤

تتماقِبُ الأَيَّامُ وَهِيَ كَمَهْدِهَا تَهَبُّ الرِّضَاءُ وَتُلْهِمُ الشُّعْرَاءُ !

وَالْعُودُ ! أَمَّا الْعُودُ فَهُوَ مُحَدَّثُ لَبِقُ يَصْـوَعُ لِيَ الْغِنَاءِ عِزَاءُ
لَمْ أَلْقَهُ كَالْيَوْمِ يَنْقُلْنِي إِلَى دُنْيَا تَفِيضُ طَلَاقَةً وَرَجَاءُ
وَلَقَدْ حَنَوْتُ عَلَيْهِ أَوْقَظَ شِدْوَهُ فَكَأَنَّمَا لَمَسَ الْقُلُوبَ غِنَاءُ
مِنْ كُلِّ لَحْنٍ كَالضِّيَاءِ ، وَرَبَّمَا بَرَّ الضِّيَاءِ تَأَلَّقَا وَصَفَاءُ
وَأَعَدْتُ أَغْنِيَةَ الْوَدَاعِ نَدِيَّةً فَسَمِعْتُ أَرْوَعَ مَا سَمِعْتُ نِجَاءُ
دُنْيَايَ لَمَّا أَنْ طَلَمْتُ بِأَفْقْهَهَا عَذُبْتُ وَكَانَتْ مِحْنَةً وَشِقَاءُ !

يَا زَهْرَةَ الْأَمَلِ الْجَمِيلِ : تَحِيَّةً مِنْ شَاكِرٍ لَكَ لَا يَمَلُّ ثَنَاءُ
لِلَّهِ سَاعَاتُ بَقَرَبِكَ أُيْقِظَتْ رُوحِي ، وَطَابَتْ كَالنَّسِيمِ نَقَاءُ !
يَا حَسَنَهَا مِنْ نِعْمَةٍ ... لَوْ أَنَّهَا دَامَتْ لِمَنْ لَمْ يَعْرِفِ النِّعْمَاءُ !
لَكِنْ طَوَّاهَا الدَّهْرُ فَمَا قَدْ طَوَى ! وَأَذَاقَنِي مِنْ بَعْدِ ذَاكَ عَنَاءُ !

في طريق الواحة*

يا واحة النازح البعيدِ وموئل الحائر الطريدِ !
ومرفأ الزورق الجهيدِ وسلوة الشاعر المجيدِ !

أجتاز من أجلك الصحارى في لفحها اللاذع الشديدِ
وأسلك البيد لا أبالي في السّير من صولة الأسودِ !
منأى هذا النخيلُ أصغى لصمته الداهل الشريدِ
منأى هذا النخيلُ أرنو لصبحه المشرق الجديدِ
منأى هذا النخيلُ أحيا بنوره الساطع الفريدِ
فقرّيني إليك على أستاف رياء الهوى السعيدِ
وجنّبينى الأنام ، إني يئست من ذلة العبيدِ
وأنسيني ... فربّ أنسٍ يُبديد جيش الأسى المبيدِ !

ألقاك ألقاك بعد يأسٍ في فرحة العاشق العميدِ
وأنزل الدوح مستظلاً بظله الورف المديدِ

* ميت غمر : عام ١٩٣٤

وأَسْلَمَ النَّفْسَ فِي لُغُوبٍ لِلطَّيْرِ ، وَالزَّهْرِ ، وَالْوُرُودِ
وَأَرْشُفُ الصَّفْوِ مِنْ مَعِينٍ مُشَعَّشِعٍ سَائِغٍ بَرُودِ
وَأَلْتَمُ النُّورَ مِنْ جَبِينٍ يُنِيرُ لِي مُظْلَمَ الْوُجُودِ
وَأَعْبُدُ اللَّهَ فِي مُحْيَا كَمْ طَابَ فِي وَصْفِهِ قَصِيدِي !

يَا وَاحِدَ النَّازِحِ الْبَعِيدِ وَمَوْتِلَ الْحَائِرِ الطَّرِيدِ
الرِّيحُ تَطْفِي ! فَأَنْقِذْنِي مِنْ عَصْفِهَا الْجَارِفِ الْعَنِيدِ
وَسَلْسِلِي الْأَمْنَ فِي فَوَادِي وَأَيِّقْظِي الشُّوقَ مِنْ جَدِيدِ
وَدَاعِبِي الرُّوحَ بِالْأَمَانِي يَزِدُّكَ مِنْ رَوَائِعِ النُّشِيدِ
وَعَطَّرِي خَاطِرِي بِذِكْرِي لِقَائِنَا الْأَوَّلِ السَّعِيدِ
أَهْوَاكِ أَهْوَاكِ يَا رَجَائِي لِلْفَنِّ ، وَالْحُبِّ ، وَالْخُلُودِ

يَا وَاحِدَ النَّازِحِ الْبَعِيدِ وَمَوْتِلَ الْحَائِرِ الطَّرِيدِ
وَمَرْفَأَ الزُّورِقِ الْجَهِيدِ وَسُلُوءَ الشَّاعِرِ الْمَجِيدِ !

ليلة الزورق*

« آيتها السعادة التي غمرتنا ونشرت أجنحتها
علينا في هذه الليلة . . . لا أزال أحلم بك ! »

حينما ذهبَ الأصيلُ مياهَ النَّـ	يلِ واختالَ في الرياضِ جميلًا
أَبْصَرْتَنِي أَطُوفُ حَوْلَ حِمَاهَا	سَادَرَ الْخَطُوبِ ، حَائِرًا مَذْهُولًا
هتفتُ بِي : إِيَّيَا صَاحِ ، أَقْبِلْ	أَنَا مَنْ قَدْ بَحِثْتَ عَنْهَا طَوِيلًا
ذَاكَ وَكُرُّ الْهَوَى ! أَلَسْتَ تَرَاهُ	مِثْلَمَا كَانَتْ شَاعِرِيًّا ظَلِيلًا ؟
ذَاكَ رَوْضِي ، فَقَرَّ عَيْنًا وَنَفْسًا	يَا حَبِيبِي ، وَاجْلِسْ إِيَّايَ قَلِيلًا
وَاسْقِنِي بِالْجَمَالِ وَالسَّحْرِ شِعْرًا	شَفِيقًا يُمِيتُ مِنِّي الْغَلِيلًا

كَيْفَ جَانَبْتَ رَوْضَكَ الْفِينَانَ ؟	أَتَسَلَّيْتُ أَمْ نَسِيتَ الْمَكَانَا ؟
كَلِمًا طُفْتُ بِالْمَكَانِ أَثَارَتُ	وَقَفَاتُ الْوَدَاعِ مِنِّي الْخَنَانَا
وَأَرَى الْقَلْبَ فِي غِيَابِكَ أَمْسَى	يَا حَبِيبِي مَوْزَعًا حَيْرَانَا
أَيُّهَا الْغَائِبُ الَّذِي خَالَطَ الْقَلْدَ	بَ هَوَاهُ فَذَاكَ مِنْهُ الْهَوَانَا !
خُذْ ذِرَاعِي إِلَى ذِرَاعِكَ ، وَاصْعَدْ	رَبْوَةَ الْإِمْسِ ، وَاسْقِنِي الْإِلْهَانَا

* القرية : صيف ١٩٣٤ .

ربّ ليلٍ سهرته أَتَقَلَّى فيه وحدي وأشتكى الحرمانا !

ها هو العودُ حالمًا بالأغاني فأعدها سِجَرِيَّةَ الأتغام
ها هو العودُ يا حبيبي فغنَّ غنَّ للحبِّ ، للنفوسِ الطوامي
فإذا ما شُغِلْتُ عَنْكَ بنفسي وبما هاج مِنْ هَوَى وَضرام
فدع العودَ جانبًا ، وأدِرْها قُبَلَاتٍ مِنْ ثَعْرِكَ البسام
ودع الرُبُوءَ الظليلةَ تُخْفِي أَثَرَيْنَا يَظْلُمُهَا المتراي
ولنعشْ هاهنا كما تمنى للأغاني ، للحبِّ ، للإلهام !

انظر الشمسَ هل شجبتك اختلاجًا وهي تخطو إلى الفناء السريع ؟
كم أضاءت وجددت من حياةٍ وتجلّت في كلِّ أفقٍ وسيع !
ثم هَمَّتْ فليس في الكونِ إلا نأْمَحٌ في مواكبِ التشيع !
يا حبيبي : خلِّ الوقارَ ، وهيّا نُوقِظِ النفسَ بعد طولِ هجوع
بالأغاني ، وبالحديث ، وبالشعر ر ، وبأُحِبِّ جاشًا في الضلوع
فعداً تذهبُ الحياةُ بِشمسِيَدِ لنا ، وتمضي بنا لغير رجوع !

وارمُقِ البدرَ في السماءِ سُبُوحًا يغمُرُ الكونَ وجهُهُ بالنورِ

أطلقَ السحرَ في السماء وفي الأرض
لا نرى فيه غيرَ ليلٍ وضيءٍ
يا حبيبي : خذني إليك ودعني
قربَ البدرِ بيننا ورعانا
ما غناء الساعاتِ تمضي خواء
من لقاءٍ ، أو رحلةٍ ، أو سمرٍ ؟
ضِ ، فبتنا في عالمٍ مسحورٍ
يبعثُ الشوقَ والهوى في الصدورِ
أتقياً بظلكَ المنشورِ
ودعانا لهجةٍ وحُبورِ

وارقبِ الزورقَ المقدسَ يبدو
كم عبرنا به الخضمَّ وقد أغد
نوقظُ الموجةَ الصغيرةَ بالهم
وأغاني المجدافِ تُضفي على النيةِ
يا حبيبي : حانَ الوداعُ فهلاً
كم حبَّتنا بصفوها ورعشنا
من بعيد كالطائفِ الجوالِ !
نحي ، وجُلنا فيه بكلِّ مجالِ !
سِ فتبدى تشاؤبَ الأطفالِ !
لِ رداءٍ من رهبةٍ وجلالِ
جئتَ تقضي حقَّ الليالي الخوالي ؟
نُصر الله وجهها من ليالِ !

ورسنا الزورقَ المقدسَ للشطِّ
ودعانا الملاحُ بالنغمِ العذِّ
أي هذا الملاحُ : أيةَ ذكرى
قربِ الزورقِ المقدسِ كالأم
فيا للصفاء يخطو إلينا !
بِ ، فأورى بصوته مهجتنا !
فوق هذا الخضمِ هجتَ لدينا
سِ ، وهيئ لنا به مجلسنا

واهْضِرِي النِيلَ حَيْثُ نَسَعْدُ بِالْصَفَةِ - وَنُخَيِّ فِي ظِلِّهِ أُمَيْلِيَا
طال شوقي إلى المطافِ بدنيا كم شجتنا وأطلقتْ خاطِرَينا !

قلتُ والبدرُ حالمٌ ، والدرارى ذاهلاتٌ ، والكونُ وسنانُ صاح
يارجاء القلبِ الجريحِ ، ومازا ل ، أما آن أن تداوى جراحى ؟
بى ظلماءٍ إلى حديثك عذبا واشتياقٌ لوجهك الوضاح
قد سهوْنَا عن الحياة ، وبِتْنَا فى مُحيطٍ من الطلاقِ ضاح
فابعثِ النورَ فى جوانبِ نفسى وارحمينى من وَحْشَةِ الأرواح
شدَّ ما ضِقتُ بانفرادى وسُهدى واغترابى فى غُدوتى ورَواحى !

أما لولاك لم أعشْ فى حياةٍ ثقلتُ كمحلاً وساءتْ مَقَرًّا
ليس تصفوا لنا ! وهيهات تصفو للذى ازدادَ بالحقائقِ خُبرًا
أنتِ جَمَّاتِها لعينى ونفسى وفؤادى ، فليستْ آلوكِ شكرا
فتعالى نعيشْ هنا فى النيبِ لـ وننسى ما ساءنا أو سَرًّا
تناعى كالطير فى كنفِ الدَّو ح . ونطوى الساعاتِ أنسا وبِشرا
ذاك لُبُّ الحياةِ ، بل ذاك أندى ما حوتُهُ الحياةُ برًّا وبَحْرا

وصحا الشوقُ عارِمًا فإذا ها
ثم أَلَقْتُ برأسِها فوق صدرى
وسرى الريحُ لَيْنًا فاطمأنتُ
وشجّاهَا الهوى فأَلَقْتُ بأذنى :
غَنِّ أغنِيَّةَ الربيعِ على النيبِ
فاحتَضَنْتُ العودَ الحبيبَ إلى النفسِ
في جنونٍ ورِغْشَةٍ قَبَّلَتْنِي
كالذى نامَ مِن مَلالٍ وأَيْنِ !
واستراحتُ فى جانبِ المطمئنِ
يا حبيبى طابَ المكانُ قَعْنُ !
سَلِّ وَرَوِّ الفؤادَ مِن كلِّ لَحْنٍ
سِ وَأَيَقِظْهُ .. وَرُحْتُ أُغْنِي :

حينما يُشْرِقُ الرِّيعُ فى سماءِ الحدايقِ
ونرى حُسْنَه البديعِ فى وجوهِ الشَّقائِقِ

سوف أَلْقَاكِ ها هنا فوق ذَا الزوقِ السَّبوحِ
حيث تَصُفُّوْا لنا المُنَى وَيَقْرَأُ الهوى الجُمُوحُ !

يا مُحِيًّا عِبَادَتَه مثلما يُعْبَدُ الإلهُ
وجمالاً عَشِيقَتَهُ عِشْقَ مَنْ لا يَرَى سِوَاهُ

كم تمنيتُ لو نَكُونُ فى حِمَى النِيلِ مفردَيْنِ !

فِي وَقَاءٍ عَنِ الْعِيُونِ حَيْثُ نَحْيَا كَطَائِرِينَ

قَدَّرَ اللَّهُ يَا حَيِّبُ لِلْغُرَيْبَيْنِ بِالتَّلَاقِ
فَتَى تَسْمَعُ الْقُلُوبُ بِلِقَاءِ بِلَا افْتِرَاقٍ ؟ !

وَرَسَا الزُّورِقُ الْمَقْدَمُ لَلشَّطِّ فَصَاحَ الْمَلَّاحُ : هَيَا ! فَقَمْنَا
وَمَشَيْنَا عَلَى بَسَاطٍ مِنَ الْعُشِّ سَبَّ نَدَى يَهْتَزُّ فِي حَيْثُ سِرْنَا
وَوَقَفْنَا فِي كُلِّ مَجْلِسٍ حُبٍّ وَادَّ كَرْنَا مِنْ سِحْرِ مَا ادَّ كَرْنَا
ثُمَّ وَدَّعْتَهَا وَعُدْتُ وَأَحْلَا مَيَّ إِلَى عَالِي الشَّقَى مُعْنَى
أَسْأَلُ الْقَلْبَ : كَيْفَ يَاقَلْبُ مَرَّتْ لَيْلَةُ الزُّورِقِ الْحَبِيبِ وَأَيْنَا ؟
وَأَرَانِي مُرَدِّدًا فِي سَنِينَ : لَيْتَ أَنَا نُعِيدُهَا لَيْتَ أَنَا !!

سحر الحب

« إلى التي تحبني في الحياة كلما اجتويتها ..
إلى صاحبة ليلة الزورق »

ولما انتهينا لظلّ النخيل	هناك على شاطئ الجدول
ونمنا على العشب كي نستريح	وصرنا عن الحى في مغزل
أهابت بسمعى فلبى النداء	وأصغى إلى صوتها البلبلي
وقالت : تمتع ، فهذى الشفاء	تناديك في لهفة : قبل !
وهات اعطنى قبلة كالجنى	جنى الأمل المشرق المقبل
ولا تتعلم بذكر الوقار	فإنا خلعناه فى المـنزل !

وراحت تهيج جراح الفؤاد	فقلت : حنائيك ، لا تفعل !
دعنى أسبح بحمد الجمال	وأحلم بحبك كالأول !
يلوذ بك الآن قلب جريح	يعيش ولكن بلا مامل !
من الناس يصرخ كالمستجير	ويفرع من دائه المعضل
وإنى لأطمع أن تُنقذيه	وكألوت عندى أن تبخل !

* القرية : عام ١٩٣٥ .

فقلت ، وجنّبي إلى جنبها : لك الأمنُ منّي ، فلا تحفل
وعشْ في جوارى عيش السعيد ونمّ في ظلالِ نوم الخلى !
سيندميلُ الجرحُ يا شاعري ويوشك ليك أن ينجلي

وقبّلتها قبلاتِ الشكورِ وقلبي بنار الهوى يصطلي
وقنّا نسير برغم الزمان ورغم الأقارب ، والعذل !
تجوب مع الفكر فيما يجوبُ وتحنو على صدرى المثل
فيا ليلةً قد رجعنا بها سعيدين ، من لى بأن تُقبلي ؟
فدينّاك يا ليلةً الحالمين هناك على شاطئ الجدول !

سعاية أم !

قَبَّحَ اللهُ أُمَّهَا مِنْ عَجُوزٍ باعدتَ بيننا بسَيِّئِ مَكْرٍ !
علمتُ ذاتَ لَيْلَةٍ بِهَوَانَا وبما فيه من عَفَافٍ وَطَهْرٍ
فرمتنا بفرقةٍ أحدثتُ لى لوعةً فى الفؤادِ أودت بصبرى
فأنا اليومَ مُوحشُ النفسِ حيرا نَ مُطِيلُ التفكيرِ فى غيرِ أمرٍ
أتأشى والوجدُ يأكلُ نفسى والفؤادُ اللجوجُ يُنزو بصدرى !

آهِ مَنْ لى بوجهها عبقرىاً مُوحياً بالقصيدِ من كلِّ بحرٍ
كانت الشمسُ فى سماءِ حياتى والرجاءُ المحبوبُ يعمرُ شعرى
ثم مالت بوجهها عن سماءى فبدا البشرُ واضحاً غيرَ بشرٍ
وتعوَّضتُ بالرياضِ يَبَاباً وبنورِ الودادِ ظلمةَ هجرٍ !
هكذا .. كلما نجوتُ من الأسْرِ رمانى الهوى بأسرٍ وأسرٍ !

* ميت غمر : يناير ١٩٣٥

تحيّة سـجينة

من وراء الستار والذعرُ يبدو في عيونِ سـحريّةِ الإيماءِ
بعثتها تحيّةً في انحناءِ وابتسامٍ مقنّعٍ بالحياءِ ... !
بعثتها سـجينةً ثم غابت مثلما تغربُ الشـموسُ إزائي
فإذا الكونُ عابسُ الوجهِ داجٍ ! وإذا بي أضيقُ بالبرحاءِ !

يا مثلاً من الصباحِ والسحرِ ورمزاً مصوراً من نقاءِ
أرسلها طليقةً كانطلاقِ النو رٍ والحسنِ ... في وسيعِ الفضاءِ
أرسلها طليقةً حيث ألقى طيفها السـمَحَ مشرقاً في سمائي
أنا كروانك المبشرُ في الفجرِ بصبحٍ من حسنك الوضاءِ
في أغاني خطفُها من ثنايا صوتكِ الساحرِ الشجى الغناءِ
هي زادي من الحياة جميعا وهي أنسى، في خلوتي، وعزائي

يامعينا من الوداعة واللفظ وظلاً يرفُ في صحرائي !
أنت فجرت لي الحياة وقد كند ستُ أراها كالصخرة الصماءِ

• ميت غمر : يناير ١٩٣٥ .

أَنْتِ جَمَلْتِ لِي الْمَشَاهِدَ حَتَّى كَدْتُ أَنْسَى مَتَاعِي وَشِقَائِي !
فَبَأَى مِنْ الْبَيَّانِ أَوْفَى فَضْلَ مَا قَدْ وَهَبْتَنِي مِنْ صَفَاءِ ؟

يَا مِزَاجًا مِنْ رَقَةِ الزَّهْرِ وَالْفَجْرِ وَمِنْ رَوْعَةِ الضُّجَى وَالْمَسَاءِ !
بُلْبُلِيُ التَّغْرِيدِ صَوْتُكَ يَسْرِي فِي خِيَالِي مَنْوَّرًا كَالرَّجَاءِ !
شَجِّعِينِي عَلَى الْجُهَادِ تَرَيْنِي أَنْطِقُ الصَّخْرَ ، أُرْتَقِي لِلسَّمَاءِ
عَلِّمِينِي مَعْنَى الطَّلَاقِ وَالْخُلْدِ دِ مُقِيمًا ، يَارَبَّةَ الْإِيحَاءِ
طَهِّرِينِي بِفَيْضِ قُدْسِكَ مَا اسْطَعَمَ تِ ، وَأَلْقِي عَلَيَّ ثَوْبَ الرِّضَاءِ
وَارْفَعِينِي إِلَى سَمَائِكَ أَنْشِدْ لَكَ شِعْرًا يَمْوجُ مَوْجَ الضِّيَاءِ
وَأَفِضِي عَلَيَّ بِالْوَحْيِ أَبْدِعْ كُلَّ لَحْنٍ مُعَبِّرٍ عَنْ وَفَائِي
ذَاكَ عَهْدِي إِذَا أَجَزْتِ ، وَلَكِنْ أَيْنَ مِنْ سَاحَةِ الْقَبُولِ دَعَائِي ؟

حين الذكرى

يأيها القلبُ المَعذَّبُ في الهوى كم ذا تشرَّق في الهوى وتغرَّبُ !
ناموا ولم يرَعُوا لودَّكَ عهدَه وسهرتَ ليكَ حائرًا تتقلبُ
ما هكذا يا قلبُ تُخدَعُ فيهم وتظلُّ تلهجُ باسمهم وتُشبَّبُ !
إن الذين وقعت في أشراكهم جلبوا الحينَ فوق ما قد يُجَلَبُ
هم عذَّبوك على الوفاءِ بجهلهم ولو استطاعوا فوق ذلك عذبوا
يا ليت تصحو يا فؤادُ عن الهوى وتروحُ تلهو في الحياة وتلعبُ !

* القرية : فبراير ١٩٣٥ .

الغفران

اغفرى لى رُعوتى وجنوتى
 اغفرى لى . . ألا سبيلَ إلى الغف
 اغفرى لى فقد أثمتُ ! وهىها
 وارحمينى . لسوف أستعذبُ النا
 شهد الله لم أنم ليلة الأم
 كلما ضجت الكلابُ حوالين
 واعترانى من أجلكِ الندمُ اللا
 ليس ما مرَّ كان بالمظنون !
 رانِ ألقى لديه برَدَ السكون ؟
 ت خلاصى مما جتته يمينى !
 رَ إذا ضقتِ بى ولم ترحمينى !
 س ولم يعبثِ الكرى بحفونى
 لكِ وهاجتِ أشفقتُ أن تلعنينى
 ذعُ يطعننى على كالمجنون !

أنا سرُّ الذى تعانينهُ الآ
 وأنا المطلقُ الأقاويلَ من حو
 وابلائى من الضمير . . إذا ما
 ن وتلقين من عذاب الهون
 لك بالعارِ والسقوطِ المهين
 لم يسعنى عفوُ الفؤادِ الحنون !

يرحمُ الله من أجدُّوا لى الو
 ليتنى أفتديك من قومك الصي
 يل ، وأذكوه بالفراق اللعين !
 دِ وأنجيك من ظلام السجون !

* ميت غمر : ربيع عام ١٩٣٥ .

ليتنا لم نُصِخْ إلى القدرِ الجاثرِ ، أوليتَ كان دينك ديني !

إيه يا ليلة الكنيسة ماذا خبأت لي الأقدارُ فيك ؟ أيني !
فيك يا ليلة الكنيسة ودّعْ ستُ صفائي ولهفتي وحنيني
وبدأنا عهدَ الفواجعِ والتبـ سريحِ واليأسِ والأسى والظنون
وانتهينا إلى فراغٍ من العبدـ شِ ودنيا مليئةٍ بالشجون !

لا تشوري على في سجنك المطـ بقِ إنا ذكرتنى واعذريني !
زلةُ الأمس يا حبيبة قلبي تركتنى أجرُّ عبءِ القرون !

فالوداعَ الوداعَ .. يا طيفَ أحلا مى ، وبا كعبتى ، ورمزَ فنونى
الوداعَ الوداعَ .. فالدهرُ يُقصد سناويجرى فوق الصخورِ سفينى !

بِسْمَةِ أَنْتِ

بِسْمَةُ أَنْتِ فِي الزَّمَانِ الْقَطُوبِ جَنَّةُ أَنْتِ فِي الْخَصِيبِ الْجَدِيبِ
بِسْمَةُ زَفَّهَا مُسْنَى السَّعَادَا تِ شِفَاءٍ مِنَ الضَّيِّ وَاللُّغُوبِ
جَنَّةُ تُطْلِقُ التَّفَاوِيلَ فِي الْكَوْ نِ وَتُلْقِي بِظِلِّهِ فِي الْقُلُوبِ

يَارْجَاءُ عَانَقَتْهُ وَتَدَاوَيْدُ تِ بِتَرِيَاقِ أَنْسِهِ مِنْ نُدُوبِي
أَنَا طَهَّرْتُ عِنْدَ بَابِكَ ذَاتِي وَتَنَاسَيْتُ كُلَّ بَرْقِ خُلُوبِ

* النصورة : ١٩٣٥ .

في ظلال الهيكل

« إلى عروس الشاطئ . . يوم كانت تبحث بماء
البحر ، وترسم على صفحته خطوطاً من الدهول
والأمل . . . تتلاشى بجسرد ظهورها ! »

أنت يا قاصياً أظلُّ أناجيد	به وأسعى إليه بين الصخور
أنت يا مشرقاً تحجب بالغيـ	ب بعيداً هناك خلف الدهور
أنت يا عالماً تحنُّ له الأر	واح من مطلع الحياة المنير . .
أنت يا من إذا رآني أعدو	خلفه ، غاب في ضباب العصور !
أنت يا من إليه أزعج أناشيد	د حنيني في وقفتي وعبوري
أنت ما أنت ؟ إنني لست أدري	كنه هذا المقنع المنظور !

أنت ماذا ؟ أنت نور من الله	هدانا في ذلك الديجور ؟
أنت ماذا ؟ أنت روض من الز	هر شفيف الأنداء جيم العطور ؟
أنت ماذا ؟ أنت فجر من السحـ	ر تجلّي في أفقه المستور ؟
أنت ماذا ؟ أنت أغنية الأجـ	يال تسرى في عالم مسحور ؟
أنت ماذا ؟ أجذول أزلي	شف روحى إليه همس الخير ؟

* يقع معبد دندرة أو معبد كليوباترة عبر شاطئ النيل الغربى تجاه مدينة قنا وهذه القصيدة
من وحيه . وقد نظمتها في أكثر من جلسة داخل هذا المعبد خلال شهر يونيه عام ١٩٢٦ .

أَنْتَ مَاذَا ؟ أَوَاحَةٌ مِنْ ظِلَالٍ أَنْتِ اللَّائِذِينَ لَفَحَ الْحُرُورِ ؟
 أَنْتَ مَاذَا ؟ أَذِكْرِيَّاتٌ لِعَهْدٍ سَائِرٍ فِي طَرِيقِهِ لِلدُّثُورِ ؟
 أَنْتَ مَاذَا ؟ أَمَعْبَدٌ سِحْرِيٌّ شَاعَ فِي جَوِّهِ عَبِيرُ الْبُخُورِ ؟
 أَنْتَ سِرُّ الْإِلْهَامِ وَالْفَنِّ وَالْإِبِّ سَدَاعٍ فِي ذَلِكَ الْوُجُودِ الْكَبِيرِ
 أَنْتَ نَوْرُ الْخُلُودِ أَقْدَسُ مِنْهُ مَا يَقِينِي شَرَّ الْفَنَاءِ الْمُغِيرِ !

أَنْتَ يَا قَاصِيَا أَظْلُ أَنْاجِيهِ وَأَسْنَى إِلَيْهِ بَيْنَ الصُّخُورِ . .
 يَخْبِطُ الشُّوكُ جَانِبِي فَلَا أَرْ دَادُ إِلَّا تَقَدُّمًا فِي مَسِيرِي
 تَتَعَاوَى الذَّنَابُ حَوْلِي فَأَمْضِي لَا أَبَالِي بِأَذْوَبٍ أَوْ نَمُورِ
 ضَارِبًا فِي الشُّعَابِ طَوْرًا، وَطَوْرًا فِي رُءُوسِ الْجِبَالِ فِي الزَّمْهِرِ
 غَايَتِي أَنْتَ لَوْ أَذِنْتَ فَأَصْغَيْتَ إِلَى ذَلِكَ الْمُعْتَمَى الضَّرِيرِ
 غَايَتِي وَقَفَةٌ بِوَادِيكَ . . يَا شَوْ قِي إِلَى وَقْفَةٍ بِوَادِي السَّرُورِ
 فَوْقَ أَرْضٍ . . الْعُشْبُ مِلْءُ ثَرَاهَا فِي يُوتٍ مَسْقُوفَةٍ بِالزَهْرِورِ !

أَنْتَ يَا مَشْرِقًا تَحْجَبُ بِالْغَيْبِ بَعِيدًا هُنَاكَ خَلْفَ الدُّهُورِ
 أَنَا أَسْعَى إِلَيْكَ كُلَّ صَبَاحٍ بَيْنَ وَادٍ مُعْشَوَشِبٍ مَنُضُورِ
 مُنْشِدًا فَوْقَ أَرْغَنِ الزَّمَنِ الْغَا بِرِ أَنْشُودَةٍ النِّعَمِ الْقَضِيرِ

ذائبَ الجسمِ في الأناشيدِ حتى
وإذا ما رَفَرَفْتُ صَوْبَكَ أبغيك
إيه يا مشرقَ السعادةِ ، بل يا
غايَتي أنتَ سافرًا ، فقريدُ الـ
غايَتي أنتَ علَّني بك أنسى
لكأني أنشودةٌ في الأثيرِ
ثنائي عمسا أريدُ قصوري
مشرقَ الحسنِ والجمالِ الطَّيرِ
حسنِ ما كان في كمالِ الشُّفورِ
ما عناني من الوجودِ الصغيرِ !

أنتَ يا عالمًا تحنُّ له الأرواحُ
أثرى أنتَ مَهْدُها يومَ كانتُ
وعجيبٌ تَمضي السنينُ عليها
وهي لولا رجاؤها في التلاقِ
إيه يا عالمِ الطَّلَاقِ والأحـ
هذهِ الروحَ بالرجاءِ وقُدَّها
ضمَّ رُوحِي إليك . لو كان يَكْفِي
ضمَّها فهي من جلالك^(١) تحيًّا
كلما رُحْتَ نائيًا هتفتُ رُو
كلما لُحْتَ جاريًا عطِشتُ رُو
من مَطْلَعِ الحياةِ المنيرِ .
حرَّةٌ في رَواحِها والبُكورِ ؟
وهواها إليك نَارُ السعيرِ
لَقَضَّتْ نَحْبَهَا بِدُنْيَا الشرورِ
لامٍ ، والشعرِ ، والهدوءِ المثيرِ
من ظلامِ الشكوكِ نحوَ النورِ
ما جَنَّتُهُ من الشقاءِ المريرِ !
بين هذِي الأشواقِ فوقِ الصخورِ
حي وضجَّتْ بشوقِها المذخورِ
حي إلى وِرْدِكَ الشَّهْيِ الطَّهورِ

(١) أجلك .

أَنْتَ يَا مَنْ إِذَا رَأَى أَغْدُو
لَمْ هَذَا الْعُزُوفُ عَنِّي وَمَا كُنْتُ
لَا تَدْعُنِي إِلَى الزَّمَانِ فَإِنِّي
الْفَنَاءُ الْمَرْهُوبُ يَمَلُّ نَفْسِي
وَدَوِي الْحَيَاةُ قَدْ مَاتَ إِلَّا
أَيْنَ أُسْرِي؟ وَكَيْفَ، لَوْ شِئْتُ، أُسْرِي
إِيَّاهُ يَا مَنْ شَرِيَّتُهُ بِالصَّبَا الْغَضُّ
إِنِّي نَائِرُ الشُّعُورِ مِنَ الذُّعْرِ
مَا عَلَى مِثْلِكَ الْكَرِيمِ إِذَا مَا

خَلْفَهُ غَابَ فِي ضَبَابِ الْمُصُورِ
سِوَى صَبِّكَ الْمَعْنَى الْأَسِيرِ؟
بِفَجَاجِ الزَّمَانِ غَيْرُ خَبِيرِ
فَكَأَنِّي أُسِيرُ بَيْنَ الْقُبُورِ
عَزَفَ جِنٌّ فِي عَالَمٍ مَهْجُورِ
فِي فِجَاجِ الزَّمَانِ دُونَ سَمِيرِ؟
هَيَامًا، وَبِالشَّبَابِ النُّضِيرِ
قَفِيفَ سَاعَةٍ وَهَدْيَ شُعُورِي
رَاحَ يُصْنَعِي لِلْخَائِفِ الْمَذْعُورِ؟

أَنْتَ يَا مَنْ إِلَيْهِ أَزْجِي أَنَا شَيْدَ
أَبَدًا أَرْقُبُ السَّمَاءَ بِرُوحِي
أَبَدًا أَهْجُرُ الْوُجُودَ وَمَا فِيهِ
ذَاهِلًا لَا أَحِسُّ مَا قَامَ حَوْلِي
سَائِلًا عَنْكَ كُلَّ مَا تَقَعُ الْعَيْنُ
مُفْعَمًا بِالرَّجَاءِ أَنِّي سَأَلَقَاكَ
حَالًا فَوْقَ صَدْرِكَ الدَّافِي الرَّحْبَ

حَنِينِي فِي وَقْفَتِي وَعُبُورِي
وَبِقَلْبِي وَمُهْجَتِي وَضَمِيرِي
وَأَتَمُّوْا إِلَيْكَ بِالتَّفْكِيرِ
مَنْ عِرَاكِ عَلَى الْحَيَاةِ خَطِيرِ
عَلَيْهِ مِنْ أَنْجُمٍ وَبُدُورِ
وَأَحْيَا فِي ظِلِّكَ الْمَنْشُورِ . .
بِأَوَاقَاتِ نَشْوَتِي وَخُبُورِي

إِنْ أَفْزَ مِنْكَ بِالَّذِي أَبْتَغِيهِ فَهَيْئَتُنَا . . إِلَى الْخُلُودِ مَصِيرِي

أَنْتَ يَا قَاصِيَا أَظَلُّ أَنْاجِيهِ	وَأُسْتَعَى إِلَيْهِ بَيْنَ الصَّخُورِ
أَنْتَ يَا مَشْرِقًا تَحْجَبُ بِالْغَيْبِ	بَعِيداً هُنَاكَ خَلْفَ الدَّهْورِ
أَنْتَ يَا عَالِماً تَحْنُ لَهُ الْأَرِ	وَاحٌ مِنْ مَطْلَعِ الْحَيَاةِ الْمُنِيرِ
أَنْتَ يَا مَنْ إِذَا رَأَى أَعْدُو	خَلْفَهُ غَابَ فِي ضُبَابِ الْعُصُورِ
أَنْتَ يَا مَنْ إِلَيْهِ أُزْجِي أَنْاشِيدَ	حَنِينِي فِي وَقْفَتِي وَعُبُورِي
أَنْتَ .. مَا أَنْتَ؟ إِنْ نِي لَسْتُ أَدْرِي	كُنْهَ هَذَا الْمَقْنَعِ الْمَنْظُورِ . . !

وحي لقاء...

« إلى التي هي الإجمال والدنيا التفصيل . ! »

لستُ أَسْطِيعُ أَنْ أُحِسَّكَ ذَاتًا	أنتِ حُلْمٌ عَرَفْتُهُ فِي طَرِيقِي !
لستُ أَسْطِيعُ أَنْ أُحِسَّكَ صَوْتًا	أنتِ لَحْنٌ دَيْبِهِ فِي عُرُوقِي . . !
لستُ أَسْطِيعُ أَنْ أُرَاكَ بَعِينِي	جَوْهَرًا يَخْطِفُ النُّهْيَ بِالْبَرِيقِ
أنتِ شِعْرُ الْحَيَاةِ ، أنتِ شَذَاهَا	أنتِ دُنْيَا مِنْ الْحَنَانِ الرَّقِيقِ
أنتِ بُشْرَى الْخِلَاصِ مِنْ رِبْقَةِ الْقَيْدِ	دِرْ تَجَلَّتْ لِعَالَمٍ مَوْثُوقِ . .
أنتِ قَلْبُ الزَّمَانِ يَنْبِضُ أَحْلَا	مَا ، كَزَهْرِ الرَّبِّي ، كَوَجْهِ الشَّقِيقِ

يَا ظِلَالَ الْأَشْجَارِ فِي صَفْحَةِ الْحَقِّ	لِ ، وَيَا رِغْشَةَ النَّبَاتِ الْغَرِيقِ !
يَا مِزَاجَ السَّنَا ، وَرَائِحَةَ الْعَشِّ	بِ ، وَزَهَرَ اللَّيْمُونِ قَبْلَ الشَّرُوقِ
يَا بَهَاءَ السَّمَاءِ فِي مَطْلَعِ الشَّمْسِ	سِ ، وَيَا رَوْعَةَ الضُّحَى الْمَعْشُوقِ
يَا تَحَايَا الطُّيُورِ لِلْجَدُولِ الْمُطِّ	رَبِّ سُمَارِهِ بِشَذْوِ رَفِيقِ
يَا خِيَالَ النَّخِيلِ نَامَ عَلَى الْمَا	ءِ ، وَيَا رَهْبَةً الْخِضَمِّ الْعَمِيقِ
يَا شُحُوبَ الْأَصِيلِ ، يَا شَجْنَ اللَّيْلِ	لِ ، وَيَا دَمْعَةَ الشَّجَى الْمَخْنُوقِ !
يَا حَنِينَ الْمَسَاءِ لِلشَّفَقِ الْغَا	رَبِّ خَلْفَ التَّلَالِ مِثْلَ الْحَرِيقِ

* القاهرة : صيف ١٩٣٦

يا معانى الرجاء ، يا صرخة البعد
يا غموض الأسرار في هيكل الذك
يا أغاريد ملهم أنصت الكو
يا لهيب الأشواق ، يا ربوة الوحد
يا ترايل ناسك في دجى اللي
ما الصباح الندى مثلك لطفًا
ما الربيع المنصور مثلك معنى
أنت هذا الوجود ذاتًا وروحًا
أنت من أصد السماء إليها
ث لشعب بين الشعوب عريق
رى ، ويا وحشة الخيال الطروق
ن لأصدائها بكل طريق . .
ى ، ويا رقصة الشعاع الرشيق
ل ، ويا رحمة الفؤاد الشفيق
أنت أندى من الصباح الأنيق
أنت أبهى من الربيع الوريق
أنت ما فيه من نعيم حقيق
كلما ضقت بالشقاء المحيق !

أى بشر لم تسكبى في حياتى ؟
أى فجر معطر . . . قرى
الزمان الذى لقيتكم فيه
والمكان الذى وجدتك فيه
كنت بالأمس غارقا في قيودى
كالخيال الطروب ، كالنسم العا
كالرجاء المنعوم ، كالفرح المذ
أى نور في جوها لم تريقى ؟
أنت لم تطلعيه عذب الشروق ؟
بهجة العمر ، مبدأ التوفيق
خير حقل من الشذى المرموق
وأنا الآن دائم التحديق !
بر وهنا ، وكالضياء الدفوق
قى بأسبابه لكل فريق

كالغناء المبعوث في ذلك الكو ن جميعا ، وكالغمام الرقيق
هكذا نصرت يدك حياة كنت من قفرها بهم وضيق !

أينعي يا مخاضري وحقولي أينعي أينعي بزهر أنيق ... !
صفقي يا جداولي في جـور واستزيدي من ذلك التصفيق
غردي يا طيور لاورق النـا عي ، ومن لدعة الصقيع أفيق
الشتاء القطوب مات على الأـ ك ، وعادت صلالة للشقوق
والربيع المنصور فاض حياة فوق أشلاء عالم مطروق !

يا يقينا أجرتيه في دماي ومضاء أحسسته في عروقي
بك أبصرت كل خاف من الغـي ب وخلفت كل روح سبوق
بك أرسلت في الوجود قصيدي كرؤي الخلد ، كالندى ، كالرحيق

ما الذي فيك فاستجاش جنائي وخيالي ، ولهفتي ، وخفوقي ؟
بين برديك يا صبيته كنز من نقاء معطر معشوق
وبعينيك يا صبيته شجو ساهم اللعج مستطار البريق
وعلى كاهليك تحتشد الدن يا بأحزانها احتشاد الصديق

يا مَعينَ الإلهامِ ، يا جَذَلَ الرُّو ج ، ويا هَدَاةَ الفؤادِ الخفوقِ
أنا في مَعْبَدِ الوجودِ أَصْلِي لكِ في نَشْوَةِ الحبِّ المشوقِ
ذائِبًا كالحنينِ في الشِّفَةِ الظمأى ، وكالْحُلْمِ في الخيالِ المُفِيقِ
أبدًا أنتِ شاغِـلى وجليسى ونَجِّي ، وصاحبي في الطريقِ
ومعى أنتِ في الهجوعِ وفي الصَّحْـرِ وِ ، وفي زَنْجَمَةِ الوَرَى والشُّوقِ
في مَطافِ السَّديمِ ، في العالمِ المجِـهولِ ، في الغيبِ ، في مداهِ السَّحيقِ !
في المروجِ الخضراءِ رَفًّا نداها في النخيلِ المتَوَّجِ المشوقِ . .
في دِياجى الحياةِ ، في غَنَمَةِ النَفْسِ سِ ، وفي هَيْجَةِ الأَسَى والحُرُوقِ
في مَرادِ الخيالِ ، في سَبْجَةِ الرو ج ، وفي كُلِّ هَيِّنٍ أو دَقِيقِ
كَلِمًا سِرَّتْ تَحْطِرِينَ أُمَامِي في رِداءٍ من الخيالِ الطليقِ !

لستُ أَسْطِيعُ أنْ أُحِسَّكَ ذاتًا أنتِ حُلْمٌ عَرَفْتُهُ في طريقِ
لستُ أَسْطِيعُ أنْ أُحِسَّكَ صوتًا أنتِ لَحْنٌ دَيْبُـهُ في عروقي
أنتِ بَشْرَى الخِلاصِ من رِبْقَةِ الأَسَدِ ر تَجَلَّتْ لِعَالَمٍ موثوقِ
أنتِ قَلْبُ الزمانِ يَنْبِضُ أحْلا ما كَزهرِ الرُّبَى ، كوجهِ الشَّقِيقِ
أنتِ هَذا الوجودُ ذاتًا وروحًا أنتِ ما فيه من نعيمِ حَقِيقِ
أنتِ مَنْ أَصْعَدُ السَّماءَ إليها كَلِمًا صَنَعْتُ بالشِّقاءِ المحِيقِ !

مناجاة

أَجَائِكَ أَنَّ الْقَلْبَ لَمْ يَصْبُ قَبْلَكَ؛ وعندك أَنَّ الشوقَ منه تملّكاً؛
رَأَيْتَكَ كَالصَّبِيحِ الْوَدِيِّ بِرُوضَةٍ فأقبلتُ أَسْتَسْقِي وَأَرْشُفُ طَلَّكََا
وَمِنْ كَرَمٍ أَنِّي أَرَاكَ تُظِلُّنِي برحمتك الكبرى وتَحْرِمُ أَهْلَكََا
تَنَافَسَنِ الْأَيَّامُ فِيكَ صِبَابَةً فأفضلها طَهْرًا وَنَبْلًا وَمَسْلَكََا
وَتَشْتَاقُكَ الدُّنْيَا وَأَنْتَ بِجَانِبِي فَأُطْلِقُ أَشْتَاتَ التَّعَاوِيدِ حَوْلَكََا!

وَيَوْمَ تَعَارَفْنَا طَوَّيْتُ مِبَازِلِي وأقسمتُ أَنَّ أَحْيَا عَلَى الطَّهْرِ مِثْلَكََا
أَرَى الْحَسْنَ فِي الدُّنْيَا، أَرَى النُّورَ سَاطِعًا فتنكره نَفْسِي، وَتَشْتَاقُ ظِلَّكََا..

تَنَبَّأتَ لِي بِالْمَجْدِ يُشْرِقُ صُبْحُهُ فهلَ لِيَّالَى أَنْ تَحَقِّقَ فَأَلَّكََا
وَمَا الْمَجْدُ إِلَّا أَنْ أَكُونَ وَصَاحِبِي وَأَنْ تَقْطَعَ الصَّعْبَ الْمَشُوكَ وَنَسْلَكََا
وَمَا الْمَجْدُ إِلَّا أَنْ تُوجِّهَنِي إِلَى عِظَائِمِ مَا تَرْجُو ، فَأَفْعَلْ قَوْلَكََا

فِيَابِجَةِ النَّفْسِ الَّتِي عَزَّ أَنْسُهَا وَيَا مُنْقِذِي مِمَّا أَطَمَّ وَأَخْلَكََا

* النِّبَا : عام ١٩٣٧ .

أفدتَ حياتي جرأةً وتوثبًا وصيرتني لا أَرْهَبُ اليومَ مَهْلَكًا
ولوَّنتَ لي الدنيا جمالًا وفتنةً ولطفًا وإشراقًا فأكبرتُ بذلكًا
وأدبتي لَمَّا تَحَسَّستَ لَهْفَتِي فَلَبَّيتُ مَسْحُورًا، وَعَوَّذْتُ تُبْلَكًا
وباليتَ أدري، إذ أقومُ مصليًا، إلى الله قد كانت صلاتي أم لكًا؟

ويا واهبًا بالأمسِ ما فوق غايتي لمن أشتكى من بعدِ جُودِكَ بِخُلُكًا؟
لأصبتَ لا تَقْضِي إلى لُبَانَةٍ عشيَّةَ إن توميءُ أَجِبْ أنا سُؤْلَكَا
وتعطني في كلِّ شأنٍ أودُهُ ومن عَجَبٍ أنْ يَعْشَقَ القلبُ مَظْلَكَا
غفرتُ لكَ الماضي وأقبلتُ شاكرًا إذا كنتَ أذري أني بِتِ شُغْلَكَا!

ميلاد حب

يا التي في حمى الليمون شبت يا التي
إن في حقلك المطلول روحاً حنت
فاسنمعي !

في صباح الميلاذ ألت سفيني	لرياح الشتاء فضل الزمام
في صباح الميلاذ شجت رءوس الـ	موج تبغى طريقها للأمام !
لفها الفجر في شفوف صباحي	فبانت قصيدة للأنام . .
كلمات الحنين في شفتيها	وعليها صباحة الأيام . .
الرجاء الوليد يدرج فيها	هادئاً في تفتح وابتسام
والضباب الفضي يلقى عليها	بعماني الغموض والإبهام
بارك الله صبحها يبدنو	ر ، قعاصت في لجج المتراعى
ومشت خلفها مفارح هذا الـ	كون في غير ضجة وزحام
العصافير فوق منحوض الزيد	تون غنت أشواقها في هيام
ورعاة الأغنام فاءوا إلى العش	ب ، وغنوا لناصر منه نام

* النيا : عام ١٩٣٧ ، قصيدة لم تكمل .

والنسيم الوهنانُ يمشى على الماء ، بخطوٍ موقَّعٍ الأتغام .. !
والشعاعُ الندى رفَّ على السَّد ر^(١) وفوق المروج والآكام !
هكذا فى الصبح سارت سفينى بين دنيا تموج بالأحلام !

رحمتا .. للذى أمسى غريقا فى الدُّجى !
كلما حاول الإفلاتَ عزَّ المرتجى !
فاسمى !

يا رفيق الملاح : أين هى الأر ضٌ؟ وما لى على الضحى لأراها ؟
أعراها من السماء ازورارُ أم مشى الليلُ فوقها فحأها ؟
وإلى أين والمـوالمُ حولى أطلعت سُخْطَها ، وأبدت أذاها ؟
الغيومُ الجهماء تحجب عنى وجهَ شمسِ الضحى ، وتُخفى سناها
وبحارُ الظلامِ تطفئ على الكو ن فلا تبصر العيونُ مداها
وعيونُ السماء تُنذر بالهو ل ، وفى حينما التفتُ أراها . !

(١) شجرة النبق

السراب . . .

أُنَاجِيكَ وَمُضَضَّةٌ فِي حَيَاتِي ؟ أَمْ أُنَاجِيكَ لَعْنَةً فِي وُجُودِي ؟
أَمْ رَجَاءٌ أَرَاهُ غَيْرَ مُوَاتِي وَدَوَاءٌ أَرَاهُ غَيْرَ مُفِيدٍ ؟
لَنْ أُنَاجِيكَ .. لَنْ أُنَاجِيَ السَّرَابَ .. !

أَتَلُوحِينِ ؟ لَا تَلُوحِي ، فَمَالِي إِذْ تَلُوحِينِ مَأْمَلٌ فِيكَ بَعْدُ !
أَوْ فُلُوحِي فِي عَالِي وَخَيَالِي مُغْرِبَاتِ أَشْوَاقِهَا لَا تَحْدُ ..
لَنْ يَكُونَ الْإِغْرَاءُ إِلَّا السَّرَابَ .. !

وَإِذَا سِتَّتِ فَاخْذَعِي مَنْ يَرَاكِ وَازْعُمِي أَنَّ فِيكَ طُهُرَ السَّمَاءِ !
وَأَرِيهِ .. كَمَا رَأَيْتُ هَوَاكِ غُصَصَ الْمَوْتِ عَذْبَةَ الْأَسْمَاءِ
لَنْ يَرَى فِي هَوَاكِ إِلَّا السَّرَابَ .. !

وَادْخُلِي بِالْذُمُوعِ جَيْشًا عَلَيْهِ تَقْتُلِي ذَلِكَ التَّمْرُدَ فِيهِ

* القاهرة : صيف ١٩٣٧ .

وازعميها توشلاتٍ إليه من حبيبٍ بروحه يفديه
لن يرى في الدموع إلا السرابا . . !

وأما أراك في كل وادٍ كلما سرتُ صوبك ازددت بُعدا
ليت شعري.. وفيك ضلّ فؤادي وغدا لا يرى بغيرك رُشدا . .
أفتاةً ظهرت لي . . . أم سرابا . . ؟

أقبل

أَقْبِلِي يَا ابْنَةَ الْحَقُولِ وَهَاتِي مِنْ صَبَاحِ الْجِدَاوِلِ الْحَالِمَاتِ
أَقْبِلِي .. فَالظَّلَامُ حَوْلِي كَثِيفٌ وَجُيُوشُ النِّسْيَانِ تَغْزُو بِيَاثِي
أَقْبِلِي .. فَالضَّبَّاءُ تُنَغِّمُ أَحْسَلًا بِي وَشَوْقِي إِلَيْكَ فِي النَّسَمَاتِ
وَاطْلُعِي كَالنَّدَى يَرِفُ عَلَى الزَّهْرِ مِنْ وَفَوْقِ الْمَرْوَجِ وَالْقَنَوَاتِ
وَادْخُلِي رَوْضَكَ الشِّتَائِيَّ فِي الْفَجْرِ مِنْ وَنَاغِي طَيُورِهِ الْبَائِسَاتِ
وَاسْمَعِيهَا تُجَرِّحَاتِ الْأَغَانِي مَا عَسَاهَا تُذِيعُ غَيْرَ شَكَاتِي؟

أَقْبِلِي يَا ابْنَةَ الْحَقُولِ وَسِيرِي فِي طَرِيقِ مَأْنُوسَةٍ بِالْنبَاتِ
ذِكْرِيَاتِي عَلَى ثَرَاهَا تُمَاشِي لِي وَتُصَنِّفِي إِلَيْكَ فِي الْخَطُواتِ
فِي طَرِيقِ تَنْفَسِ الْعُشْبِ فِيهَا فَأَرَاكَ الشَّدَى عَلَى الْجَنَبَاتِ

* القاهرة : عام ١٩٣٨ . قصيده لم تكمل .

النسيان . .

ما لهذا الضبابِ يَنْشَى مكانى ولهذا السكونِ يَرْقُدُ حَوْلِي ؟
أنا مِنْ وحشةِ الليالى أُعَانِي ما يعمانى الغريبُ من كلِّ هَوَلٍ !

يا بحارَ النسيانِ لا تَفْصِلِينِي عن يَنابيعِ مَنْشَتِي ووجُودِي
أَرْجِعِيهَا إِلَيَّ أَوْ أَرْجِعِينِي عازفاً حَوْلَهَا بلحنِ جديدٍ !

يا لركبِ السنينِ يَخْطُو أُمَامِي كلُّ يومٍ فِيهِ بطيئاً ملولاً
من ضلالِ الأشواقِ والأوهامِ حَمَلَتْهُ الحَيَاةُ عِبْثاً ثَقِيلاً !

والخريفُ الحزينُ شاعَ بِنَفْسِي وَرَقاً ذَابِلاً ، وكوناً مريضاً !
وجيوشُ الإهمالِ من كلِّ جنسٍ لم تَدْعُ لِي من الرجاءِ وميضاً

لَمْ هَذَا الجَمُوحُ يا خطرَاتِي فى محيطٍ من الظلامِ الكثيفِ ؟
أنا إنْ عُدْتُ تَائِهاً فى حَيَاتِي فمن الصمتِ والمصيرِ المُخيفِ !

وَيْكَ يا مُرْجِعَ الحَصِيدِ جديباً ومعيدَ الحبيبِ غيرِ حبيبٍ !
كيف أطفأتُ وَجَدَنَا المشبوبة ثم أسَلَمْتَ شَمْسَنَا للمغيبِ ؟

* شبرا ، القاهرة : عام ١٩٣٨ .

عاصفة

أيها الداعي على قُربِ المزارِ كيف تدعوني ولم تفكك إساري؟
كيف تدعوني وتنسى ظلمةً طلعت حولي على غير انتظار؟
في جحيم اليأس زلت قدمي فتلقتني بنارٍ ، أي نارٍ . . !
يا له اليأسُ عدواً شرهاً يأكلُ الآمالَ في ضوء النهار !

لِمَنِ البحرُ يُغنى بالجمالِ؟ وَلِمَنْ يَسْمَعُ على تلك الرمالِ؟
ولم يرقصْ نشوان على نعمة التيه وموسيقى الدلالِ؟
أُغنى للسَّماعاتِ التي وَرَدَتْ تنهلُ من شتى الظلالِ؟
قلْ له : غنّ . . ولكن للآلى لم يذوقوا اليأسَ أو شهد الليالى !

المعاني ! أين يا بحرُ المعاني ؟ أين ذاك النورُ يسري في كياني ؟
أين آياتك والدينا التي تعمرُ القلبَ بأشتاتِ الأمانِ ؟
أين أشعارك ؟ كيف انطفأت بهجة الشُّطِّ ، وأنوارُ الحسانِ ؟

• الإسكندرية : صيف ١٩٣٩ .

عجبا يا بحر .. تحيا بالمعاني في أوانٍ ، ثم تَفنى في أوانٍ !

أذرعُ الشَّطِّ غُدُوًّا ورَوَّاحاً وأرى الناسَ ضجيجاً وصُباحاً
ثم لا أَصْحُو على موكبهم أو أرى في لهوهم ذاكَ انشراحاً
وعجيبٌ .. كلُّ ما يُبهِجُهُمْ يُفْهِمُ النفسَ مساءً وصباحاً !
أَفَتَنْ ضَلَّ امرؤٌ في سعيهِ يجدُ الدنيا شقاءً وجراحاً ؟

أيها الموجُ على صدرِ الضفافِ لا عليك الآنَ مِنْ هولِ المطافِ
بسطِ الأمنُ جناحيه على ظلك الساجي برفقٍ وانعطافِ
تلكَ عقباك : سلامٌ شاملٌ .. وأنا ما زلتُ في هذى الفياقِ !
في صميمِ اليأسِ أخطو والدُّجى يملأُ النفسَ ويسرى في شغافى !

يا بشيرَ النورِ .. يا فجرَ حياتى يا ربيعاً خالداً في دُنْيائى
لمَ أَوغَلتَ على ما بيننا فى محيطِ الصمتِ بين الظلماتِ ؟
لمَ أرسلتَ يدي فارغةً من عطايك ؟ أما أجدتَ صلاتى ؟
لمَ يا أنسَ ليالىً ، ويا سَلوةَ الأيامِ ، تمحو كلماتى .. ؟

كنتَ لى ظِلًّا على الأرضِ وريفاً كنتَ لى مَعْنَى سماءٍ لطيفاً

كنت لى سِحْرًا يُغَشِّي هَيْكَلِي وريعا شاعريا ، لا خريفا
كنت مرهوبا بما أَلْبَسْتَنِي من معانيك وَوَضَّاءَ شَفِيفَا
ثم مات الظلُّ والسَّحَرُ معا بين كَفِّكَ فأمسيتُ نُحِيفَا !

جَدَتْ يَمَشِي . . ! وقد ضُمَّ على أَمَلٍ عَائَتْ به أَيْدِي البِلَى !
وِغِلَافٌ ظَاهِرِيٌّ لَفَتِي . . كان بالأمس طموحا للعلا !
وبقايا من خيالٍ عابرٍ سكن الدنيا فضاقتُ منزلا !
أُتْرَاهُ الْآنَ ؟ لَنْ تُبْصِرَهُ حينما تلقاهُ إِلَّا هَيْكَلَا !

أَيُّهَا الصَّبِيحُ النَّدَى البَاسِمُ أَيُّهَا اللَّحْنُ الشَّجِيُّ الحَالِمُ
أَدْخُلْ الدَّارَ الَّتِي وَدَّعْتَهَا فَإِذَا الصَّمْتُ عَلَيْهَا جَاسِمُ !
وَإِذَا النِّسْيَانُ فِي أَرْجَائِهَا وَإِذَا عَرْشُكَ فِيهَا وَاجِمُ !
وَإِذَا أَنْوَارُهَا مُطْفَأَةٌ وَإِذَا اللَّيْلُ عَلَيْهَا دَائِمُ !

يَا رَجَاءَ الْعَمْرِ . . لو كان الرجا؛ غَيْرَ صُبْحِ الْوَهْمِ أَوْ لَيْلِ الشَّقَاءِ . .
سِرٌّ كَمَا تَهْوَى عَلَى أَشْـلَاتِنَا وَعَلَى الْمَاضِي الَّذِي جَازَ السَّمَاءَ !
وَانْزِعِ الرَّحْمَةَ لَا تَحْفِلْ بِهَا إِنَّمَا الرَّحْمَةُ شَرْعُ الضَّعْفَاءِ
حَبَّذَا الْكُفْرَانُ بِالْحُبِّ . . وَلَا حَبَّذَا الْإِيمَانُ فِيهِ وَالْوَفَاءُ ! !

ليلة في النخيل

يا عروس النخيل . قد أوشك الليلُ ، وما زلتُ ساهداً في انتظارك
فوق صدرِ الرِّبَاةِ آنسُ بالمشيبِ ، وأهفو بخاطري لمزارك ..
مستعيداً جولاتنا في الأماسيِّ وأمننا وجَدَّتُهُ في جوارك ..
فتعالى مع الريح .. وهاتى أسمعني الرجاء من قيثارك !

بى اشتياقٍ إلى صباحك أمضى فى سناء ، وأرتوى من نداء
بى انتظارٍ إلى ربيعك ينمو فى حياتى بعطره وشذاه
بى حنين لأن أحسَّك قربى وجهه أنى أجاد فيه الإله
فتعالى .. فقد يُضَيء بك القلب وينجاب ، إذ يراك ، دُجَاهُ !

ملعبُ الذكرياتِ المَحْ فيه زُمَراً من عواطفٍ تتعانق
ملعبُ الذكرياتِ أسمعُ فيه همساتٍ من المُنَى تتسابق
ملعبُ الذكرياتِ ينسابُ حولى يجديد من الفنون وشائق
ونسيمُ الحياةِ يبعثُ فى الوا دى حيناً كأنه شَجْوُ عاشقٍ !

* القرية : ربيع ١٩٣٩ .

ففي شِعَابِ النسيانِ أُفْرِدْتُ وَخَدِي فعبرتُ الأيامَ حَيًّا كَمِيتٍ !
أَجِدُ الغَدَرَ والجُحُودَ مِنَ النَّا سِ ، وَأَلْقَى الظَّلامَ في عُقْرِ يَتِي !
والعذابُ الروحِيُّ في لَيْلِي الدَّا ثُمَّ أَوْرَى دَمِي وَأَنْضَبَ زَيْتِي !
فَتَعَالَى . . وفي يَدَيْكَ انْطِلاقُ مِنْ فُجَاجِ النسيانِ إِمَّا أَتَيْتَ !

منذ ما بَعَثَ القَضَاءُ صَفَائِي في مُحِيطِ الرغائبِ الهُوجاءِ
وَجِمْ النَّائِي في يَدِي وانزَوَى الشَّمْعُ بِقَلْبِي مَجْرَحَ الْأَصْدَاءِ !
واخْتَفَتُ بِسَمَةِ التَّفَاوُلِ مِنْ كَوْنِي نِي وَعَادَ الذُّبُولُ رَجْعَ غِنَائِي !
فَتَعَالَى . . وَأُطْلِقُ في وَجُودِي وَمَضَاتِ الحَيَاةِ بَعْدَ الفَنَاءِ !

وَأَدْخُلِي مِنْ كَوْنِي الْفَوَادِ وَهَبِّي نَسَمَاتٍ تَعِيشُ في أَعْمَاقِي . .
وَأُطْلِعِي والحَيَاةَ في صَحْرَائِي وَاحَةً ظَلُمًا على الدَّهْرِ باقِ
وَأَزْخَرِي في دَمِي عُبابًا مِنَ الْفَنِّ وَفَيْضًا مِنْ نُورِهِ الْأَلَّاقِ . .
وَأَذْفَعِينِي إلى الحَيَاةِ جَدِيدًا فَلَقَدْ طَالَ للحَيَاةِ اشْتِيَاقِي !

يا عروسَ النخيلِ . يا بَسْمَةَ الفَجْرِ ، ويا رَوْعَةَ الصَّبَاحِ الجَدِيدِ
هُوَ ذَا الرُّوضِ قَدْ غَفَا . . فَتَعَالَى واسْمَعِي في النخيلِ نَجْوَى نَشِيدِي

وَأَذْفَعِي عَالَمَ الظَّلَامِ إِلَى الْغَيْدِ ب . . . إِلَى هُوَّةِ الْفَنَاءِ الْبَعِيدِ
وَأَشْرِي فِي وُجُودِي الْفَرَحَ الْخَالِ لَدَ ، يَا رَبَّةَ الْوُجُودِ السَّعِيدِ !

وَعَلَى النِّيلِ مَعْبِدٌ أَزَلِيٌّ شَاعِرِي الْإِيحَاءِ ضَافِي الْجَلَالِ !
رَقَصَتْ رُوحِي الْغَرِيبَةُ فِيهِ بَيْنَ عَزْفِ الْعُصُورِ وَالْأَجْيَالِ
وِظِلَالُ الْأَشْبَاحِ . كَمْ عَارَضَتْنِي بِظِلَالٍ مِنْ رَقِصِهِنَّ الْخِيَالِ !
فَتَعَالَى إِلَيَّ فِي الْمَعْبِدِ الْفَا نُصِّ بِالسَّحْرِ .. يَا عُرُوسَ اللَّيَالِ !

يَا هَوَانَ الْحَيَاةِ . . . إِنْ لَمْ تَرُدِّي وَجْهَهَا الْقَفَرَ جَذُولًا وَخَمِيلًا !
يَا ظِلَامَ الْوُجُودِ . . . إِنْ لَمْ تَكُونِي نُورَهُ السَّابِغِ الَّذِي لَنْ يَحُولًا !
يَا مَلَالَ الْأَيَّامِ . . . إِنْ لَمْ تَكُونِي أَنْسَهَا الشَّائِقَ الَّذِي لَنْ يَزُولًا !
يَا ضِلَالَ الْقَوَادِ . . . إِنْ لَمْ تَظَلِّي أَبَدَ الدَّهْرِ رُشْدَهُ وَالْدَّلِيلَا !

سخرية القدر

حينما تضحك الحياة ونبكي يبدأ الذاكرون في النسيان
وتعود الأشجان داءً لذيذاً فيه للنفس غاية الإحسان !

أنت.. من أنت؟ لا تقولى ملاك أنت وجه من أوجه الشيطان
فيك إغواؤه المضل وبعض من معانيه يا ابنة الإنسان !
أفكنا ممثلين .. ؟ وكنا .. نخدع القلب كل هذا الزمان ؟
أنا ما كنت بالمثل يبدو في الوجوه الكثيرة الألوان !

قالت العين : ويك يا قلب ! هذا حاتمك العبرى جم المعاني
مطرق الرأس كالذى كان يخشى أن تراه في مثل هذا المكان
وعليه من الكتابة ظل ومن الخزي والأسى ظلان !
وبعنيه ذلة وانكسار وشعور بالفقد والحرمان
لم لم تلقه .. شجياً طروباً عارم الشوق ، مشرف الخفقان ؟

* القاهرة : عام ١٩٣٩ .

لَمْ أَرْسَلْتَهُمَا، وَبَالَغْتَ فِيهَا، ضَحِكَاتٍ تَرْنُ فِي الْأَذَانِ ؟

ثُمَّ قَالَ الْقَوَّادُ : يَا عَيْنُ كُنِّي
لَيْسَ مَنْ مَرَّ فِي طَرِيقِكَ إِلَّا شَبَّحًا مِنْهُ ظَاهِرًا لِلْعِيَانِ

يَا لِيَالِيَّ .. وَانْجَلِي لَا تَعُودِي
يَا أُمَامِيَّ .. وَانْطَوِي لَا تَعِيشِي
يَا أَغَانِيَّ .. وَاضْمُتِي لَا تُسْرِي
يَا أُمَانِيَّ .. وَاهْدُتِي لَا تُتَمَاشِي
يَا مَآسِيَّ .. وَاسْكُتِي لَا تَضِجِي
يَا هَوَايَ الْجَرِيحَ ، يَا شَجَنَ الْعَمَدِ
يَا بَقَايَا الْأَشْوَاقِ ، يَا وَحْشَةَ النَفْسِ
يَا ضَلَالِي الْمَقِيمَ ، يَا قَلْقَ الرُّوحِ
كَيْفَ نَحْيَا فِي عَالَمٍ أَجْنَبِيٍّ
وَلِمَاذَا نَظَلُّ فِيهِ حَيَارَى
يَا بِنَا تَحْسِنِيهِ مِنْ عَزَاءِ
بَيْنَ دُنْيَاهُ عَذْبَةَ الْإِيحَاءِ
يَا بِنَا تَحْمِلِيهِ مِنْ غِنَائِي
يَا ، وَلَا تَشْغَلِيهِ بِالْأَشْقِيَاءِ
وَدَعِيهِ يَعْيشُ كَالسُّعْدَاءِ
رِ ، وَيَا زَحْمَةَ الْأَسَى وَالْمَنَاءِ
سِ ، وَيَا عُزْلَتِي عَنِ الْأَحْيَاءِ
جِ .. وَيَا كُلَّ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ !
لَيْسَ فِيهِ لَخِطُونًا مِنْ قَضَاءِ ؟
وَتُقْضَى الْحَيَاةُ كَالْغُرْبَاءِ ؟

وَأَنَا .. أَوَمِنْ أَنَا ؟ لَسْتُ أَدْرِي
أَيُّ شَيْءٍ أَنَا بِهَذَا الْفَنَاءِ ؟

أنا الطائرُ المرفرفُ يَشْدُو بمعاني الطبيعة المذراء ؟
أنا الشاعرُ الموكَّلُ في الأر ض برغبي العواطف الجوفاء ؟
أم أنا العابرُ الحياةَ على الشو لك غريباً بغير زادٍ وماء ؟
أنا هذا وذاك .. فاعجب لروح أسلمته الحياة للبرحاء !

الخروج

« إلى التي رقصت مرة على
المنزل معصوبة العينين ! »

قَبْلَ أَنْ تَحْمِلَ الشَّقَاءَ وَتَمْضِيَ
بَيْنَ قَفَرٍ عَلَى الطَّرِيقِ وَرَوْضٍ
قَفْ رُويْدًا . . عَسَاكَ تَقْضِي وَأَقْضِي
مَا عَلَيْنَا لِلْعَالَمِ الْمُنْهَارِ . . !

هُنَا . . ! مَا هُنَا؟ فَوْقَ هَذَا الصَّعِيدِ	على ذلك الشَّيْخِ الْهَامِدِ !
هُنَا . . ! مَا هُنَا؟ حَوْلَ هَذِي الشُّعَابِ	وفي ضَجَّةِ الْفَزَعِ السَّائِدِ !
هُنَا . . ! مَا هُنَا؟ خَلْفَ هَذَا الضُّبَابِ	وفي قَبْضَةِ الْقَدَرِ الرَّاصِدِ !
هُنَا . . عَيْلَمٌ مَا يُجِبُ بِالْفَنَاءِ	هنا . . الْهَوَلُ يَجْتُمُّ كَالْمَارِدِ !
هنا . . الْعُمُرُ مُتَجَرِّفٌ فِي الرِّمَالِ	هنا . . مَنْزِلُ الشَّجَنِ الْخَالِدِ !

مُرْجِي لِلْوَرَاءِ . . . كَيْفَ رُجُوعِي ؟
مُسَامِي لِلشَّتَاءِ . . . أَيْنَ رِيْعِي ؟

* القاهرة : عام ١٩٤٠ .

ما لهذا الضباب يَغشى رُبُوعى . .
ويَصُبُّ المَلالَ فى أشعارى ؟

رُؤَيْدَكَ يا عاصفًا بالحياة رويدك يا هازئًا بالوجود !
رويدك يا مُرسِلًا نِقْمَتِيهِ على عالمٍ شِدَّتُهُ لِلخُلُود !
أَتَدْخُلُ هذا الفضاءَ البهيجَ وتهدِمُ صَرَحَ الجمالِ العتيذِ ؟
أَتَسْرِقُهُ صَفْوَةَ الشاعرِ وتُلْقِي عليه رِداءَ الجُمُودِ ؟
رويدك يا فزَعَ الحالمينَ ويا مُقْبِلًا بالشقاءِ المديدِ !

ما احتِمَالُ الهَوانِ والطُغْيَانِ ؟
والرَضَى بالجحيمِ والجِرمانِ . . ؟
وعلى المجدِ والهوى والأمانِ
تَتَجَنَّى . . سفاهةُ الأقدارِ !

رويدك ! ما هذه الحَشَرَجَاتُ ؟ وما هذه الصُّورُ الفاجِعةُ ؟
أَهْدَى لِيَالِيَّ ؟ ما شَأْنُهَا ؟ وأين مشاهدُها الرائِعةُ ؟
وهذى ؟ أأفراحُنا فى اللقاءِ ؟ وكيف تُطالِعُنِي جازِعةُ ؟

وما لِلطُّمُوحِ ؟ وما لِلْحُزَنِ ؟ وما لِلْمُنَى هَكَذَا قَابِئَةٌ ؟
فَوَيْ لِفَنَاءِ . عَدُوَّ الْحَيَاةِ وَمُطْنِيَّ أَنْجُمِهَا اللَّامِعَةِ !

يَا بَقَايَا الْأَحْلَامِ وَالْأَمَالِ
يَا أَنَاشِيدَ عَزَلَتْنِي وَأَبْتَهَمَالِي
لَا تَعُدِّي عَلَيَّ وَزَرَ ارْتِمِحَالِي
شَهِيدَ اللَّهِ لَمْ يَكُنْ بِاخْتِيَارِي !

ودَاعًا رُبُوعَ النِّعَمِ الْقَدِيمِ . ودَاعًا هِيََا كُلَّهُ الْمُوَحِيَاتِ !
أَخْرُجُ؟ كَيْفَ يَكُونُ الْخُرُوجُ؟ وَكَيْفَ أُطِيقُ فِرَاقُ الْحَيَاةِ ؟
أَرْحَلُ؟ كَيْفَ وَلَيْلُ الشَّقَاءِ يُطَالِمُنِي بِالرُّثْوَى الْمُفْزَعَاتِ ؟
ودَاعًا . . فَمَاذَا وَقُوفُ الْفُؤَادِ بِأَطْلَالِ أَشْوَاقِهِ الْهَالِكَاتِ ؟
وَيَا عَالَمًا شِدَّتُهُ ثُمَّ زَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ ! عَلَى الذِّكْرِيَّاتِ !

يَا مَعَانِي الْحَيَاةِ لَا تَتَّبِعِينِي
لَا تُثِيرِي الضُّبَابَ حَوْلَ سَفِينِي

أَوَأَتْسِيرُهُ بِالرَّذَى تُسَمِّدُنِي
مَا اغْتِرَازِي بِالْعِشِّ فِي غَيْرِ دَارِي ؟

سوف أحياء .. لكن لغير مُرَاد !
وأُغْنِي .. لكن بِقَلْبِ جَمَاد !
وَمِنَ الشَّوْكِ سوف أَصْنَعُ زَادِي !
وبهذا شامتٌ يَدُ الْأَقْدَارِ !

بقية لم تسمعها . . .

كُنِّي دُعَابَاتِ الْجُنُونِ . فما بَقِيَ
لهوَالِكِ مَعْنَى رَجَائِهِ وَيَتَّقِي . !
وَهَبِيهِ كَالْأَمْسِ الْبَعِيدِ . فمنَ له
فِي الْيَوْمِ بِالْقَلْبِ الْقَدِيمِ الشَّقِيقِ ؟
الطَّائِرُ الصَّدَاحُ . كيفَ تَرَكَتِهِ
يَحْيَا عَلَى جَمْرِ الظُّنُونِ الْمُحْرِقِ ؟
أَسْيَانُ مُضْطَرَبِ الرِّجَاءِ .. ؟ فَيَا لَهُ
مِنْ شَامِيخٍ يَمْشِي بِرَأْسِ مُطْرِقِ !

أَفَأَنْتِ مَنْ عَرَضَتْ لَهُ بِفُنُونِهَا
كَالزَّهْرِ فِي فَجْرِ الرِّيعِ الْمُوْتَقِ ؟
أَفَأَنْتِ مَنْ طَلَعَتْ بِأَفْقِ وَجُودِهِ
أَلْقَا مِنْ الصَّبْحِ النَّدَى الْمُشْرِقِ ؟
أَفَأَنْتِ مَنْ سَحَرْتَ رُؤَاةً فَأَقْبَلَتْ
حَسَنَاءَ تَخْطُرُ فِي السَّنَا الْمُتَالِقِ ؟
أَفَأَنْتِ مَنْ أَلْقَتْ عَلَى أَيَّامِهِ
ظِلَّ السَّعَادَاتِ الَّتِي لَمْ تُخْلَقِ ؟
أَمْ أَنْتِ مَنْ أَقْصَيْتَهُ عَنْ مَلَكَوْتِهِ
وَجَعَلْتَ عَوَالِمَهُ بَغِيرِ تَرْفُقِ ؟

عَجِبِي مِنَ الْإَيَّامِ ! أَيْنَ رُؤَاؤُهَا ؟
بَلْ أَيْنَ بَاعَتْ صَفُوحَهَا الْمَتَرَقِرِ ؟
الْمُنْهَضُ الْأَمَالَ مِنْ عَثَرَاتِهَا
وَالْمُلْهِمِ مَعْنَى الْخُلُودِ الْمُطْلَقِ ؟
أَيَّامَ نَلَقَى فِي الطُّمُوحِ عُذُوبَةً
فَنَطِيرُ فِي جَوْ الطُّمُوحِ وَنَزَّاتِي !

* القاهرة : عام ١٩٤٠ .

أَيَّامَ تُغْرِينَا الْحَيَاةُ . . فَنَنْبِرِي
أَيَّامَ نَزَعُمُ أَنَّنَا بِرِسَالَةٍ
أَيَّامَ أَسْتَوْحِيكَ فَنَّا بِأَسْمَا
يَسْرِي إِلَى الْعَانِينَ لَذَّةَ نَاعِسٍ
وَأَعُودُ أَهْلُ فِي يَدَيَّ إِلَى الْوَرَى
وَالْيَوْمَ . . كَيْفَ هَجَرْتَ عُشَّكَ وَارِفًا
آه . . تَلَاشِي الْحُلْمُ قَبْلَ كَمَالِهِ
أَخْطُو عَلَى الشُّوْكِ الْبَغِيضِ وَأَنْثَنِي

نَجْنِي لَهَا الزَّهْرَ الْفَرِيدَ وَتَنْتَقِي !
عُلُوبِيَّةً جِئْنَا إِلَى الْكَوْنِ الشَّقِي !
وَأَزُفُهُ ، كَالنُّورِ ، حُلْمٌ مُوَفَّقٍ !
وَيُعِيدُ لِلْفَانِينَ رُوحَ مُحَلَّقٍ !
قَبَسًا مِنَ الْفَرْحِ النَّضِيرِ الْمُورِقِ !
وَوَهْبَتِهِ لِلْعَنَكَبُوتِ الْأَحْمَقِ ؟
وَصَحُوتُ أَخْطُو كَالطَّلِيْقِ الْمُوْتِقِ
يَجْنَانٍ مَشْبُوبِ الْخَوَاطِرِ مُرْهَقِ !

مَا لِي أُطِيقُ الدَّهْرَ يَغْشَى هَيْكَلِي
مَا لِي يُطِيفُ بِي الظَّلَامُ أَنَا الَّذِي
مَا لِي أَحَلَّقُ فِي مَدَاهُ وَأَنْتَهَى
مَا لِي عَلَى الْأَمْوَاجِ أُسَلِّمُ قُدْرَتِي
وَالْإِلَامَ تَجْنَحُ لِلذَّبُولِ خَوَاطِرِي
لِلَّهِ آمَالٌ زَحَمْتُ بِهَا الْوَرَى

بِاثْنَيْنِ : مَجْنُونٍ وَآخَرَ مُوْبِقٍ ؟
بِالْأَمْسِ أَبْصَرْتُ الضِّيَاءَ مُطَوَّقِي ؟
بِجَرَاحِ مَطْمُونِ الْفَوَادِ مُمَزَّقِي ؟
وَالِي صَفَافِ الْوَهْمِ أَدْفَعُ زُورَقِي ؟
وَالِي الْجَفَافِ يَصِيرُ فَيْضٌ تَدْفُقِي ؟
وَالْيَوْمَ أَسْلِمُهَا لِأَحَدٍ ضَيِّقِي !

يَا بَاعْتَ الْأَشْوَاكَ فِي رَوْضِ الْمَنَى وَمُفَرِّقَ الْأَحْلَامِ . . أَيَّ تَفَرُّقٍ !

زعموك تَعَبْتُ بالقلوبِ كريمةً
مازلتُ أطمعُ أن تردَّ كآبتي
مازلتُ أطمعُ أن أراكِ يجانبني
أتعودُ للعُشِّ القديمِ فيكتسبي
أتعودُ ..؟ قل: إني أعودُ، فربما
لكنني مازلتُ غيرَ مُصدِّقٍ
وتُعيدُ إشراقي ، ورَوْعةَ منطقي
كالأمس .. تمنحني الرضاء فنلتقي
إمّا دَرَجْتَ به عُذوبةَ رَوْنَقٍ؟
تَشْفِي بعودِكَ كلَّ مُعْنَى مُقْلِقٍ!

يا قلبُ .. لا تَنْثُرْ أَسَاكَ ولا تَطْفُفْ
لا تُنْهَضِ الأَوْجَاعَ مِن أوكارها
ودعِ الهَيَامَ يَمَنَ أَضْرَكَ عِشْقُهُ
بالذكرياتِ وجوهينَ المُحْرِقِ
سَوْدَاءَ تَنْهَشُ كالمَغِيطِ المُحْنَقِ!
وإذا يَكُنْ بِكَ مِن ذَمَاءِ^(١) فَأَعْشَقِ!

(١) بقية نفس .

أغنية الحقل*

هو ذا الفجرُ أرى طلعتَه فرحًا يهْمسُ في ظلِّ النخيلِ
فهلمِّي الآن يا بهجتَه واملئي كفتيكِ من عطرِ الحقولِ !

العصافيرُ على الأيكِ النضيرِ
والأغاريدُ بأفواهِ الطيورِ
والندى الحالمُ في شطِّ الغديرِ
صُورٌ تشاقُ وهابَ السرورِ

هو ذا الفجرُ أرى طلعتَه فرحًا يهْمسُ في ظلِّ النخيلِ
فهلمِّي الآن يا بهجتَه واملئي كفتيكِ من عطرِ الحقولِ !

كالشذى العابقِ في فجرِ الربيعِ
كانطلاقِ النورِ في الكونِ الواسعِ
كتحايا الطلِّ للعُشبِ الوديعِ

* القرية : ربيع ١٩٤٠ .

أُقْبِلِي يَا زَهْرَةَ الدُّنْيَا وَضُوعِي

هو ذا الفَجْرُ أرى طَلْعَتَهُ فَرَحًا يَهْمِسُ فِي ظِلِّ النَّخِيلِ
فَهَلُمَّيْ الْآنَ يَا بَهْجَتَهُ واملئي كَفِّكَ مِنْ عَطْرِ الْحَقُولِ !

يا ضِيَاءَ لَمَسِ الْحَقْلِ فَضَاءِ
وَنَسِيماً شَاعَ فِي الْحَقْلِ رَجَاءِ
وَرَبِيعاً أَلْهَمَ الطَّيْرَ الْغِنَاءِ
لَيْتَ ! يَا لَيْتَ تُتَبِّينَ النَّدَاءَ !

هو ذا الفَجْرُ أرى طَلْعَتَهُ فَرَحًا يَهْمِسُ فِي ظِلِّ النَّخِيلِ
فَهَلُمَّيْ الْآنَ يَا بَهْجَتَهُ واملئي كَفِّكَ مِنْ عَطْرِ الْحَقُولِ !

لَمْ أَزَلْ فِي عَالَمِ الْأَمْسِ الْبَعِيدِ
لَمْ أَزَلْ أَحْنُو عَلَى الْمَاضِي السَّعِيدِ
يَا عِزَّاءَ الْقَلْبِ فِي هَذَا الْوُجُودِ
ظَمِئْتُ رُوحِي إِلَى النُّورِ . . . فَعُودِي

هُوَ ذَا الْفَجْرِ أَرَى طَلْعَتَهُ فَرَحًا يَهْمِسُ فِي ظِلِّ النَّخِيلِ
فَهْلُمِّي الْآنَ يَا بِهِجَتَهُ وَاْمَلِّي كَفِّيكِ مِنْ عَطْرِ الْحَقُولِ !

الليالى ! يا لأطيافِ الليالى !
زمرًا تَرْقُصُ فِي دُنْيَا الْخِيَالِ
زمرًا تَرْقُبُ إِشْرَاقَ الْجَمَالِ
فَتَحْيِيهِ بِشَوْقٍ وَابْتِهَالِ . . !

هُوَ ذَا الْفَجْرِ أَرَى طَلْعَتَهُ فَرَحًا يَهْمِسُ فِي ظِلِّ النَّخِيلِ
فَهْلُمِّي الْآنَ يَا بِهِجَتَهُ وَاْمَلِّي كَفِّيكِ مِنْ عَطْرِ الْحَقُولِ !

مَا عَلَى الْأَيَّامِ لَوْ نَمَشَى الْهُوَيْنِ
فِي طَرِيقِ يَنْشُرُ الْأَمْنِ عَلَيْنَا ؟
طَالَ بِي الشَّوْطُ . . وَلَكِنْ مَا التَّقِينَا
فَتَى الْقَالِكِ فِي الدُّنْيَا ؟ وَأَيْنَا ؟

هُوَ ذَا الْفَجْرِ أَرَى طَلْعَتَهُ فَرَحًا يَهْمِسُ فِي ظِلِّ النَّخِيلِ
فَهْلُمِّي الْآنَ يَا بِهِجَتَهُ وَاْمَلِّي كَفِّيكِ مِنْ عَطْرِ الْحَقُولِ !

حيرة . . .

سَرَى فِي اللَّيْلِ لَا يَذَرِي إِلَّا مَا
أَتَدْفَعُهُ إِلَى الدُّنْيَا شَرِيدًا
وَيَخْبِطُ فِي الظَّلَامِ . . أَمَا كَفَاهُ
رُؤْيَاكَ مَا أَصَبْتَ هَوًى وَرَأْيَا
وَأَوْغَلَ مَا يَرَى إِلَّا ظَلَامًا !
فَيَقْطَعُهَا ابْتِثَاسًا وَاعْتِمَامًا ؟
ظَلَامٌ يَمَلَأُ النَّفْسَ احْتِدَامًا ؟
وَمَا خَلَقْتَهُ إِلَّا حُطَامًا !

وَمُضْطَرِبِ الْخَطَى يَمْشِي غَرِيبًا
كَأَنَّ فِجَاجَهَا سَمَتْ خُطَاهُ . .
وَتَحْذَلُهُ الْحَيَاةُ بِكُلِّ فَجٍّ
عَلَامَ يُطِيقُهَا عَنَّا وَجُورًا ؟
بَارِضٍ لَا يَرَى فِيهَا ابْتِسَامًا !
فَأَمْسَتْ لَا تُنَوِّلُهُ مَرَامًا . .
وَتُسَلِّمُهُ لِمَا تَهْوَى طَعَامًا . .
عَلَامَ يَعِيشُهَا بَرَمًا عِلَامًا ؟

أَعِيدُكَ أَنْ تَظُنَّ بِهِ جُنُونًا
وَيَا زُمَرَ الْفَوَاجِعِ لَا تَكُنِّي
أَتَزْعُمُهُ ؟ لَقَدْ سَاءَتْ مُقَامَا
وَيَا ظُلَمًا أَجَنَّهُ دَوَامًا !

وَذِي غُرْفٍ^(١) كَسَا كِنِيهِ رَهِيْبٍ
سَعَيْتُ إِلَيْهِ لِمَا ضَلَّ سَعْيِي
تَجَهَّمُ لِلرَّيَاءِ وَعَنْهُ صَامَا
وَأَخْلَفْتِ الْمُنَى عَامًا فَعَامًا !

* القاهرة : عام ١٩٤١ .

(١) بيت الشاعر في القرية .

سَعَيْتُ إِلَيْهِ أُنْعِمُهُ بِرُوحِي وَأَنْزَلُ فِيهِ صَبًّا مُسْتَهَامَا
فَأُلْقِي مِلءَ سَاحَتِهِ قَبُولًا وَأَبْصُرُ فِي مَسَالِكِهِ اهْتِمَامَا
وَالْمَحُ فِي طَوَيْتِهِ عِتَابًا وَأَقْرَأُ فِي مُحْيَاهُ كَلَامَا . .
فَأَلْبَسُ فِيهِ ظِلًّا شَاعِرِيًّا وَأَرْجِعُ فِيهِ كَالْمَاضِي غُلَامَا
وَكَمْ مِنْ قِصَّةٍ مِثْلَتْ فِيهِ شَفَتْ بَدَأًا وَلَمْ تُحْمَدْ خِتَامَا ! . .

صرعى الأوهام

آنَ لِلْمُدْجِلِينَ أَنْ يَسْتَرِيحُوا وَلِصَرَغَى الْأَوْهَامِ إِلَّا يَنْوَحُوا
 أَنَّ أَنْ يُدْرِكُوا دَمَوَعَ التَّمَاسِيدِ حَجَّ شِرَاكًا عَلَى الطَّرِيقِ تَلَوْحُ
 أَوْغَلُوا فِي الْحَيَاةِ يَوْمًا ظِلْمًا وَبِهِمْ نَشْوَةٌ ، وَفِيهِمْ طُمُوحُ
 وَرَأَوْا فِي الشَّعَابِ حُسْنًا فَبَاحُوا بِهَوَاهِمَ ، وَلِيْتَهُمْ لَمْ يَبُوحُوا
 جَمَّحُوا خَلْفَ ظِلِّهِ يَتَبَارَوْ نَ هَيَامًا .. فَا أَفَادَ الْجُمُوحُ !
 وَصُرُوحًا شَادُوا مِنَ الشَّعْرِ لِلْحُسْدِ نِ ، فَمَا اسْتَوْقَفْتُهُ تِلْكَ الصُّرُوحُ
 ثُمَّ آبَوْا مُطَرِّحِينَ حَيَارَى وَبِهِمْ مِنْ مَآبِهِمْ تَبْرِيحُ !
 إِنْ يَكُنْ مِنْهُمْ جَرِيحٌ مُعْنَى فَأَنَا ذَلِكَ الْمَعْنَى الْجَرِيحُ !

أَنْتَ يَا مَنْ يَعِيشُ فِي النَّاسِ جَسَمًا وَهُوَ فِي عَالَمِي بِهِاءٍ وَرُوحُ
 لَكَ قَلْبِي أَسْلَمْتُهُ يَا حَبِيبِي بُرْعَمًا عِطْرُهُ الذِّكْيُ يَفُوحُ
 لَكَ قَلْبِي ، وَفِيهِ دُنْيَا مِنَ الْحُبِّ ، وَكَوْنُ مِنَ الْمَعَانِي فَسِيحُ
 لَمْ لَمْ تَجْزِهِ عَلَى الْحُبِّ حُبًّا ؟ وَلِمَاذَا لَمْ تَرْفَعَهُ ، يَا شَحِيحُ ؟
 أَعْقُوقًا ، وَقَدْ صَدَقْتُكَ حُبِّي ؟ أَوْدَادَ ، وَالْقَلْبُ مِنْكَ ذَبِيحُ ؟
 لَا تَخْلِنِي .. أَرْضَى الْهَوَانَ لِنَفْسِي الرِّضَا بِالْهَوَانِ . عَجْزُ صَرِيحُ !

* أكسفورد : عام ١٩٤٦ .

يا حبيبي

يا حبيبي.. إن تكن ضاغت من الدنيا الأمانى
وانتهينا وانتهت أيامنا قبل الأوانِ
ومشى الموت على أشواقنا فى العنقوانِ
وانطوى الماضى الذى عشناه فى يَمِّ الزمانِ
فلماذا .. كلما ألقاك تأبى أن ترانى ؟

لَا أَنَا سِئْتُ ، وَلَا قَدَّرْتُ .. أَنَا نَفَرْتُ
لَا . وَلَا أَذْرَكْتُ يَوْمًا بِأَسَانَا نَحْتَرُقُ
لَا . وَلَا قَوَّضْتُ عُشَّ الْحُبِّ أَهْوَاً بِالتَّزَقُّ
هوَذَا الدهرُ .. وللدَّهْرِ فَوَادٌ لَا يَرِقُ
فلماذا .. كلما ألقاك تأبى أن ترانى ؟

يا حبيبي . يا أخا الروح قريباً وبعيداً
أنا من غناك فى أشعاره لحننا جديداً

* لندن : عام ١٩٥٠

وأراك الكون خُلداً ، والهوى حُلماً سعيداً
وأنا من بك يحيا ، ويرى فيك الوجودا
فلماذا . . كلما ألقاك ، تأبى أن ترانى ؟

يا حبيبى . . إن يكن فى الأرض لم يبق لنا
موضعٌ ننبتى عليه من جديد عُشنا
أو نكن لم نذر حقاً . . كيف نرعى حُبنا
أو يكن ضاق بنا الدهر . . فاذنبى أنا ؟
ولماذا . . كلما ألقاك تأبى أن ترانى ؟

يا حبيبى . . لا يدُ الدهر ولا كثرُ الليالى
لا . . ولا الكونُ وما فى الكون من كلِّ جمالٍ
يحملُ الروح الذى يهواك ينساك بحالٍ !
أبدًا . . أنت بقلبي وضميرى وخيالى
ولهذا . . كلما ألقاك أرجو أن ترانى !

لو كنت لي . . .

أَوْ تَدْرِينَ أَيَّ جُـرْمٍ أَتَيْتِ
يَوْمَ أَنْكَرْتِ وَعَدَكِ الْمَأْثُورَا ؟
يَوْمَ فِي نَشْوَةِ الْغُرُورِ زَعَمْتِ
أَنَّ مَا كَانَ بَيْنَنَا .. كَانَ زُورَا ؟

قَاتِمَا .. كَالْقَضَاءِ سَهْمًا مُطِيعًا !
فَإِذَا الْجَنَّةُ اسْتَحَالَتْ سَعِيرَا !
ثُمَّ خَلَفْتِ كَبْرِيَاءَ جَرِيحَا
وَشَجَّيْ دَائِمًا وَقَلْبًا كَسِيرَا

كُنْتُ ، لَوْ كُنْتُ لِي ، مُسْتَطِيعًا
أَنْ أَرُدَّ الْيَبَابَ رَوْضًا نَضِيرَا
وَأُبُثَّ الْحَيَاةَ فَنَّا رَفِيعَا
وَأُحِيلَ الظَّلَامَ كَوْنًا مُنِيرَا

* مدينة إيشر Esher بمقاطعة ساري Surrey بالبحريرة : عام ١٩٥٠ .

لِمَ أَحْيَا ؟ وَكَيْفَ أَحْيَا ؟ وَمَا لِي
فِي حَيَاتِي مَلَذَّةٌ أَوْ غَايَةٌ
كَنتُ أَرْجُو بِالْأَمْسِ بَعْدَ الْمَالِ
كَيْفَ أَرْجُو فِي الْيَوْمِ قُرْبَ النَّهَايَةِ ؟

عَلَّيْنِي*

عَلَّيْنِي لُعْبَةً أُلْهُو بِهَا عنكِ .. والحبُّ الذي قد مالَ عَنَّا
واجْعَلِهَا ، إنْ تشائِي ، عِوَضًا عنكِ لي أَلْقَى بِهَا أَنْسًا وَفَنَّا
ضَحِكْتُ وانفَجَرْتُ بِاِكِيَّةِ : لم يكنِ أَلْعُوبَةً ما كانَ مِنَّا !

عَلَّيْنِي خُدْعَةً تُهْمِنِي أنا لم تَفْتَرِقْ رَغْمَ الفراقِ !
وبروحَيْنَا دَعِينَا نَلْتَقِ إنْ يكنِ في الأرضِ قَدْعُ التَّلَاقِ
يا لَمَقْهُورَيْنِ .. أَوْحَى صَمْتُهَا .. لم يَلِدْ حُبُّهُمَا غَيْرَ الطَّلَاقِ !

عَلَّيْنِي حِكْمَةً فِي طَيْهَا بَلَسَمُ الرُّوحِ وَتِرْيَاقُ الْجَسَدِ
يا حَبِيبِي .. قَالَتِ الْعَيْنُ الَّتِي عَرَفَتْ أَنَا انْتَهَيْنَا لِلْأَبَدِ ! ..
كُلُّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ فِلَسْفَةٍ لَا يُعَزِّي فَاقِدًا عَمَّنْ فَقَدَ !

عَلَّيْنِي غَنَوَةً تَزِيدُهَا يَدْعُ الْمَهْجُورَ يَنْسَى الْحَاضِرَا
يا حَبِيبِي .. قَالَ لِي قَلْبُ الَّتِي كَانَتِ الشُّعْرَ وَكُنْتُ الشَّاعِرَا ..
مَا جَرَى بِالْأَمْسِ .. حَيٌّ أَبَدًا كَيْفَ تُنْسِينَا الْأَغَانِي مَا جَرَى ؟

* على الباخرة من مارسيليا إلى الإسكندرية : ٢٦ فبراير سنة ١٩٥١ .

الشك

تَمَثَّلَ كَالْمَارِدِ الْغَاضِبِ وَأَلْقَى عَصَاهُ إِلَى جَانِبِي
وَأَرْسَلَهَا زَفْرَةً ثُمَّ قَالَ : إِلَامَ يَقِينُكَ يَا صَاحِبِي ؟
إِلَامَ يَقِينُكَ يَا ابْنَ الْخِيَالِ بِسَاحِرِكَ الصَّادِقِ الْكَاذِبِ ؟

أَجِئْتَ تُعَذِّبُنِي بِالظُّنُونِ وَتَسْلُبُنِي رَاحَتِي وَالْيَقِينَ ؟
أَتَزْعُمُ لِي أَنَّهُ لَيْسَ لِي وَأَنِّي سَأَشْقَى بِهِ فِي السَّنِينَ ؟
وَهَبْنِي تَبِعْتُكَ فِيمَا تَشِيرُ فَكَيْفَ الْحَيَاةُ ؟ وَمَاذَا أَكُونُ ؟

أَلَمْ تَرَهُ زَاهِدًا فِي هَوَاكَ يِرَاكَ فَيُبَيِّسُهُ أَنْ يِرَاكَ ؟
وَقَفْتَ الشَّبَابَ عَلَى حُبِّهِ فَلَمْ تَلْقَ غَيْرَ الْأَسَى وَالْهَلَاكَ !
لِغَيْرِكَ أَلْقَى زِمَامَ الْهَوَى فَفَقِيمَ الْهَيَامِ بِمَنْ قَدْ جَفَاكَ ؟

* على الباخرة من الإسكندرية إلى مارسيليا : ٤ مايو ١٩٥١ .

أحبك..

أُحِبُّكَ صَادِقَةً كَاذِبَةً
أُحِبُّكَ رَاضِيَةً غَاضِبَةً
أُحِبُّكَ حَاضِرَةً غَائِبَةً
أُحِبُّكَ هَادِئَةً صَاخِبَةً
أُحِبُّكَ مُذْنِبَةً تَائِبَةً
أُحِبُّكَ مَخْطِئَةً صَائِبَةً
أُحِبُّكَ عَازِفَةً رَاغِبَةً
أُحِبُّكَ قَاسِيَةً حَادِثَةً
أُحِبُّكَ.. دُونَ الْوَرَى قَاطِبَةً !

أُحِبُّكَ وَاصِلَةً هَاجِرَةً
أُحِبُّكَ قَاسِيَةً ذَاكِرَةً
أُحِبُّكَ عَادِلَةً جَائِرَةً
أُحِبُّكَ جَاهِدَةً شَاكِرَةً

* لندن : عام ١٩٥٢ .

أحبك مغمورةً ظاهرةً
أحبك ذابلاً ناضرةً
أحبك مؤمنةً كافرةً
أحبك دنيا.. وفي الآخرة

ختم المأساة . . !

بعدَ سَبْعٍ من السنينِ وعَشْرِ
وَضَحَ الحَقُّ مُؤَلِمًا . . وَتَجَلَّى
إِنْ يَكُنْ لَمْ يُحِبَّ قَلْبُكَ قَلْبِي
ولماذا تركتني دُونَ وَغِي
وختمُ المأساةِ . . هل أنا أَحَبُّ
إِيهِ « ليلي » .. أَأَنْتَ لَيْلَى؟ هَذَا
بِخَيَالِي خَلَقْتُ غَيْرَكَ « ليلي »
بينَ أَذْرِي وَبَيْنَ لَا .. لَسْتُ أَذْرِي!
سِرُّنَا العَبْقَرِيُّ عَنْ غَيْرِ سِرٍّ!
فلماذا أَطَلَّتْ فِي التَّيِّهِ أُسْرِي؟
فِي هَوَى لَمْ يَكُنْ .. أَضْيَعُ عَمْرِي؟
تُكِّ؟ أَمْ كُنْتُ حَالِمًا طَوَّلَ دَهْرِي؟
كَانَ وَهْمِي . . حَتَّى تَبَيَّنْتُ أَمْرِي!
وَعَلَيْهَا وَقَفْتُ حُجِّي وَشِعْرِي!

* لندن: أكتوبر ١٩٥٢ .

لغة الثغور

لُفَّةُ الكلامِ لغيرِنا ولمثلِنا لُفَّةُ الثغورِ !
كلماتُها القُبْلُ الفِصَاحُ .. وشِعْرُها أَرْجُ العبيرِ !
ليتَ الثغورَ تبوحَ بالسَّـرِّ المَغِيبِ في الصدورِ
وتبوحَ بالْحُبِّ المَبْرَحِ في الضُّلُوعِ وفي الضَّميرِ
وتضجُ بالشَّكْوَى من الحرمانِ والهجرِ المريرِ
وتَقْصُ مأساةَ المُعَذِّبِ .. والمُعَذِّبِ في السَّعيرِ !

* لندن : عام ١٩٥٤ .

مأساة عمرى

ناداكِ مِنْ خَلَلِ الْغُيُوبِ

ودعاكِ بالصوتِ الحبيبِ

ومشى إليكِ على المروجِ الخضرِ كالنَّعَمِ الطَّروِبِ

فى صدره وهَجُّ الشَّبابِ ورأسه أثرُ المشيبِ

نشوانُ يحلمُ بالْمَنَى فى ظلِّ شاطئك العجيبِ

هيمانُ يعدُّو خافَ طيفك فى هوى وجوى غريبِ

فيراكِ فى الليلِ الغريبِ ، وطلعةُ الفجرِ القشيبِ

ويراكِ فى ألقى الصَّباحِ ، وميعةُ الغُصْنِ الرطيبِ

ويراكِ فى فرجِ الشُّروقِ ، وفى تهاويلِ الغُروبِ !

ويراكِ فى صُورِ الرِّبيعِ مُضْمَخَاتِ بالطُّيُوبِ

ويراكِ فى لُطفِ النَّدَى .. فى الحقلِ .. فى الرُّوضِ الخصبِ

فى الجدولِ المُناسبِ .. يهزجُ للبعيدِ . . وللقریبِ

فى أغنياتِ الطيرِ تدخلُ بالعزاءِ على القلوبِ

فى كلِّ معنى مِنْ معانى الحسنِ فى الكونِ الرحیبِ

* القاهرة : عام ١٩٤١ . عثرت على هذه القصيدة حديثاً بين أوراق قديمة . وكان من

حقها أن تنشر ضمن القصائد التى نظمت عام ١٩٤١ ، ولهذا رأيت إنباتها هنا .

أَدْعُوكِ يَا هِبَةَ السَّمَاءِ .. وَوَاحَةَ الْعَمْرِ الْجَدِيبِ !
مَأْسَاةُ عُمْرِي أَنِّي أَحْيَا الْحَيَاةَ بِلا حَيِّبِ !
وَأَجُوبُهَا .. نَهَبَ الْأَسَى ، وَضَحِيَّةَ الْأَمَلِ الْكَذُوبِ !
وَأَخُوضُهَا .. مُسْتَنْقَعَاتِ مُفْغَمَاتِ بِالذُّنُوبِ !
وَأَدُورُ حَوْلِي لَا أَرَى غَيْرَ الْمَآسِي وَالْخَطُوبِ !
وَهَوَانِ أَمْجَادِ الْوَرَى وَضُرَاوَةِ الْقَدَرِ الْغَضُوبِ !

أَدْعُوكِ يَا هِبَةَ السَّمَاءِ .. وَوَاحَةَ الْعَمْرِ الْجَدِيبِ !
أَدْعُوكِ لِلْقَلْبِ الْجَرِيحِ فَأَدْرِكِيهِ كَالطَّيِّبِ !
أَتُرَى تُتَلَبِّينِ النَّدَاءَ .. نَدَاءَ مُغْتَرِبِ كَثِيبِ ؟
لَغَفَرْتُ لِلْمَاضِي أَذَاهُ .. إِذَا وَجَدْتُكَ مِنْ نَصِيبِي !





الطلال البالى

هو رُبْعُ طَامِسُ الْعَهْدِ خَرِبُ مُظْلِمِ الْأَرْجَاءِ مَفْقُودُ الْقَطِينِ
كَانَ بِالْأَمْسِ يُوشِيهِ الصَّبَا
وَعَلَى دَارَاتِهِ الْمَرْزُ حَبَا
لَهْفَ نَفْسٍ ، مَا لَهُ الْيَوْمَ خَبَا
ضَوْءُهُ الزَّاهِي وَوَلَّى وَاحْتَجَبَ بَيْنَ طَيَّاتِ اللَّيَالِي وَالسِّنِينَ ؟
تَتَمَشَّى يَنْبُذُ الرِّيحُ فَلَا
تَلْتَقِي إِلَّا بِأَمْوَاجِ الْبَلَى
عَاصِفَاتِ الْمَدِّ تَذُرُّو مَا عَلَا
بَيْنَا الرَّبْعُ حَزِينٌ مَكْتُوبٌ سَاعِرُ الْأَحْشَاءِ مَكْبُوحُ الْأَنِينِ !
خَيَّمَ الصَّمْتُ عَلَيْهِ وَالْعَدَمُ
وَحَنَاءُ الدَّهْرِ إِحْنَاءُ الْهَرَمِ
وَهُوَ جَاثٍ .. لَمْ يُهَوِّمْ أَوْ يَنْمِ !
وَصُرُوفُ الدَّهْرِ تَرْنُو عَنْ كَثَبِ عَلَّاهُ يُغْنِي فَتُصْلِيهِ الْمَنُونُ
مَسْرَحُ الْمَاضِي وَرَمَزُ الْبَسْمَاتِ ؟

* حى الناصرية بالقاهرة : عام ١٩٣٠ .

مَوْطِنُ الْجُرْذَانِ .. مَأْوَى الْحَشَرَاتِ ؟
مَطْلَعُ الْأَفْلَاكِ .. مَهْوَى النَّيِّرَاتِ ؟
عَجِبَا يَا أَيُّهَا الدَّهْرُ عَجِبْ فِعْلَكَ الطَّائِشُ بِالرَّبْعِ الْأَمِينِ !
زُرَّتُهُ وَالنَّفْسُ يَوْمَ مَا ثَائِرَةٌ
فَإِذَا الرَّبْعُ عَمِوْنٌ نَازِرَةٌ
وَإِذَا الْأَشْبَاحُ تَهْفُو نَافِرَةٌ
وَإِذَا الْمَهَاتِفُ مِنِّي يَقْتَرِبُ يُرْسِلُ الْحِكْمَةَ فِي رَفْقٍ وَلِينِ
أَيُّهَا الْوَاقِفُ بِالرَّبْعِ .. اتَّشَدُّ
وَاحْبِسِ الْأَنْفَاسَ إِجْلَالًا فَقَدْ
غَالَنَا غَوْلُ الْفَنَاءِ الْمُسْتَبِدِّ
فَقَدَّوْنَا مِثْلَ نَارٍ مِنْ حَطْبٍ تَخْدَعُ السَّارِيَ وَتَخْبُو بَعْدَ حِينِ !
فَتَنْظُرُ .. هَلْ تَرَى إِلَّا رُسُومًا
عَابَسَاتٍ تَمَلُُّ النَّفْسَ وَجُومًا
أَكْبَرَ الدَّهْرُ عَلَيْهَا أَنْ تَدُومًا
فَإِذَا الْقَائِمُ مِنْهَا مُنْشَعِبٌ وَإِذَا الرَّبْعُ يُغْشِيهِ الشُّكُونُ .. ؟

غيرة

« مهداة إلى كل زوج غيور »

أجهدتَ نفسك واقفاً .. فمتى تحنُّ إلى القعود ؟
وقضيتَ عمرك غارقاً .. بين التفكير والشروء
تُنحى على القدر العنيد .. رماك بالقلب العنيد !
حيران تسبحُ في دياجى الحزن والألم الشديد
حيران لا تدرى .. إلى أين النجاء من القيود !

هدئْ جنونك ما استطعت .. فليس ينفعُ أو يُفيدُ
أمن الكرامة أن تسير وراءها سير العبيد ؟
هى لا تريدك حاكماً .. يقضى عليها بالكنود
أو حارساً يقفـو خطاها فى القيام وفى القعود

أنا لا أقولُ بأن تسرحها تسيرُ كما تريدُ
لك أن تراقبها كما تبغى .. ولكن من بعيد !
فى فطنة الرجل الذكى .. وحكمة الرجل الرشيد

• القرية : عام ١٩٣٠

حلم الورد

نَبَّهَ الوردَ من الحُلْمِ السَّعِيدِ صَدَحَتِ الطَّائِرُ في جَوَفِ السَّحَرِ
وَتَمَشَّى الصَّوْتُ بِاللَّحْنِ الْفَرِيدِ في ظِلَالِ الدَّوْحِ والرَّوْضِ الْمَطَرِ
وهفَا الطَّائِرُ يَسْتَوْحِي الْخِيَالِ
يَسْرِقُ الْأَلْحَانَ مِنْ وَادِي الْجَمَالِ
فإذا الْأَلْحَانُ.. أنفاسُ الْوُرُودِ !
زَفَّهَا الْفَجْرُ الْوَلِيدُ

بابتسام !

نَغْمَ الطَّائِرُ في ظِلِّ الشَّجَرِ يسألُ الوردَ عن الحُلْمِ الْجَدِيدِ
فرناً الوردُ بِعَيْنِ الْمُخْتَبِرِ وَمَضَى يُلْقِي عَلَيْهِ ما يُرِيدُ :
قد عَرَفْتُ السِّرَّ في هذا الوجودِ
وعرفتُ الْعِلْمَ كَالْجَهْلِ يُبِيدُ !
ليتني لم أَدْرِ ما سِرُّ الْمَالِ
لَا .. وَلَا الدَّاءُ الْمُضَالِ
في الْأَنَامِ !

* القرية : صيف عام ١٩٣١ .

شَبَّهُوا بِالْوَرْدِ مُحَمَّرًا الْخُدُودُ حَشَدُوا فِي الرُّوضِ أُلْوَانَ الزُّهَرِ
وَأَنْثَى الْيَأْسُ مِنْهُمْ وَالطَّرِيدُ يَطْلُبُ السَّلْوَى مِنَ الرُّوضِ النَّضِرُ
وَيُحْمَمُ... مِنْ بَعْدِ مَا طَاحَ الْمَلَالُ
وَتَوَلَّى الْيَأْسُ عَنْهُمْ وَالْكَلَالُ
يَسْبِقُونَ الْعَمَرَ فِي مُحَقِّ شَدِيدِ
فَإِذَا الْوَرْدُ... شَهِيدُ

فِي الْفِطَامِ

تَذَرَعُ الْآفَاقُ فِي لَمَحِ الْبَصَرِ وَتَطُوفُ الْكُونُ كَالطَّيْفِ الشَّرِيدِ
تَمْسَحُ الْآلَامَ عَنْ كُلِّ ضَجِرٍ بَرَقِيقٍ مِنْ أَنْشِيدِ الْخُلُودِ
وَيُرَاشُ السَّهْمُ مِنْ قَاسٍ عَنِيدِ
بَيْنَ أَمْوَاجِ الْأَغَانِي وَالنَّشِيدِ
فَإِذَا الرَّأْسُ عَلَى الصَّدْرِ مُمَالٍ !
وَإِذَا الْعَمَرُ خِيَالُ

فِي الْمَنَامِ !

وَالْفَتَى الْمَاجِدُ ذُو الرَّأْيِ السَّيِّدِ يَشْتَرِي الْمَجْدَ بِسَاعَاتِ الْعُمُرِ
وَيُضِيءُ الْكُونُ... بِالْعَقْلِ الرَّشِيدِ بِخَصِيبِ الرَّأْيِ.. أَوْ صَافِي الْفِكْرِ
وَإِذَا الْمَجْدُ عَلَى الْعَمْرِ اسْتَطَالَ

وغداً الماحـُـدُ ممنوعَ المثالِ

دَلَفَ الموتُ إلى القلبِ الوحيدِ

فإذا المجدُّ .. فقيـُـدُ

في الرِّغـَـامِ !

وسرى اللحنُ بهمسٍ وحذرٍ في حواشي الرّوضِ مشدودَ القيودِ

فتلاشى الحلمُ في وادي العِبرِ وصحا الحالمُ من بين الورودِ

فإذا الروضُ ، كما كان ، يَمِيدُ !

وإذا أنتَ على الغُصنِ فريدُ !

وإذا الفجرُ يحَيِّي في اختيالِ

وينادي : النضالِ

يا نيامِ !

رَفَرَفُ الطائرِ في همٍّ جهيـُـدٍ وسما في الجوّ عن وادي الغيرِ

يُنذِرُ الكونَ بوغدٍ ووعيدٍ ويُغني بأناشيدِ القـُـدرِ

أيهذا الكونُ .. يا رمزَ الزوالِ

إنما أنتَ ضلالٌ في ضلالِ !

ينتهي الصائدُ منّا والمصيدُ

وإذا الكونُ يَعُودُ

للظلامِ !!

أنا والحياة

لك الخير... لا تذكر لي الشر إنني
تخاف على الدنيا تمرّد شاعر
أيا طالما كرت عليه صروفها
الشر تدعو.. أم إلى الخير في الوري؟
فما أنا من يلقى مع القوم دلوّه
ليحزنني أن أقعد الدهر شاكيا
وهل ظالم الأيام من عاش زاويا؟
فلم يلف مكظوما ولم يلف راضيا!
إذا كانت الأولى.. فلا كنت داعيا
ولا أنا من يتغنى الحياة كما هيا!

ألا خلّ عنك الأمر لست تطيقه
ودعني لأفكاري.. فلا أنا منكم
أعف عن المين اعتزازا ورفعة
ومن يك مفطورا على النبل والحجا
فلأمر أقوام تطيق الدواهيها
ولا أتم مني إذا كنت ناسيا
وأصدق لا أرجو على الصدق جازيا
أبي أن يظل العمر سكران صاحيا

أتلزمني في الحق ما ليس ملزما
وترجو لي الأسعاد بالسرحة التي
وأنعم بالأبناء.. أشقى بهمهم
وتدفعني للموت؟ يا لك جانيا!
تحيل جديب العيش أخضر ناميا؟
وكالناس في الدنيا.. يروّن التفانيا؟

* القرية : صيف عام ١٩٣١ .

فلا هي تجزيهم على الحب نعمة
أأفنع هذا الكون؟ يا لك عادلاً!
وتخذني الدنيا يارق زيفها
سوى اليأس مجنوناً، أو الذل طاغياً؟
ولما أذق إلا الخطوب توالياً؟
فأمنحها مني الهوى والتدانياً؟

سأبقى على الدنيا.. خيلاً مشاكساً
أجانبها في كل شأن تودّه
وأرغب عنها.. لا أودّ وصالها
بعيداً وحيداً.. غير نفسي وخاطري
ويوم تملّ النفس كل رغبة
سأحرق أشعاري وكل خواطري
يبدّد أحلاماً ويُقصي أمانياً!
وأعقل عنها، ما قدرت، لسانياً
هو الشرّ تجلّواً، هو الموت حالياً
سعيداً بأن أحيأ مدى العمر خافياً
وتدبّل آمالي وأجفّو حياتياً
وأخرج منها.. لا على ولا لياً!

شعري إلى نفسي

إليك يا نفسُ أشجاني وأفكاري
قد ضقتُ ذرعاً بها مشبوبةً النارِ
لم ألقَ قلباً بهذا الكونِ يفهمُنِي
أُهدي إليه أغاريدِي وأشعاري
أمسى وأصبحُ لا قلبٌ فيؤنسُنِي
حتى كُأني غريبُ الأهلِ والدارِ !

يا مصدرَ الوحي والإلهام .. معذرةً
تلك الأغاريدُ لم تُخلقْ لأحجارِ !
أشقيتني زمناً للناس .. أطربهم
برائقِ اللحنِ من أنغامِ مِزماري
والناسُ تُخدَعُ عن وَحيِ السماءِ بما
يَهْدِي به كلُّ أفاقٍ ومِهْدَارِ

* القاهرة : عام ١٩٣١

فاستقبلي اليومَ وخياً أنتِ مصدرُهُ
تلك الرسالةُ .. لم تسمعْ بأنصارِ !
وإن شقيتِ بها مثلي .. فوا طرَبِي
أن تُصبحي نهبَ أحزانٍ وأكدارِ
ما كان أسعدني في الكونِ أجمعه
لو رحتِ تلهين فيه .. لهوً أغرارِ !

جوزيتَ يا زمني ! لا أنتِ تسحقني
فأستريح .. ولا تُصغِي لأوتاري !
إن كان في الكونِ مَنْ يَزرِي عليكِ بلا
رفقٍ ... فإني ذاك المفردُ الزَّارِي ! !

أنا وقلبي

أنا :

مَنْ لِي بِدُنْيَا الْهَادِيْنَا يَوْمًا فَأُطْرِحَ الشَّجُونَا
وَأُعِيشَ عَيْشَ الْوَادِعِي نَ الْبَاسْمِيْنَ الْآمِنِيْنَا ؟
يَا قَلْبُ . . مَا لَكَ ضَيْقًا حَرْجًا ، وَمَا لَكَ مُسْتَكِينَا ؟
وَالْأَمَ تَصْطَحِبُ الْأَسَى وَتَعِيشُ عَيْشَ الزَّاهِدِيْنَا ؟
أَنَا لَا أَطِيقُ بَأَن تَعِدَ شَ الْعَمَرَ مُحْرُومَا غَيْبِيْنَا
مَتَلُمَا بَيْنَ الْآنَا مِ وَهُمْ بِشَائِكِ يَهْزَعُونَا
فَانْعَمْ بِمَا نَعْمُوا . . وَلَا تَذْكُرْ لِي الْعَهْدَ الْحَزِينَا
فَلَعَلَّنِي أَنْسَى حَيَا ةً قَدْ بَرِمَتْ بِهَا سَنِينَا
قَلْبِي :

هُوَّنْ عَلَيْكَ . . فَمَا بَدَا لَكَ فِي حَيَاةِ الْعَالَمِيْنَا ؟
النَّاسُ تَعِبْتُ بِالْجَمَا لِ وَتَمَلُّ الدُّنْيَا مُجُونَا
يَتَزَاحَمُونَ عَلَى السَّرَا بَ كَدَّأِبِهِمْ مُسْتَبْسِلِيْنَا
يَأْتُونَ مَا تَنْدَى الْجَبَا هُ لَهُ وَلَا يَتَوَرَّعُونَا !

* القاهرة : عام ١٩٣١ *

إِنْ قِيلَ : « حَيٌّ عَلَى الْفَسَا دِ » رَأَيْتَهُمْ يَتَنَافَسُونَا !
أَقْتَسَطِيعُ بِأَنْ تَكُونَ الْيَوْمَ إِبْلِيسَ اللَّعِينَا ؟
إِنْ لِأَبْرَأُ مِنْكَ إِنْ تَسْكُنُ لَدُنْيَا الْخَاطِئِينَ

يَا وَيْحَهُمْ لَوْ يَعْلَمُوا نِ مَا لَهُمْ لَوْ يَعْلَمُونَا !
عَبَدُوا الْحَيَاةَ .. فَمَا لَهُمْ فَتَنُوا بِزُخْرُفِهَا فَتُونَا ؟
لَوْ تَسْتَطِيعُ تَكَلُّمَا لَبَدَا لَهُمْ مَا يَجْهَلُونَا !
إِنْ الْحَيَاةَ .. وَلَا أَشَوْ هُمَا بَعَيْنِ الْعَاشِقِينَ ..
أَمَّةٌ .. فَتَنْ يَهْوَى الْإِمَا وَهَنْ يُؤْذِنَ الْعُيُونَا ؟

أَنَا :

يَا قَلْبُ قَدْكَ (١) ، وَلَنْ تُرَا نِي جَازِعًا كَالْجَازِعِينَ
سَأَعِيشُ بَعْدَ الْيَوْمِ لَا أَشْكُو الشَّقَاءَ أَوْ الشَّجُونَا
سَأَعِيشُ كَاللَّحْنِ الرَّقِيدِ قِ يُشِيرُ فِي الْكَوْنِ الْحَنِينَا
سَأَعِيشُ كَالْحِلْمِ السَّ عِيدِ يَزُورُ دُنْيَا الْحَالِينَا !
سَأَعِيشُ كَالْمَعْنَى الشَّرِيدِ فِرَ مَحَبِّبَا لِلشَّاعِرِينَا !
أَمَّا التَّيْبَرُ ثُمَّ بِالْحَيَا ةَ .. فَإِنْ ذَلِكَ لَنْ يَكُونَا
عَهْدُ أَوْدَعَهُ . وَإِنِّي لَا أَزَالُ بِهِ ضَـنِينَا !

(١) حبيبك .

يوم الخلاص

دعني أبشّر دولة الشعر

بخلاص عيّلها من الأسر !

دعني أبشرها فكم سكبت حرّ الدموع على الفتى الحرّ

... ..

ما كان أحوج نهضة درجت أن تستظلّ بقيادة الفكر !

خلّ العيون يحفّ مدمعها وتهلّلى .. يا دولة الطير

وصاف لحنك عاد يسـمعه فتأنّق في لحنك السّحري

« عباس » أعرّف شاعر فطن بلغى الطيور ، وحبّها العذرى

يسخو عليك بفيض خاطره في همسة كطلائع السّر !

دعني أبشّر دولة الشعر

بخلاص عيّلها من الأسر !

الكاتب السامى بفكرته والشاعر الفياض .. كالبحر !

في كل بيت من قصائده ذوب الحياة ، وروّثق الشعر

* القرية : صيف عام ١٩٣١ . قيت هذه القصيدة تحية للشاعر الكبير الأستاذ عباس

محمود العقاد عند خروجه من السجن بسبب المقالات الوطنية التي نشرها بعنوان « الرجعية والرجعيون » مهاجمة بها وقتذاك سياسة الناصر الملكي البائد .

ماذا تحسّ بها إذا خطرَتْ ؟ تشجيك أم تأسوك ؟ لا أدرى !
فيها الحياة بكل ما وسّعت من مُئْتَسٍ أو منظرٍ مُغرٍ
وعلى حواشيتها التي ازدهرت نورُ اليقين ، وومضة الفكرِ

كم ليلةٌ أحييتها فلياً : يأسٌ ينوشُ ، ومدمعٌ يجري !
ويظلّ قلبي كلما عرضت ذكراك يجنحُ للأسى المرُ
أُمسى وأصبحُ ، ليس يشغلني غيرُ الحنين يؤزُّ في الصدرِ
وغدت بعيني كلُّ عامرة خلواً من الإيناس .. كالفقر !
وأزورُ كلَّ محلةٍ شهدت إخلاصنا في سالفِ العمرِ
فأُبثّها شوقي على ظمأ وأظل كالمسحورٍ من أمرى !

والداء يُقلق أنفسا عرفت فيك الوفاء ، ونعمة البرِّ
إن قيل إن الداء محتدم دُعرَ الفؤادُ ، ولجَّ في الذعرِ
وإذا البشائرُ بالشفاء سرت سرَّ الفؤادُ ، وفاضَ بالبشرِ ..

مالي أثرٌ مواجعي يدي ؟ وإلامَ أشكو وقدة الجمرِ ؟
اليومَ عادَ لمصرَ خادمها علمُ البيان ، وشاعرُ العصرِ
فليهدِ القلبُ اللجوجُ إذن وليتهلَّ لله .. بالشكر ..

عزاء

عزاء أيها القلبُ الكبيرُ

عزاء ليس إخلاصٌ يدومُ

تريد من الزمان أخا كريماً	فيُخلفُ ظنُّكَ الدهرُ اللئيمُ !
أتبكي .. ؟ لا . فما يُجدي بكاءُ	بقلبٍ داوؤه اليأسُ العقيمُ
ومن نُوبِ الحوادثِ والليالي	تُغشيكِ الكآبةُ والوجومُ ؟
فتجزعُ إذ رأيتَ فتى أريباً	يضيعُ بيا بهِ الودُّ القديمُ
فتخدعه المظاهرُ كاذباتٍ	وتشغله المدامةُ والنديمُ
عن القلب الذي ما انفكَّ يحنو	عليه ، وإن تراحتِ الهومُ ؟

عزاء . أيها الأملُ المسجى	عزاء . أيها القلبُ الكبيرُ
إذا ماشئتَ أن تحيا سعيداً	تصافحكِ الهناءُ والنعيمُ
فمسن كالناسِ .. لا تحفلِ بمن قد	يفارقُ منهم ، أو من يُقيمُ !

• القرية : عام ١٩٣١ •

خواطِر الشتاء

كان قلبي يومَ وافاهُ الربيعُ في شبابِ العمرِ.. والعمرُ الشبابِ..
وارفَ الأفياءِ، مخضِلَ الفروعِ باسمَ الأزهارِ ، فينانَ الرحابِ

تعبتُ الآمالُ في أوتارهِ فيغنى بأناشيدِ المُنَى . .
نعمَةٌ تُوجي إلى مُتّارهِ . . ليتنا نحيا مع الحسنِ هنا

وعلى أَعوادهِ الطيرُ وقفَ يستحثُّ الهمَّ ترجيعُ حنينهِ
يُرسلُ اللحنَ شجياً فيشِفُ عن سُعارِ الشوقِ أوفيضُ أنينهِ

والنسيمُ الطلقُ يُغري بالسُموِ فتخفُّ النفسُ تسمو صُعُداً
ما تُراهُ في رَواجٍ وغُـدُوِ غيرَ رَوحِ جازٍ في الطَّهرِ المَدَى

ومشى في الروضِ إعصارُ الشتاءِ فإذا الروضُ تعرَّى من حُلَاةِ
وإذا الأزهارُ وكفَّ الفناءُ تتراءى بين غَفَوٍ وانتِباءِ

* القرية : شتاء عام ١٩٣١ .

وإذا الشَّمارُ لاذوا بالفِرارَ . . يتقون الهولَ من عصفِ الرياحِ !
وإذا الطيرُ تحاماهُ فطارَ وإذا الأنعامُ في السمعِ صياحُ !

وغداً الروضُ ولا شيءَ به غيرُ آثارِ لعمدٍ منصرمٍ
وشسجونٍ عصفتُ في رَحْبِهِ فهو منها في وُجومٍ وألمٍ !

ذلك الروضُ الذي أضحى هشيأً هو قلبي ! يا لقلبي الدارسِ !
عصفَ الرياحُ به عصفاً أليماً فإذا القلبُ كَرَبَجٍ طامسِ !

أُتْرَى يَخْضَلُ مِنْ بعدِ الجفافِ ذلك التفرُّ الذي بين الضلوعِ ؟
في ربيعِ العمرِ . . لو كان يُوافي ! ومتى تُقبلُ أيامُ الربيعِ . . . ؟

عيد اليأس

اهتئوا بالعيدِ والهوا واطربوا
يا بني العيد ، وضجوا واصخبوا
فاذا نحن به لم نبتسم
وقعدنا عنكمو ، لا تغضبوا
كتب الله لنا من دونكم
شقوة العمر ! فأن المهرب؟

* القرية : عام ١٩٣١ .

هبة شاعر

وهبتُ الذي يَشْفِي الفؤَادَ من الأَسَى
وَيَعْصِمُهُ من كُلِّ دَاءٍ مَخَامِرِ
قصيدة مَدْحٍ .. لم يَقُلْ بِعَدُ مثَلَهَا
قَوْلٌ .. ولم تَخْطُرْ بِفِكْرَةِ شَاعِرٍ !

* القرية : في صيف ١٩٣١ .

المثـلة*

أهلاً بطلعتك المنيرة يا ربة الفن القديرة
أهلاً بجسمك ذي الجلا ل ، وبابتسامتك الغريرة
ما أطفئوا نور المكا ن ، وأسندلوا فيه ستوره
إلا لوجهك قد بدا بين المكان لكي ينيره !

لله خالق السرو ر لكل مفتقد سروره !
لله مضمرة الجوا نح بالهوى نصلى سعيه !
لله مرهقة الخوا طر .. فى سياحتها القصيرة !
لله أنت .. فأنت غا ية هذه المهج الكثيرة !
لله أنت .. ففبك يد قى كل مرتقب بشيره !
يلقى الحب بك الحيد بة والعشقة ، والسميرة
ونرى بك الأضداد تب دو ، فى مشاهد المثيره
فنرى المحبة والعدا وة ، والسهولة والوعورة
ونرى التهلل والبكا ونرى السلامة والخطورة

* القاهرة : عام ١٩٣٢ .

ونرى النضارة والذبو لَ يُشير أدمعنا الغزيرة
ونراك في القصر المشيد يدِ ومساحة الدارِ الحقيمة

أهلاً بطلعتك المنيرة ياربة الفنِّ القديرة
ألقت ما بين الأمد رة والشريفة والأجيرة
وأزلت آلاف الفوا رقي بعد ما كانت عسيرة
وتقلتنا في لحظة للنور... للدنيا الكبيرة
وأقت ما بين العوا طف أيَّ حربٍ مستطيرة
فإذا تتوجك القلو ب فانت بالتاج الجديدة

تمنى القدر

لو أننى القدرُ المسيطرُ فى الورى
لجمعتُ كلَّ الحسَنِ بينَ يَدَيَّ
وجعلتهُ وقفًا على عبَّادهِ
مَنْ سَبَّحُوهُ بُكْرَةً وَعَشِيًّا !

* ميت غمر : عام ١٩٣٢ .

الشر والخير

هذه الأرضُ يمرحُ الشرُّ فيها انظروهُ يسير كالنشوانِ !
بين قومٍ .. من خوفهم طأطأوا لها مَ ، وخرُّوا له إلى الأذقانِ
وأقاموا عليه غيرَ نطاقٍ من سيوفٍ صقيلةٍ وسِنانِ
وعلى رأسه أثاروا سحاباً من نُسُورٍ قويةٍ الأبدانِ
كلُّ مَنْ شاء أن يُشيرَ إليها أسلمتهُ السيوفُ للعقبانِ !

وترى الخيرَ في كساءٍ زرى بين جَمْعٍ من صفوةِ الإخوانِ !
من فقيهٍ يحدثُ الناسَ فيه في بيانٍ ، أعذبُ به من بيانِ
ورسولٍ يصوّرُ الخيرَ شعراً جلَّ وقَعاً عن مُطرباتِ المثنانِ
وأخى ريشةً تأتقُ في تر يئسه بالنقوشِ والألوانِ
وحواليه من شياطينِ دنيا نا جموعٌ تهذى بكل لسانِ :
أنظروا وجهه تروهُ كثيباً غائضَ البشرِ ، زائغَ الإنسانِ
واجفَ القلبِ سادرَ الخطو يمشى في دُحولٍ كالتائه الحيرانِ
أسلموه إلى الفناء ، وناموا تستريحوا من ذلك الهذيانِ !

* القرية : عام ١٩٣٢ .

اليتيم

وَأَلْقَيْتَ هَذِهِ الْأَيَّاتِ فِي حَفْلةٍ خَيْرِيَّةٍ
أَقَامَتْهَا إِحْسَادِي الْجَمْعِيَّاتِ التَّعْلِيمِيَّةِ الْحُرَّةِ
الَّتِي تَعْنِي بِتَعْلِيمِ الْيَتَامَى ، وَأَبْنَاءِ الْفُقَرَاءِ : «

وَأَعْصَاهُ مِنْ حَادِثَاتِ زَمَانِهِ	خَلَّيَاهُ يَتِيمُهُ فِي مَهْرَجَانِهِ
وَاجْمَعَلَاهُ يَزْهُو عَلَى أَقْرَانِهِ	وَارْتُقَاهُ بِنَظَرَةٍ مِنْ حَنَانٍ
وَمَشَى الْبُؤْسُ وَالْأَسَى فِي كِيَانِهِ	عُضُّهُ الدَّهْرُ وَهُوَ طِفْلٌ صَغِيرٌ
مِنْ مَدَى جَوْرِهِ .. وَمِنْ طَغْيَانِهِ	أَبَدًا مِنْ زَمَانِهِ يَتَلَوَّى
غَيْرَ سَاعَاتِ بُؤْسِهِ وَهُوَ	لَمْ يَجِدْ سَاعَةً يَحْدُثُ عَنْهَا
عَاشَ فِي جَهْلِهِ .. وَفِي حَرَمَانِهِ !	يَا لَهُ اللَّهُ مِنْ يَتِيمٍ فَقِيرٍ
وَهُوَ يَسْتَمُو عَنْ ذِكْرِ بِلْسَانِهِ !	كَمْ مَصَابٍ أَصَابَهُ فِي صَبَاهُ

أَصْبَحُوا فِي الْحَيَاةِ مِنْ أَعْوَانِهِ ؟	مَنْ لِهَذَا الْيَتِيمِ غَيْرُ رَجَالٍ
جَائِدًا بِالْعَمِيمِ مِنْ إِحْسَانِهِ	لَيْسَ يَنْفَكُ كُلُّ أَرْوَغٍ مِنْهُمْ
وَدَعْوُهُ يَصُولُ فِي مَيِّدَانِهِ	أُورِدُوهُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ صِرْفًا
وَهُوَ الْيَوْمَ حَادِثٌ فِي زَمَانِهِ !	رُبَّ طِفْلٍ فِي أَمْسِهِ كَانَ نِسِيًّا

* ميت غمر : عام ١٩٣٢

هيجة نفس

إيه يا نفس .. سجّلي أنَّ عمرًا ليس بالهين القليل .. تولى
دون أن تسعد النواظر فيه بفتى يفهم الصداقة نبلا
أرجع الطرف للوراء مليًا أنشد الأصدقاء خلاً .. خلاً
فإذا هم أدنى إلى الغدر إتيًا نأ وأمضى إلى الخديعة نصلاً!

يا وجوه النفاق قبّحك الله له وأضنى عليك عارًا وذلاً !
كلما قلت : إنَّ فيك بريقًا من وفاء .. أريتني العكس سهلاً!
أحياء تلك التي نحن فيها أم جحيم تلقى بها النفس ويلاً؟
أسفني أننى أقيم بدارٍ ساد فيها الرياء طفلاً وكهلاً!
لا تخلني خدعت بالناس ، لكن هو قلبي يعيش في الكون طفلاً!

أيها القلب .. كم تمنيت عيشًا لا ترى فيه لابن آدم ظلًا !
لا شفاء لغلّة .. يعلم الله له .. فما كنت للسخائم أهلاً

* ميت عمر : عام ١٩٣٣ .

إِنْ تَكُنْ تَنْشُدُ الْحَيَاةَ خُلُودًا وَمَتَاعًا يُنْسِيكَ مَا كَانَ قَبْلًا
فَهَبِ الْكَوْنَ قِطْعَةً مِنْ فَلَاحٍ وَهَبِ النَّاسَ فِي نَوَاحِيهِ رُملًا
أَيُّهَا حَاصِبِ تَحَدَّكَ يَوْمًا فَاعْتَرِضْ سِيلَهُ وَلَا تَخْشَ عَذْلًا
هَكَذَا هَكَذَا تَعِيشُ سَعِيدًا بَيْنَ قَوْمٍ عَدُّوا التَّجَاهُلَ جَهْلًا
وَإِذَا كَانَتْ النُّفُوسُ لِسَامًا فَاتَّقَاءِ اللَّيْمَ بِاللَّؤْمِ... أَوْلى !

على شاطئ النيل*

إجْرِ يا نيلُ حيثما شئتَ وانظرْ كلَّ يومٍ ما لا تَرَاهُ بِأَمْسِكَ
لستَ يا نيلُ مثلنا في صِراعٍ يتحدثى النفوسَ .. فاهناً بنفسِكَ
آه لو تلقى بعضَ ما نحن نلقى لَنَزَتْ فِكْرَةُ الدَّمارِ بِرَأْسِكَ !

نادى المتعبين

جلس القومُ صُحْبَةً في المساءِ
يتشاكونَ ما بِهِمْ .. مِنْ عِياءِ !
جلسوا مُطْرِقِينَ . في غيرِ فِكْرٍ
يقتلون الفراغَ .. بالصَّهْبَاءِ !
وتَمَطَّى كَبِيرُهُمْ .. فَتَمَطَّى
لِتَمَطِّيهِ زُمْرَةُ الْجُلَسَاءِ !
مُتَعَبٌ مُتَعَبٌ .. فهل مِنْ دَوَاءِ
لِفَتَى مُتَعَبٍ .. بغيرِ عَنَاءِ ؟

* ميث غمر : عام ١٩٣٣ .

* القاهرة : عام ١٩٥١ . النادى المشار إليه في العنوان هو « كلوب محمد على » .

تأملات

قلتُ للروضِ وهو يحلمُ في الفجـ سر : سَلامًا .. يا مُلهمَ الشعراءِ
قال لي الروضُ : مرحبًا بك أهلاً ها هو النورُ .. فاقبِسُوا مِن ضيائي !

قلتُ للصبحِ والدُّجَى نافرٌ منـ هـ ، وأضواؤه تَعْمُ الوُجودا :
هأنا الآن قد عرَفْتُ لماذا قدسَ الفنِّ وجهك المعبودا !

قلتُ للطائرِ المرفرفِ في الجوّ : أما آنَ أن يطيرَ ابنُ آدم ؟
قال لي : حينما يَعِفُّ عن الشرِّ ويسْمُو عن الخنْسا والمظالم !

قلتُ للقلب : كيف أعرضتَ عمنـ كنتَ بالأمس ترسلُ الشعرَ فيها ؟
قال : ماتتْ بخاطري يوم زُفَّتْ وبودّى لو أننى أرثيها . . ؟

قلتُ للنفس : ما علىّ إذا ما أنا حَطَّمتُ كلَّ هذى القيود ؟
قالت النفسُ : لا عليك . فحطّمْ ذاك شأنُ الفتى القوىِّ الجليد !

* ميت غمر : عام ١٩٢٣ .

قلتُ للزورقِ السَّبُوحِ على الما ء ومن فوقه الحسانُ : رويدك !
قال : دَعْنِي أَسْعِدْ بهنَّ وأُبْرِدْ غُلَّةَ الشَّوْقِ .. أَسْعِدَ اللهُ جَدَّكَ !

قلتُ للزرعِ إذ مرَّرتُ به صُبْ حنَّ: أَلَا مَا أَخَفَّ - يازرعُ - ظِلَّكَ !
قال لي : مرَّ أيها الخادعُ النَّا سَ ، ودَعْنِي . فلستُ أفهمُ قولكَ !

صوت اليقظة

أيها الحالمُ بالماضى .. أفقْ أين أنت الآن من فجرِ الربيع ؟
كالتماعِ البرقِ ، كالنورِ ، انطلقْ ذلك الماضى إلى غير رجوع !

نائمٌ أنت .. على صدرِ الصخورِ ولقد كنتَ على الزهرِ تنامُ !
هل سمعتَ الموجَ يطنى ويشورُ أو رأيتَ الفلكَ تمضي للأمام ؟

أيها اللحنُ الذى كم أبدعا مالك اليومَ صموتا ؟ ما لديك ؟
يا بشيرَ الخلدِ والنورِ معا قف تأملْ لهفةً السكونِ عليك !

أنا وحيدى .. أعلمُ السرَّ الدفينِ أعلمُ الهمَّ الذى قد أسكتك
من مجودِ الناسِ .. من هزلِ السنينِ تمسِكُ الشدو وتطوى رحمتك

يا شعاعاً وقفَ الدهرُ له موقفَ الحاجبِ .. فى كل طريق
سرُّ على اسمِ الله وانسخْ ظلهُ ما ينال الدهرُ من روح طليق ؟

* قناعات : ١٩٣٦ .

لست كالناس .. فناء قائماً أنت فوق الناس والكون جميعاً
أنت صوتُ الله .. يسرى حليماً حيثما يطرق .. يجذ قلباً سمياً

ذلك الجرحُ الذي سال دمه منك بالأمس .. ولما يتدمل
قد مضى من أمره ما تعلمه وغداً ، مهما تمادى ، يترتحل !

أيها الغافل .. ما أحلى الحياة بين نهر ، وجبال ونخيل !
وقطيع ، وكلاب ، ورعاة وشواذيف اطمأنت في الحقول !

ذاك .. أم دُنْيَا بها الشرُّ يُقيم وبها الأوهام قيدُ الأنام ؟
ذاك .. أم عيشٌ على الحرِّ جحيم وعلى الأصنام برْدٌ وسلام ؟

أيها الحالم .. إن عاد الريح فابعث الناي صدوحاً في الشَّباب
رُبَّما هدأ ما بين الضلوع وأراح العين من هذا الضباب !

وحي بج بن

أيهذا الصوتُ الفصيحُ المؤذنُ بجميع اللغاتِ من قلبِ لندنِ
أنتَ ماذا؟ أنتَ في الكونِ صوتُ الزُّ زمنِ السَّرْمَدِ أم صوتُ بج بن؟
مَنْ تُرى ذلكَ المقنَّعُ منظو رًا، ومَنْ في صميمِ ذاتكَ يكمنُ؟
إنه الوقتُ يستحثُّ بنيهِ لسبيلِ العلى بوقعٍ مُلحِّنٍ !

يا ابنةَ الوقتِ .. ما يُعدُّ أبوكِ لبنى الأرضِ من مصيرٍ ويُبْطِنُ؟
أسلامًا يزورُهُمُ بعدَ يأسٍ أم حُرُوبًا تدكُ صرَحَ التمدُّنِ؟
أشفاءٍ على يديه لكونٍ بالمآسى .. وبالجراحاتِ مُشخِنُ؟
كلَّ يومٍ يُمرُّ .. هولٌ جديدٌ ووعيدٌ بما يسُوءُ ويُحْزَنُ
كلَّ يومٍ .. تكهُّناتٍ بشرٌ أصحیحًا يكونُ هذا التكهنُ؟
يا ابنةَ الوقتِ .. حدِّثي وأجبي فإذا منك لا جواب .. فمَنْ؟

إيهِ عِدَادَةُ السنينِ علينا مُقْبَلاتٍ بمفرحٍ .. أو بمحزنٍ!

* ساعة بج بن : أكبر ساعة في العالم . أقيمت منذ قرن على مبنى البرلمان الانجليزي .
بمدينة لندن .. نظمت في ٢٨ مايو عام ١٩٤٩ ، وقد أوحى دقاتها للشاعر بهذه القصيدة .

هل سبيلٌ بين الورى لوفاقٍ
فرقتهم أجناسهم ولُغاسهم
واشتروا بالإخاء . حِقْدًا بليغًا
ما لهم ؛ سدّدَ الإلهُ خُطاهم ،
فأعادوا السلامَ للأرض يُمنّا
إن يطلُّ خوفُنا وما نحن فيه
كم سمعنا بأنه غيرُ ممكن ؟
واستطابوا الخلافَ . حتى تمكّن !
فأنبرى بعضهم على البعض يَطعن !
لو تكون الدنيا لنا خيرَ مسكن ؟
بعد أن جدّ في الرحيل وأمعن ؟
فلعمري للموت - والله - أهون !

السعادة الضائعة

حينما في الصِّبا فتحت لي البا
انطلق ! ففنى في الطريق .. ستلقا
بَ وقلت : انطلق بني .. انطلقتُ
ها وتحظى بوجهها .. فاندفعتُ
أتمحري الوجوه .. حتى سئمتُ !
ولما سئلتُ عنها .. أجبتُ :
قد وجدتُ الشقاء .. فيما وجدتُ !
لم أجدها في رحلة العمر .. لكن

أُم .. يا أُم .. هل خدعت فتاك ؟
وهبيني رجعت .. من يفتح البا
لا تقولي : نعم .. وإلا رجعتُ
بَ إذا عدتُ يأساً وطرقتُ ؟

* لندن : مايو عام ١٩٥٣ .

على لسان مريض*

حفظ الله لك الصَّحَّةَ .. فالصَّحَّةُ كنزٌ
وهى ، لو تدرى ، عزاء لك فى الدنيا .. وعزٌ
أُخطى عندك ، إذ تقصيرُها ، وثبٌ وقَفَزُ !
وأُخطى عندى ، إذ أوسِعُها ، ضعفٌ . وعجزُ !

الرؤى العذبة . والراحة والنوم الهنىء !
والمسرات .. بها ليك يزهُو ويُضىء !
وأنا ليلى بالأوجاع .. يمضى ويحىء !
وأنبسى فى دُجَاه .. اليأس والموت البطىء !

أنت والصَّحَّةُ إلفان .. فعش واهنأ مُعافى
واختطف فى ظلمها البهجة والأنس اختطافا
قبلىما يُدرِكُك الليل .. الذى يَغشى الضُّعافا
ثم تصحُّو .. ثم لا تلقى من الناس .. انعطافا !

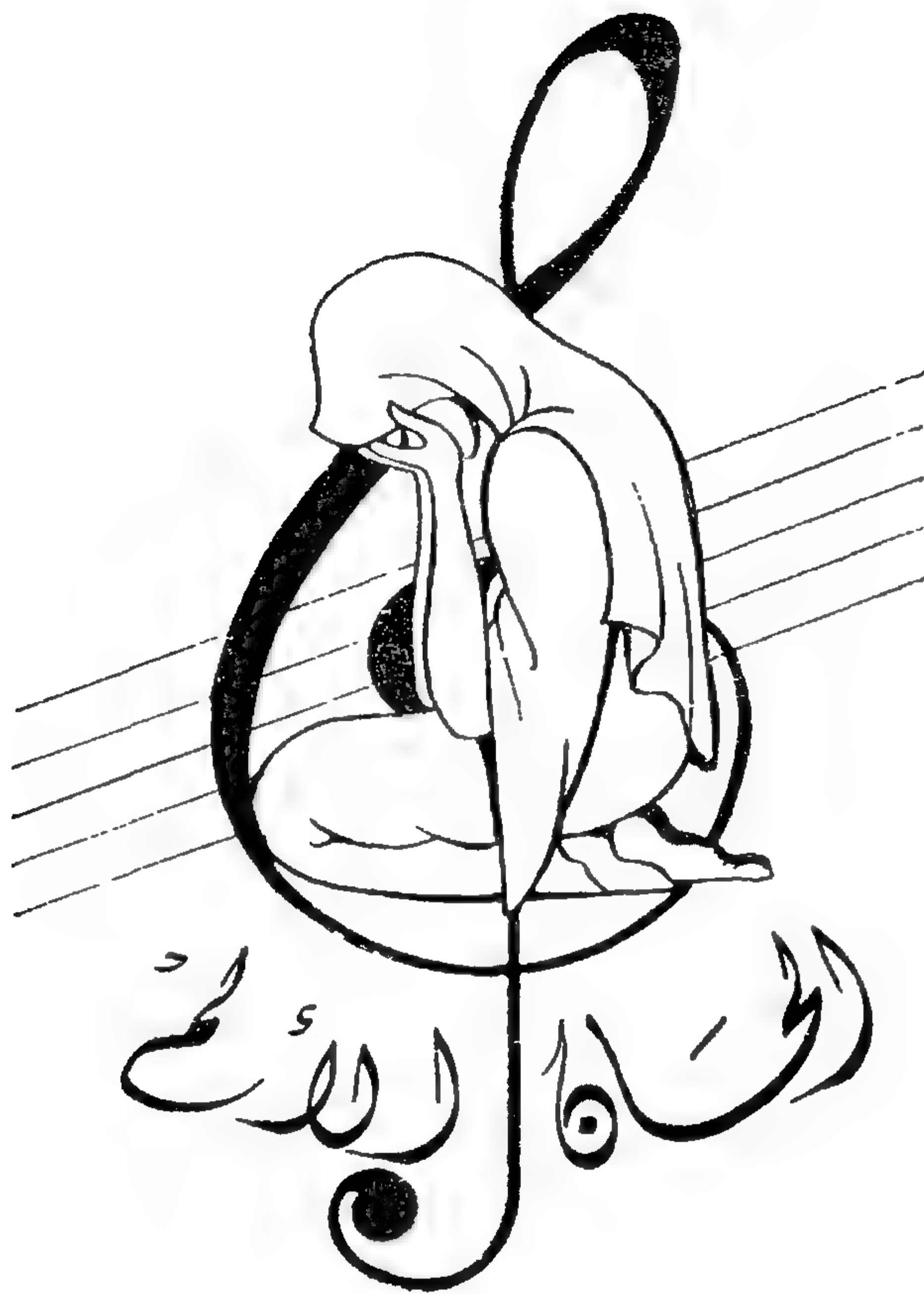
* على الفطار من محطة ووترلو الى محطة سربتون بمقاطعة سارى فى إنجلترا : شتاء عام ١٩٥٣

أمس واليوم

أَسْلَمْتَنِي زِمَامَهَا أَيْتَامِي
وَمَشَتْ تَنْشُرُ الرِّجَاءَ أَمَامِي
فَإِذَا الْكَوْنُ... مَوْكِبٌ مِنْ سَلَامٍ !
وَسَمَاءٌ تَفِيضُ بِالْإِلْهَامِ !
وَنَسِيمٌ مُوقِّعُ الْأَنْعَامِ !
وَلِيَالٍ وَرَدِيَّةِ الْأَحْلَامِ !
وَنُعَاسٍ تُخَدِّرُ لِلْأَنَامِ !

هَكَذَا كُنْتُ... فِي ربيعِ الْحَيَاةِ !
كَانَ كَوْنِي يُضِيءُ بِالْبَسَمَاتِ !
وَتُنْدَى رِحَابُهُ أَغْنِيَانِي !
وَأَنَا فِيهِ مَشْرُقُ الْخَطَرَاتِ !
ثُمَّ غَابَ الشَّبَابُ... فِي الظُّلُمَاتِ !
فَإِذَا بِي... تَغَيَّرَتْ نَظْرَانِي !
وَإِذَا بِي أَعِيشُ... بِالذِّكْرِيَّاتِ !

* القاهرة : عام ١٩٥٩ .





وقفه في حياة

ليس في الكون فؤادٌ يستجيبُ لفؤادِ الشاعرِ المغتربِ
غلبَ الطيشُ على تلك القلوبِ وسرى فيها سِمامُ الكذبِ !
وفؤادى عادَ كالقفرِ الجديبِ بعد ما كان كروضِ مُعشِبِ
تَنسِمُ الأزهارُ فيه والورودُ !

أَرْجِعُ النفسَ إلى الماضي السحيقِ رَبِّ ماضٍ تَسْكُنُ النفسُ إليه
ويلتا ! ما ذلك الصمتُ العميقُ ؟ إي ! وما الهولُ الذي في جانيه ؟
ذلك الماضي ؟ فيا حزني الطليقُ هاتِ ما عندك .. لا تبخلِ عليه
واشتملِ في القلبِ . إنْ كان يُفيدُ !

أين أيامُ شَبَابِي المشرقاتُ ؟ قد تَوَلَّتْ ! فوداعاً يا شبابي !
أين لَيَلَاتُ صَحَابِي المبصراتُ ؟ قد تَوَلَّتْ ! فوداعاً يا صحابي !
أين ؟ هل أبقتْ على أين الحياةُ ؟ عبثاً نسألُ من غيرِ جوابِ
والذي قد فات .. هيهاتَ يعودُ !

* ميت غمر : عام ١٩٣٢ .

وَرَيِّعُ الْعُمْرِ . وَلِيَّ عَجَلَا ما اجتئنا فيه إِلَّا الندما
هو ضيفُ حلٍّ ثم ارتحلا ليتهُ ظِلٌّ نزيلاً مُكرَماً !
ونذيرُ الشيبِ . . لما أقبلَا طيرَ الأمنِ وهاجَ الألما !
ما لقلبي اليومَ . في ذعرٍ شديدٍ ؟

أنا مَنْ ضَلَّ بِصَحراءِ الحياة فهو فيها كالشعاعِ الحائرِ !
يغمُرُ البِيدَ بفيضٍ مِنْ سَنَاه ثم لا يحظى بِطَرْفٍ شاكرِ !
أشخوصٌ ؟ أم صخورٌ ؟ ما عساه يترأى لخيالِ الشاعرِ
ذلك الناطقُ في هذا الوجود ؟

أنا مَنْ قد عاشَ في دنيا الخيال وهي دنيا لا يراها البَشَرُ !
يَسْطَعُ النورُ عليها والجمال ويوشى جانبيها الزَّهَرُ !
ليس فيها من خِصامٍ أو جدال لا . . ولا تَسْكُنُ فيها الغَيْرُ !
بعضُ ما فيها . . نعيمٌ وخلود !

كم دعوتُ الناسَ . . للخلدِ المقيم وهم في غيِّهم . . لا يسمعون !
أوغَلُوا في الدلِّ . . والدلُّ أليم وإذا صحتُ بهم . يستهزئون !

لا يبالون بلومٍ من مُلِمٍ وكأنَّ العقلَ في الدنيا جُنونُ
رحمةَ الله... لأنصافِ العبيدِ !

قاربَ الشوطُ على أن ينتصفَ في طريقٍ... لم أجدُ فيه أنيساً
أبدأً أمشي.. ولكن أرتجفُ من مصيرِ غالٍ من قبلُ النفوسا
أى فؤادى.. أنت يارمزَ الشرفِ هو ذا الرامسُ يختطُّ الرُّموسا
وغداً يا صاح.. تحويك اللحدُ !

أنا من قد ودَّ في الشعرِ البقاءَ فهو حَيٌّ.. وهو مجدى المستطيلُ
لا تخلُهُ من جنونِ الشعراءِ فوسيعُ الملكِ في معنى قليلٍ !
أفمن يسكرُ من خمرِ الدماءِ مثلُ من يسكرُ بالمعنى النبيلِ ؟
خلنى والشعرَ.. وانعمْ بالقيودِ !

صاحبٌ لا يعرفُ الغدرَ.. ولا يرهقُ النفسَ بلومٍ أو عتابِ
كلما مرَّتْ لى الدنيا.. حلاً ومضى يمسحُ آثارَ المصابِ
لستُ أُلحاهُ على الدهرِ.. ألا من يبيعُ الخلدَ بالقفرِ اليابِ ؟
يا نعيمَ الخلدِ.. وقَّيتَ الحسودَ !

قال لي الشعرُ بصوت لا يبين : كم ؟ إلى كم أنت تبكي خائفاً ؟
غنَّ يا صاح .. ودع عنك الأنين وانطلق بين الروابي هاتفا
وأرخ نفسك .. من عبء الشجون هل ترى إلى نظاماً زائفاً
يسبقُ العاطلُ فيه .. والبليدُ ؟

وهذا الشاعرُ .. كالطير بهيجاً لا يُبالي بعظيمٍ أو حقيرٍ !
يملأ الدنيا صياحاً وضجيجاً أرايت الطير .. في وقت البكور ؟
وإذا ما النفسُ .. ودت أن تهيجا من نفوس ترتضي عيش الأجير
هدأ النفس .. بأنعام القصيد !

ما الحياة ؟

خَلَّيَانِي أَهيمُ بينَ الجَنَانِ ودَعَانِي مِن بَارِقَاتِ الأَمَانِ
واحجُبَا ضَجَّةَ الحَيَاةِ .. لَعَلِّي أُوهِمُ النَفْسَ بِالرَّضَى والأَمَانِ
وعزيرٌ أَنِي أَقمتُ طَوِيلًا أَتَغْنَى بِأَعْدَابِ الأَلْحَانِ
ثم أَجَنِّي مِنَ الأَنَامِ .. كَعُودِ سَمِيتُ لَمَسَهُ أَكْفُ القِيَانِ
وَمَحَالٌ أَن أَسْتَجِيبَ لَعِيشِ ذُقْتُ فِيهِ الهَوَانَ تَلَوَ الهَوَانَ
لا .. وَلن أَصحبَ الزَّمَانَ كَأَمْسِي ذاك شَأْنُ المِستَضْعَفِ المِذْعَانِ !

يَا أَخَا الشَّعْرِ لَا أَخَا النَّاسِ .. إِنِّي صَنَعْتُ ذَرعًا بِمَحَادِثِ الزَّمَانِ
نَزَلْتُ سَاحِي الصُّرُوفِ التَّوَالِي وعَرَانِي المَشِيبُ قَبْلَ الأَوَانِ
وَتَوَلَّى الشَّبَابُ لَمْ أَجِنِ فِيهِ غَيْرَ شَوْكِ القِتَادِ والحَرَمَانِ
ذاك عَمْرٌ — يَاهُفَتَا — ذاك عَمْرٌ ضَاعَ مِنِّي بِأَبْخَسِ الأَثَمَانِ !
لَيْتَنِي قَدْ عَصَيْتُ نَفْسِي فَأَغْوَيْتُ سَتُ جَمِيعَ الأَنَامِ كَالشَّيْطَانِ !

لا تَظُنُّوا بَنِي الظُّنُونِ .. فَأَنْتُمْ مَصْدَرُ الشَّرِّ يَا بَنِي الإِنْسَانِ !

* القرية : عام ١٩٣٢ .

أَوْ تَعَارُوا عَلَى الْفَضَائِلِ حَتَّى لَا تُثِيرُوا مَوَاضِعَ الْأَشْجَانِ
مَا انْتَفَاعِي بِهَا .. وَقَدْ صَيَّرَتْنِي دُونَ غَيْرِي فِي كُلِّ وَقْتٍ وَشَانِ؟

أَيُّهَا الْقَلْبُ .. كَمْ تَتَنُّ وَتَشْكُو مِنْ حَيَاةٍ كَثِيرَةِ الْأَدْرَانِ ؟
أَنْتَ تَهْوَى إِصْلَاحَهَا .. وَهِيَ تَأْبَا هُ ، وَتُنْجِي عَلَيْكَ بِالْخِذْلَانِ
وَتُوَاتِيكَ كُلَّ يَوْمٍ بِهِمْ يُسَلِّمُ النَّفْسَ لِلْأَسَى وَالْحِرَانِ
هِيَ لَيْسَتْ حَتَّى لِكُلِّ كَرِيمٍ هِيَ خُلِدَتْ لِكُلِّ قَدِيمِ جَبَانِ
تَتَلَقَّاهُ بِالطَّلَاقَةِ وَالْبِشِّ رِ ، وَتُضْفِي عَلَيْهِ ثَوْبَ الْحَنَانِ
وَالشَّجَاعُ الْأَبْيُّ فِيهَا غَبِينُ مُسْتَبَاحُ حِمَاءٍ فِي كُلِّ آنِ
أَيُّهَا الْجَبَانُ .. يَهْنِيكَ عَيْشُ فِي نَعِيمٍ وَرَاحَةٍ وَأَمَانِ
لَوْ أَرَدْنَا الْعَيْشَ الْوَطْئَ .. لَكُنَّا قَدْ أَصْبَنَاهُ مِنْ قَدِيمِ الزَّمَانِ !
غَيْرَ أَنَا ، وَلَا نَعَارِيكَ ، قَوْمُ تُرْخِصُ الْعَيْشَ غَارِقًا فِي الدَّهَانِ !

أَيُّهَا الْقَلْبُ .. هَلْ أَرَاكَ مُطِيعِي وَمُرِيحِي مِنْ صَوْتِكَ الْمِرْنَانِ ؟
لَا تَظَنَّ الْحَيَاةَ .. جَاهًا عَرِيضًا وَمُرُوقًا عَنْ شِرْعَةِ الرَّحْمَنِ
وَازدِلَافًا لِكُلِّ وَغْدٍ زَنِيمٍ أَوْ ثَنَاءٍ عَلَى الْأَثِيمِ الْجَانِي
الْحَيَاةُ الْخُلُودُ يَا قَلْبُ .. فَاقْنَعُ وَتَجَلَّدُ .. فَكُلُّ مَا عَزَّ فَإِ !

السعي الضائع

يا ليت لي يا دهرُ من غايةٍ أَسْعَى إليها فيك مُسْتَبْسِلًا !
تَخْطُو بِنَى الأيامِ في قَفَرَةٍ جدباءً .. لا أَلْقَى بها مَنَزِلًا !

ابْلَعِي

ابْلَعِي يا أَرْضُ مِنْ فَوْقِكَ مَنْ لَا خَيْرَ فِيهِ لِحَيَاةٍ وَخُلُودٍ !
إِنَّ فِي الْمَوْتِ . شِفَاءً لِنَفُوسٍ قَدْ تَنَاسَتْ كُلُّ مَعْنَى لِلْوُجُودِ !

مَكْتُبٌ !

خَلَّ هَذَا الْقَلْبَ يُحْرِقُ بِاللَّهَبِ إِنَّ هَذَا الْقَلْبَ .. أَضْنَاهُ التَّعَبُ !
كَلِمَا خَفَّ لَصْفُو شَامِلٍ غَلَبَ الِهْمُّ عَلَيْهِ .. فَاكْتُأَبُ ! !

* القرية : عام ١٩٣٢ .

* القرية : عام ١٩٣٢ .

* القرية : عام ١٩٣٢ .

بعد المعركة

رَفَرَفَ القلبُ في الضلوعِ بهمسٍ
أيها القلبُ .. أيقظِ النفسَ أيقظْ
واستريحِ .. فالحياةُ أهونُ شأنًا
قدَّرَ اللهُ أنْ تعيشَ غريبًا
كم ليالٍ مرَّتْ عليكِ بطاءِ
ترقبُ النجمَ .. حينَ يطلعُ شرقًا
و« الحنانُ » الذي سهرتَ عليه
صيرتهُ الأسقامُ هيكلَ عظيمٍ
ثم طافتُ به المنونُ يومٍ
أَكثِرُ على الحياة طيبُ
أبدًا .. لا تَمُرُّ ذكراهُ حتى

حين طافتُ به مصارعُ أنسى
وأعدُّ ما نسيتُ .. فالهمُّ يُنسى!
من جهادٍ يَهْدِي إلى شريٍّ يأْسِ!
بين قومٍ صُمُّ المسامعِ خُرْسِ!
كنتَ فيها كَمَنْ أُصِيبَ بِمَسٍّ!
ثم ترعاه .. حين يَهْوِي لرَمْسِ
سَهَرَ الجازعِ القليلِ التأسى
وانصتِ فوقهُ غلالةُ ورْسِ
ظاهرِ الغدرِ أشأمُ الوجهِ نحسِ!
كان يَشْفِيكَ من شقاءٍ وُبُوسِ؟
تُضْرِمُ النارَ .. كالجحيمِ بنفسي!

أيها الرائدُ الذي ليس ينفكُ
أنتَ جشمتنا الصعابَ طويلًا
يقودُ الأنامَ من كلِّ جنسٍ!
وأثرتَ الشكوكَ في كلِّ رأسٍ!

• ميت غمر : عام ١٩٣٣ •

قف بنا ساعة . فنطرح عبثاً
 إنَّ في السيرِ فوقَ جُمرِ الفياضِ
 والرياحِ التي تُشيرُ سحاباً
 طال في السيرِ يومُنا . فالأما
 أيها الراكبُ . . صرخةً ففساها
 صرخةً تتركُ الشوامخَ هدّاً
 فالذي كرهَ المطافَ إلينا
 ونريحَ الأقدامَ من طولِ عَسٍّ
 أثراً يُرمِضُ العيونَ ويُنحِى
 من عذابِ تشوى الوجوهَ بهسٍ
 نصحبُ السيرَ في مفاوزِ شمسٍ ؟
 نسمعُ الرائدَ الكريمَ فيرسي
 ونميدُ القوىَّ من كلِّ أَسٍّ
 أننا لا نرى به وجهَ إنسي !

أنا مالى . . عَشِيتُ عن كلِّ حُسْنٍ
 عِشْتُ فيها . . وما أَسَأْتُ إليها
 طالما قلتُ : في غدٍ تُشرقُ الشمـ
 غرسَ الغارسونَ قبلى وبعدي
 والأمانى التي صَبَوْتُ إليها
 فأمانى الهوى . . استحالت جحياً
 والأمانى التي بنفسى عادتُ
 وسِئمتُ الحياةَ من كلِّ نَفْسِي ؟
 وهى مجنونةٌ بغبى وتغسِي !
 س . . فيأتى غدٌ كيومى وأمسي !
 فزكا غرسهم . . ولم يَنَمْ غرسي !
 صيرتها يدُ الزمانِ لِعَكْسِ !
 وأمانى الشبابِ . . أودت بحسِي !
 شرٌّ داءٍ بين الجوانحِ حَبْسِ !

أيها اللائى . . حنانك إني
 ذقتُ ما لم يدُرْ بظنِّي وحدسي !

قد سقتني الأيام .. حتى ترنح
فقوادي على المآسى مُقيم
فأعني ، وواسني بقليل
فقليل المـزاء أقطع للدا
واستثرني إلى الجمال .. وصور
فالشعور الذي بنفسى أنى
ت ولكن بغير خمر وكأس !
وخيالى مما به غير مُرس
من عزاء ، شأن الطيب المؤسى
، وطول الملام يرئى لنكس
لى هذى الحياة فردوس أنس
أعنى . لو تغرب الآن شمسى !

متى ؟

متى يهدأ القلبُ الذى حارَ صاحبه
وضاعت به آماله ومطالبه ؟
متى يفرح القلبُ الذى طال همه
وناوشه من أسهم الدهر . . صائبه ؟
مقيمٌ بصحراء الحياة . . على الوجى
فلا صاحبٌ يهفو له .. أويكاتبه !

* القرية : عام ١٩٣٣ .

الشاعر الصامت

في ظلالِ النخلاتِ والورودِ الحاماتِ
جلس الشاعرُ حيرا نَ كثيرَ الحُرقاتِ
صامتا في نفسه قد عافَ طعمَ الكلماتِ
تُرَبَّدُ الدنيا .. وتُرغى وهو في نَوْمٍ سُباتِ !
لا يبالي بما عا نى شديدَ الضرباتِ
نامتِ الدنيا .. أم اهتزَّ تَ بشتى الحادثاتِ !
دَعَاهُ في صمتٍ كصمتِ الم وت . جَهَمَ الطَّلعاتِ !
ما غناء القولِ والشه ر ، لدى قومٍ قَسَاةٍ ؟ !

يا نديمَ الشعرِ .. رفقا بالقلوبِ الدامياتِ
لا تهجني .. بعدَ يأسى للأغاني الخالداتِ
طلما غنيتُ .. لكن لم ترُقهم أغنياى !

يا قليلَ البساتِ وكثيرَ الغمراتِ

* القرية : عام ١٩٣٣ .

نَحْ عَلَى نَفْسِكَ وَانْدُبْ حَظُّهَا حَتَّى الْمَمَاتِ
 عَشْتُ فِي الدُّنْيَا .. كَعِيشِ الطَّيْرِ فِي جَوْفِ الْفَلَاةِ
 حَاطِرًا فِي الْكَوْنِ لَا تَدُ رَى .. مَتَى يَوْمُ النِّجَاةِ ؟
 أَنْتِ ، لَوْ يَدْرُونَ ، رُوحُ أَنْعَشْتُ رَوْضَ الْحَيَاةِ
 أَنْتِ ، لَوْ يَدْرُونَ ، ذِكْرِي مِنْ أَرْقِ الذِّكْرِيَّاتِ
 وَيَحْ هَذَا الْكَوْنِ لَمْ يَحْ فَلْ بَآيَاتِ الْهُدَاةِ !
 رَبِّ يَوْمٍ قَدْ سَكَبْنَا فِيهِ دَمْعَ الْحَسْرَاتِ !
 يَوْمَ ضَلَّتُ فِي فَيَافَى الْ كَوْنِ أَقْوَى صِرْخَاتِي
 وَتَلَاشْتُ فِي مَهَبِّ الرِّيحِ .. أَنْدَى نَفْسَاتِي !

يَا نَدِيمَ الشَّعْرِ .. رِفْقًا بِالْقُلُوبِ الدَّامِيَاتِ
 لَا تَهْجِنِي .. بَعْدَ يَأْسِي لِلْأَغَانِي الْخَالِدَاتِ
 طَالَمَا غَنَيْتُ .. لَكِنْ لَمْ تَرْفُقْهُمْ أَغْنِيَاتِي !

وَحَبِيبِ مِثْلِ زَهْرِ الرِّيحِ وَضِ .. سَاجِي النِّظَرَاتِ
 يَبْعَثُ الْحُبَّ إِلَى الْقَلْبِ بِِ عَلَى ضَوْءِ الْأَنَاةِ
 لَا يُطِيقُ الْحُبُّ لَفْظًا شَائِمًا فِي الْكَلِمَاتِ

وَيَوَدُّ الْحَبَّ مَعْنَى هَافِيَا كَالنَّسَمَاتِ !
تَعْمُرُ النَّفْسَ بِفَيْضٍ مِنْ سَرَى النِّشَوَاتِ
وَهِيَ رُوحٌ تَعْمُرُ الدُّنْيَا . بِطِيبِ النِّفَحَاتِ

كَلِمَا صَوَّرْتُ حُبِّي فِي رَقِيقِ الْخَطَرَاتِ
أَوْ تَقَنَّنْتُ بِأَيِّ مِ الصِّفَاءِ الْذَاهِبَاتِ
أَوْ تَشَوَّقْتُ إِلَى عَهْدِ الْأَمَانِ الْمَشْرِقَاتِ
أُنْكِرُ الْعِيشَ .. وَحُبًّا فَوْقَ ذَرْعِ الْكَائِنَاتِ
وَمَضَى فِي وَجْهِهِ غَضٌّ بِبَابِ جَمِّ الزُّفَرَاتِ
يَنْقُضُ الْكَفَيْنِ مِنْ حُبِّي . وَإِنْ طَالَتْ شَكَاتِي
وَكُنَّا لَمْ نَكُنْ يَوْمًا . نَجِيَّ خَلَوَاتِ !

يَا نَدِيمَ الشَّعْرِ .. رَفِيقًا بِالْقُلُوبِ الدَّامِيَاتِ
لَا تَهْجِنِي .. بَعْدَ يَأْسِي الْأَغَانِي الْخَالِدَاتِ
طَالَمَا غَنَيْتُ .. لَكِنْ لَمْ تَرْقُهُمْ أَغْنِيَاتِي !

مَرْحَبًا بِالصَّمْتِ .. يُجِي مَا وَهَى مِنْ عِزْمَاتِي !

مرحباً بالصمت.. أخفى	فيه سرّ النكبات !
مرحباً بالصمت.. يَفْنَى	فيه طيشُ الطائشات !
مرحباً بالصمت.. رمزاً	للمعاني الحائراتِ
أسكتوا الليلَ لما	صاحَ فوق الربّواتِ
بالمعاني السامياتِ	والأغاني الشاجياتِ
ما لهم .. قد حَرَمُوهُ	مِنْ رَخمِ الصّدحاتِ ؟
في ظلالِ الشجراتِ	وعبيرِ الزهّراتِ ؟
ليتهم قد عَلَّمُوهُ الصـ	مت .. مِنْ قِبلِ الفَوّاتِ !

ويحهم .. لم يفهموا نفد	سى ودنيا رغباتي ا
يحسبون البعث موتاً	ماثلاً في كلماتي
وإذا ما رُحْتُ أَهْفُو	كالطيورِ الشارداتِ
أو أثرتُ اللحنَ من قيد	شارقي بالمطرباتِ
جانبوا الصدقَ وصاحوا:	تلك أفعالُ الغوّاةِ !

قد تَخِذْتُ الصمتَ زادى	وشِعاري .. في الحياةِ
إنَّ في الصمتِ .. عزاءً	عن حياةٍ لا تُؤاتى

فاحترمْ صَمْتِي .. ودَعْنِي أَشْتَتِي بِالْمَهْلَكَاتِ !
أَو مِنْ صَمْتِي وَأَوْ مِنْ جُدُودِي الْعَاثِرَاتِ !

يَا نَدِيمَ الشَّعْرِ .. رَفَقًا بِالْقُلُوبِ الدَّامِيَاتِ
لَا تَهْجِنِي .. بَعْدَ يَأْسِي لِلْأَغَانِي الْخَالِدَاتِ
طَالَمَا غَنَيْتُ .. لَكِنْ لَمْ تَرْفُقْهُمْ أَغْنِيَاتِي !

الصمت*

أيها الصمتُ .. أيها الصاحبُ العا
 قلْ دَعْنِي .. أعشْ بدنياكْ دَعْنِي !
 أَلْجَأْتَنِي إِلَيْكَ .. أَحْدَثُ دُنْيَا
 أَسْلَمْتَنِي إِلَى شَقَاءٍ وَغَبْنٍ !
 قَدْ سَمْتُ الْكَلَامَ فِي فَارِغِ الْعِيَا
 شِ .. وَفِي كُلِّ مَأْمَلٍ لَيْسَ يُغْنِي
 مَا غَنَاءُ الْكَلَامِ ؟ رَبِّ كَلَامِ
 زَادَ فِي لَوْعَتِي .. وَأَطْلَقَ حُزْنِي !

أيها الصمتُ .. أيها الصاحبُ الوا
 دِعْ .. دَعْنِي أَنَّمْ بِظِلِّكَ دَعْنِي !
 الصَّحَارَى .. الَّتِي أَطَوَّفُ فِيهَا
 لَمْ أَجِدْ فِي فِجَاجِهَا أَيْ أَمْنٍ
 أَيُّهَا الصَّمْتُ .. خَلَّ هَذَا الْمَعْنَى
 يَتَلَهَّى بِرُوضِكَ الْمُرْجَجِنِ
 مَا أَحَبَّ الْمَقَامَ فِي ظِلِّكَ الْوَا
 رِفِ .. بَيْنَ الْمُنَى وَبَيْنَ التَّمْنَى !

أيها الصمتُ .. أيها الصاحبُ الحَا
 نِي .. أُنِلْنِي بِعِضِّ الْعِزَاءِ أُنِلْنِي !
 طَرَقَ الشَّكُّ سَاحَتِي .. مُسْتَبَدًّا
 مِنْ أَنَاسٍ قَدْ أَخْلَفُوا الْيَوْمَ ظَنِي
 طَرَقَ الشَّكُّ سَاحَتِي ! يَا لَضَيْفِ
 تَرَكْتُ الْقَلْبَ فِي وَسَاوِسَ تُضْنِي
 فَاحْمِنِي مِنْ قِسَاوَةِ الشَّكِّ .. عَلَيَّ
 أَجْدُ الْآنَ .. مَا يُرْفَهُ عَنِّي !
 فِي سَبِيلِ الضَّلَالِ .. مَا ضَاعَ مِنِّي
 مِنْ جِهَادِي .. وَمِنْ شَبَابِي وَسِنِّي !!

* مِيتْ غَمْر : عَام ١٩٣٤ .

قلق

يا ليت شِعْرى .. ماذا أُبْقَتْ يَدُ الحَدَثَانِ ؟
من صحتي وشبابي وذكرياتى الحسانِ ؟
حيرانُ . فى كلِّ دارٍ حيرانُ .. فى كلِّ آن !
أشتاقُ كلَّ جَدِيدٍ أقلاهُ بعدَ ثوانٍ !
أين القرارُ لنفسي كثيرةَ الجولانِ ؟
الصبرُ ؟ هيهات ! مالى بالصبرِ بعدُ يدانٍ !
فلهذا القلبُ .. أوفدَ يَجْنَحُ إلى الثَّوَرانِ
إنَّ الأمانى .. ماتتْ ماتتْ بغيرِ أوانٍ !

* ميت غمر : عام ١٩٣٤ .

غرفة الأحزان !

« جلس الأطنال السبعة الأيتام ليلة العيد حول
أمهم في غرفتهم العابسة يسألونهم متى عود
أيهم ! فإليهم أهدى هذه القصيدة » .

مَالَتِ الشَّمْسُ فِي طَرِيقِ الْغُرُوبِ	وَمَشَى النُّورُ خَلْفَهَا لِلْمَغِيبِ !
مَا لَهَا الشَّمْسُ أَذْنَتْ بِرَحِيلِ	وَاجْتَوَتْ مَسْرَحَ الْوُجُودِ الْعَجِيبِ ؟
صُفْرَةُ الْمَوْتِ .. أَطْفَأَتْ وَجْنَتَيْهَا	وَكَسَتْ وَجْهَهَا .. رِداءَ الشُّحُوبِ !
جَاشَ قَلْبُ الْوُجُودِ شَوْقًا إِلَيْهَا	وَهُوَ فِي شَوْقِهِ كَثِيرُ الْوَجِيبِ
يَا لَهَا سَاعَةً .. تَجَشَّمُ فِيهَا	مِنْ ضُرُوبِ الْأَهْوَالِ .. أَيُّ ضُرُوبِ !
أَيُّ هَذَا الْوُجُودُ .. دَعَمَهَا رَوِيدًا	تَسْتَرِّخُ ، فَالطَّرِيقُ جَمُّ الْغُوبِ !

لَمْ تَكْذُ تَحْتَنِي عَنْ الْأَفْقِ حَتَّى	جَلَّلَ الْكَوْنُ وَجْهَهُ بِسَوَادٍ !
وَكَسَا نَفْسَهُ ظِلَامًا عَلَيْهِمَا	لَكَأَنِّي بِهِ ثِيَابُ الْحَدَادِ !
وَهَذَا الطَّيْرُ نَائِمًا .. أَتَرَاهُ	يُعْلِنُ النَّعْيَ فِي وَسْعِ الْبِلَادِ ؟
وَسَرَى الْأَيْنُ وَالْمَلَالُ إِلَى الْكُو	نِ .. فَأَغْنِي مُسْتَسْلِمًا لِلرُّقَادِ
وَضَجِيجُ الْحَيَاةِ حَارِبُهُ الصَّ	مْتُ .. فَوَلَّى مِنْ بَعْدِ طُولِ جِهَادٍ !

* القرية : عام ١٩٣٤ .

هكذا نامت الحياة .. وتتنا .. غير قوم أنينهم في ازدياد !

ليلة العيد هذه ؟ إى وربى
أرايت الأطفال فى الحلل الحم
يقطعون الدروب ركضاً ووثباً
لا تقل : ويحهم فقد أزعجوني
بهجة الأرض هم .. فلا تعترضهم
خلع البشر فوقهم ثوب حسن
وفى هذى علام الأفراح !
سر خفافاً يحرون بين النواحي ؟
ويثيرون جوها بالصياح !
من لذيذ الكرى بسيل المراح
ما عليهم فى لهمم من جناح
غير قوم .. تزلوا بالجراح !

ومشى البشر فى المنازل جمعا
غير كوخ مشت به وحشة اليه
يبعث الرعب فى القلوب ويذكى
تضرب الرياح وجهه .. وهو ساه
شغلته الأحداث عن عبث الر
أفرد الدهر فيه أرملة أم
.. فضاءت سماؤها بالسرور
م .. فأمسى وما به من سمير
فى حنايا الضلوع نار السمير !
لا يبالى بكل خطب مغير !
يح .. وعن كل زائر ومزور
ست وأطفالها بقلب كسير

وأقاموا بغرفة ليس فيها منفذ للهواء .. أو للرجاء

هِيَ قَبْرٌ .. لَكِنَّ فِي الْقَبْرِ صَمْتًا
سَبْعَةٌ .. خَيْمَ الشَّقَاءِ عَلَيْهِمْ
وَجَثُوا حَوْلَ أُمِّهِمْ .. وَهِيَ تُخْفِي
كَلِمًا ضَجَّ بِالْبَشَائِرِ .. طِفْلٌ
ثُمَّ صَاحُوا بِأُمِّهِمْ : أَطْلِقِينَا

وَانْسِلَاخًا مِنْ كُلِّ دَاءٍ عَيَاءُ !
فَتَرَاهُمْ مِمَّا بِهِمْ فِي انْزَوَاءِ !
عَنْهُمْ دَمْعُهَا بِطَرْفِ الرَّدَاءِ !
خَارِجَ الْكَوْخِ أَجْهَشُوا بِالْبَكَاءِ !
بِمَعْضَ وَقْتٍ فِي زُمْرَةِ السَّعْدَاءِ !

يَا لَهَا صِيحَةً .. تَمَزَّقَ مِنْهَا
كُتِبَ الْيَتَمُ وَالشَّقَاءُ عَلَيْهِمْ
عَجَبًا لِلْحَيَاةِ .. تَقْسُو عَلَيْهِمْ
أَكْثَرُ أَنْ يَنْعَمُوا فِي صِبَاهِمْ
أَكْثَرُ أَنْ يَلْمَسُوا بَعْضَ عَطْفِ
شَهِدِ اللَّهُ .. لَا يَبِينُونَ إِلَّا

قَلْبُ أُمٍّ لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تُجِيبَا !
وَاشْتَرَوْا بِالنَّعِيمِ .. بَوْمًا كَثِيبَا !
وَسَوَاهُمْ يَقْضِي الْحَيَاةَ طُرُوبَا !
بِحَنَانٍ يُضِيءُ تِلْكَ الْقُلُوبَا ؟
أَوْ يُصِيبُوا مِنَ النَّعِيمِ نَصِيبَا ؟
أَوْ شَكَ الْقَلْبُ مِنْهُمْ أَنْ يَذُوبَا !

قَالَ طِفْلٌ يَبْدُو الذِّكَاةَ عَلَيْهِ :
أَهْوَى فِي السُّوقِ مَا يَزَالُ إِلَى الْيَوْمِ
عَلَّهِ أَخْطَأَ الطَّرِيقَ إِلَى السُّو
نَاشِدِيهِ بِأَنْ يَعُودَ .. فَإِنَا

أَيْنَ يَا أُمُّ وَالِدِي ؟ أَيْنَ ؟ قُولِي !
م .. كَمَا قُلْتَ لِي غَدَاةَ الرَّحِيلِ ؟
ق .. فَمَا السُّوقُ هَكَذَا بِالطَّوِيلِ !
قَدْ نَسِينَا حُلَاوَةَ التَّقْبِيلِ

أُم ! يَا أُم ! مَا جَرَى ؟ إِنَّ عَيْنِي
وَعَلَامَ الْعَوِيلُ يَلْدَعُ فِي الْقَدِّ
تُشْكِرُ الْوَجْهَ سَاهِمًا .. فَأَبْسِمِي لِي !
ب .. وَلَسْنَا فِي حَاجَةٍ لِلْعَوِيلِ ؟

عَظَفْتُ وَجْهَهَا .. لِتَحْجُبَ عَنْهُمْ
فَانْبَرَتْ طِفْلَةً تَحِيبُ أَخَاهَا :
أَهْوَ قَدْ مَاتَ ؟ كَيْفَ مَاتَ ؟ فَإِنِّي
هُوَ ضَيْفٌ .. إِنَّ حَلَّ يَبْتَعُ الرِّءْ
هُوَ مَنْ طَاحَ بِالْأَبِ الْبَرِّ عَجَلًا
لَا تُصَدِّقْ مَقَالََةَ السُّوقِ .. لَيْسَتْ
مَنْظَرًا يَصْدَعُ الْقُلُوبَ الصَّغِيرَةَ !
إِنَّهُ مَاتَ .. وَانْطَوَى فِي حَفِيرَةٍ !
أَجْهَلُ الْمَوْتِ : أَصْلَهُ وَمَصِيرَهُ
بَ وَيَسْتَقِي مَنْ شَاءَ كَأْسًا مَرِيرَةً
نَ .. وَلَمْ يُصْنَعْ لِلْدُمُوعِ الْغَزِيرَةَ
قِصَّةَ السُّوقِ غَيْرَ سَلَوَى قَصِيرَةً !

قَدْ عَرَفْتُ الْمَوْتَ الْمَرْوَع .. لَكِنْ
وَاعِدُ قَيْنِي .. أَلَا يَعُودُ قَرِيبًا
لَيْلَةُ الْعِيدِ أَقْبَلَتْ .. وَهُوَ لَمْ يَأْ
أِذَا غَابَ عَنْ غَدٍ . لَيْتَ شَعْرِي !
حَدَّثْتَنِي مَتَى يَعُودُ إِلَيْنَا ؟
ذَلِكَ الْوَالِدُ الْعَزِيزُ عَلَيْنَا ؟
تَ فَيَشْفِي بِمَعْوَدِهِ مَهْجَتَيْنَا !
مَنْ سِوَاهُ يَشْرِي لَنَا لَعْبَتَيْنَا ؟

لَوْ يَعُودُ الْأَلَى مَضُونًا مِنْ قَدِيمٍ
فَاسْتَعْضُ عَنْ أَيْكَ خَالًا .. خَالِي ؟
مَا جَزَعْنَا لِهَالِكٍ .. أَوْ بَكَيْنَا
أَيْنَ خَالِي مِنَ الْوَالِدِ الْيَوْمَ .. أَيُّنَا ؟

وَسَرَى النُّومُ فِي الْجَفُونِ .. فَأَغْفَتُ
 إِنَّ هَذَا الْحَدِيثَ أَيْقَظَ مِنْهَا
 وَتَرَاءَتْ لَهَا خَوَاطِرُهَا السَّوْءَ
 تَبَعْتُ الْأَنَّةَ الطَّوِيلَةَ خَرَسًا
 مَنْظَرُهُ يَبْعَثُ الْخَوَاطِرَ أَشْتَا
 وَكَأَنَّ السَّرَاجَ سَاهَمَ فِي الْحُزِّ
 غَيْرَ أُمَّ أَبِي الْأَسَى أَنْ تَنَامَا !
 كُلَّ غَافٍ .. وَحَرَكَ الْآلَامَا !
 دُ . فَأَمْسَتْ تَرَى الْحَيَاةَ قَتَامَا !
 .. حِذَارًا أَنْ تُوقِظَ الْآيَتَامَا
 تَا .. وَيُذَكِّي فِي الْقَلْبِ نَارًا ضَرَامَا
 نِ . : . فَأَلْقَى إِلَى الْفَنَاءِ الزَّمَامَا !

أَشْرَقَ الْعَيْدُ فِي مِطَارِفِهِ إِلَيَّ
 غَيْرَ أَنَّ الْآيَتَامَ لَمْ يُبْصِرُوهُ
 لَيْسَ عَيْدًا .. هَذَا الَّذِي قَرَّحَ الْأَجْ
 وَمَشَوْا فِي الطَّرِيقِ ! أَيُّ طَرِيقٍ
 فَتَغَوَّرَ ضَوَا حِكِّ . وَتَغَوَّرَ
 هَكَذَا سَنَةُ الْحَيَاةِ .. جُمُوحُ
 ضِ . . يُحْيِي الْأَنَامَ فَرْدًا فَقَرْدًا
 حَقَقًا مِنْهُمْ عَلَيْهِ وَحَقْدًا
 فَإِنَّ مِنْهُمْ وَشِبَّ فِي الْقَلْبِ وَقْدًا
 جَمَعَتْ هَكَذَا .. شَقَاءَ وَسَعْدًا ؟
 أَطْفَالًا يَتِيمًا حُسْنَهَا مُسْتَبَدًّا
 بَلْ جُنُونٌ تَغْزُو بِهِ النَّاسَ عَمْدًا !

حياتي !

أتظنين يا حياتي خواء من حبيب أو صاحب أو رجاء ؟
كل يوم أرجو .. وترجى مثل
كل ما فيك .. أنك الآن قفرت
ويضيع الرجاء طي الهباء !
عاطل من بشاشة الأحياء !

ما غناء الأيام مشتبهات ليس فيها غير الأسى والعناء ؟
ما غناء الأيام إن لم ترزنها حرّة كالصباح .. نغم الضياء ؟
ما غناء الأيام إن لم يكن لي في حماها أخ من الأوفياء ؟
ما غناء الأيام إن لم يُنرّها أملٌ مُشرق .. كوجه ذكاء ؟

أيها الخاطر الملح .. أرخني لا تهجنى وكن بشير عزاء
قدّر الله .. أن تظلّ حياتي عبثاً ضائعاً .. لغير انتهاء !

* ميت غمر : عام ١٩٣٤ .

قلب وصاحبه

أبدًا .. كُلَّمَا تَخَايَلَ حُسْنُ
لِفؤَادِي يَهْبِجُ بَيْنَ الضَّلُوعِ
حَائِرٌ لَا يَقْرَأُ .. كَالْحَدَثِ الشَّارِدِ
تُنْدَى جُفُونُهُ بِالدموعِ
كَلَّمَا رَامَ هَذَاهُ وَسُلُوكًا
عَرَضَ الْحُسْنُ .. فَارْتَضَى بِالْخَضُوعِ
أَيُّهَا الْقَلْبُ .. لَا بَرِئْتُ مِنَ الْحُبِّ
وَلَا ذُقْتُ فِيهِ طَعْمَ الْهَجْوِ !
أَنْتَ أَشْقِيئَتِي وَأُضْوَيْتَ نَفْسِي
أَنْتَ أَسْلَمْتَنِي لَهُمْ وَجِيع !
أَنَا ، لَوْلَاكَ ، لَمْ أَكُنْ دُونَ غَيْرِي
فِي حَيَاةٍ تَسْمُو .. بِكُلِّ وَضِيع !

* مِيت غَمْر : عام ١٩٣٤ .







في الأربعين

نمت يا والدي .. وخلفت جرحاً
كنت بالأمس لا أرى الأرض داراً
وأنا اليوم قد هبطت إلى الأر
أنكر الشعر والأنام جميعاً
ونجت بسمه الرضاء بشغري
وإذا رمت سلوة عنك يوماً
ولقد أقطع النهار .. جزوعاً
ولقد أقطع النهار صموتا
ولقد أرسل الدموع غزاراً
وإذا ما رأيتني . في انفرادي

كل يوم يجد للنفس حزناً !
فتخذت السماء للشعر معنى
ض .. غريباً بها كثيراً معنى !
وأرى الحسن لم يعد بعد حسناً
واستحالت مباحج العيش سجناً
بخل الحزن بالسلاو وضناً !
ضارباً في الهوم سهلاً وحزناً !
لست بالناس أو أمانى أعنى
وأناجيك كلما الليل جئنا !
خلت شخصاً من وقدة الحزن جئنا !

ليلة الأربعين .. هل عاد أم عذ
لم أجد فيك .. غير حزن مقيم
ودبار تعطلت من شعاع

ت بذكراه كي أذوب وأفنى ؟
وعيون من البكاء جرحنا
كان أبهى من الشمس وأسنى !

* القرية : خريف عام ١٩٣١ .

ليتني أستطيعُ دمعاً .. فأبكي
جفَّ دمعى ، وجفَّ شعري جميعاً
كم تمنى الشفاء حيناً .. ولكن
في سبيل الوفاء أن أسهرَ الليـ
وأودُّ العزاء عنك .. ولكن
ليتني أستطيعُ للشعر .. معنى !
وتعوّضتُ عن بشاشةِ الأمل حُزناً
لم تُنله الأقدارُ ما قد تمنى !
ل .. وأبكي عليكَ مهما افترقنا
أين عنك العزاء يا عم .. أيننا ؟

وداع شاعر

« كلما عز على أن أجد في الرجال براءة الأطفال
وابتسامتهم وسريرتهم ذكرك » .

على الشاعر المبكى من كل صاحب
لها الله أنباء جزعت لوقعها
صديق . يريك الود كيف سُموه
فقدناه في دنيا يقل كرامها
يهم بنفسى الحزن من كل جانب
فأجرت عيوني بالدموع السواكب
وكيف جميل الصفح عن كل عائب
ويكثر فيها كل نكس وكاذب !

أيلاتنا والشمل في جانب الحمى
تويتن بعد اليوم في مدرج البلى
فوا أسفا للدهر .. فرق شملنا
فأبدلني بالروض قفرا .. وبالحمى
جميع وفيض الأنس ليس بعازب
وعنى عليك الزمان بحاصب
وروعنا في عيشنا بالنوائب
ديارا .. يظل الأنس فيها مجانب
كأن كثيرا أن أقوم بواجبي !
فجودي على تلك الأمانى الغوارب !
ويفجعني في صاحبي .. حين غربتي
فيا عين هذا موطن الدمع والآسى

• ميت غمر : أبريل ١٩٣٣ ، والشاعر هو الصديق المرحوم « أحمد الموشى » .

أخى . . والإخاء المحضُ كان سجيةً تُحليكَ في عصرٍ كثيرِ الثعالبِ
أأرثيك؟ يا ويحَ الرثاءِ على امرئٍ أُصيبَ بسهمٍ في الحُشاشةِ صائبِ
وأىُّ رثاءٍ كانَ . . أو هو كائنُ يخففُ ما بى من أسى فيك غالبِ؟
وهبنى أطلقتُ اليومَ تصويرَ لوعتى فَمَن لى بتصويرِ الحُجا والمواهبِ؟

لقد عشتَ في الدنيا .. كأنك راهبٌ على حين ما جئتُ سائحُها بالعجائبِ !
وتسعى إلى العيشِ الكفافِ قناعةً وما كنتَ مأخوذاً بزيفِ المطالبِ
وكم رغبةٍ قامتْ لها النفسُ قومةً فنَهَنَّتْهَا عن نيلِ تلكِ الرغائبِ !
وعشتَ رضى النفسِ .. اطفأ ورقةً عزوفاً عن الدنيا حميدَ المناقبِ
ومُتَّ - ولم تُعْتَبْ^(١) - وحيداً بغرفةٍ سوى كتبٍ قامتْ كـ بعضِ النوادبِ !

فيأياها الثاوى . وفي النفسِ ما بها عليك من الحزنِ الممضِ المغالبِ
هنيئاً لك الدارُ التى كم رجوتها بلهفةٍ مشـتاقٍ ونيةٍ راغبِ
هنيئاً لك الأخرى .. فتم واسترخ بها فيا طالما لا قيتَ جمَّ المتاعبِ
وأكبرُ ظنى أننى بك لاحقٌ وشيكاً . . فياشوقى لرقدةِ صاحبي ا

(١) لم يتزوج الشاعر ، وقد حضرته الوفاة وهو وحيد فى غرفته بين كتبه !

فهرس

الصفحة	العنوان	الصفحة	العنوان
٤٤	في الحديقة . . .	ج	الإهداء . . .
٤٦	من على الربوة . . .		المقدمة : بقلم الأستاذ الكبير
٤٩	بين النخيل . . .	هـ	الدكتور طه حسين . . .
٥٠	ذكرى الروض . . .	ى	تصدير . . .
٥٢	اليمامة . . .		نحو النور
٥٤	نشيد الغروب . . .	٣	اليوم المنتظر . . .
	وحي المصيف	١٢	إلى الغرب . . .
٥٩	على الشاطئ . . .	١٣	الغرب والشرق . . .
٦٣	وداع الشاطئ . . .	١٥	الشهيد . . .
٦٥	الملك النائم . . .	١٩	إلى المستعمرين . . .
	من مشرق الحب إلى مغربه	٢٠	مصرع النسرين . . .
٦٩	الريفية الطائشة . . .	٢٣	ملحمة مصر القى بين بين . . .
٧١	إلى هاجر . . .	٢٤	مقدمة . . .
٧٢	رسالة إلى قلبي . . .	٢٥	أبناء الكلاب . . .
٧٥	الرياء في الحب . . .	٣٠	مدرسة الرتب . . .
٧٧	عهد جديد . . .	٣١	إنها الثورة . . . أسمع خطاها
٧٩	مناجاة . . .	٣٤	سوف . . .
٨٠	حين الفراق . إهداء صورة	٣٦	الذل . . .
٨١	الطائر المتقل . . .	٣٧	على لسان الثوار . . .
٨٢	العابثة . . .	٤١	بين الطبيعة
			حديثتنا . . .

الصفحة	العنوان	الصفحة	العنوان
١٤٣	السراب	٨٤	ديار الأحباب . . .
١٤٥	أقبل	٨٥	زورق النور . . .
١٤٦	النسيان	٨٧	التجوى
١٤٧	عاصفة	٨٩	ربة الحسن
١٥٠	ليلة في التخيل . . .	٩٠	الطيب الزائر . . .
١٥٣	سخرية القدر . . .	٩٣	جموح قلب
١٥٦	الخروج	٩٤	دعاء
١٦٠	بقية لم تسمعها . . .	٩٦	في السحر
١٦٣	أغنية الحقل . . .	٩٩	عواطف مكبوحة . . .
١٦٦	حيرة	١٠١	إليها
١٦٨	صرعى الأوهام . . .	١٠٣	اطلعي
١٦٩	يا حبيبي	١٠٤	أين أنت ؟
١٧١	لو كنت لي	١٠٥	البعث
١٧٣	علميني	١٠٧	الشمس الجديدة . . .
١٧٤	الشك	١١١	اللقاء
١٧٥	أحبك	١١٣	في طريق الواحة . . .
١٧٧	ختام المأساة . . .	١١٥	ليلة الزورق
١٧٨	لغة الثغور	١٢١	سحر الحب
١٧٩	مأساة عمرى	١٢٣	معاية أم
	خواطر	١٢٤	نحية مديونة
١٨٣	الطلل البالي . . .	١٢٦	حين الذكرى
١٨٥	غيرة	١٢٧	الغفران
١٨٦	حلم الورد	١٢٩	بسمه أنت
١٨٩	أنا والحياة . . .	١٣٠	في ظلال الهيكل . . .
١٩١	شعري إلى نفسي . . .	١٣٥	وحي لقاء
١٩٣	أنا وقلبي	١٣٩	مناجاة
		١٤١	ميلاد حب

الصفحة	العنوان	الصفحة	العنوان
	ألحان الألم	١٩٥	يوم الخلاص . . .
٢٢١	وقفة في حياة . . .	١٩٧	عزاء . . .
٢٢٥	ما الحياة ؟ . . .	١٩٨	خواطر الشتاء . . .
٢٢٧	السعى الضائع . . .	٢٠٠	عيد اليأس . . .
٢٢٧	ابلمى . . .	٢٠١	هبة شاعر . . .
٢٢٧	مكتئب . . .	٢٠٢	المثلة . . .
٢٢٨	بعد المعركة . . .	٢٠٤	تمنى القدر . . .
٢٣١	مقى ؟ . . .	٢٠٥	الشر والخير . . .
٢٣٢	الشاعر الصامت . . .	٢٠٦	اليتيم . . .
٢٣٧	الصمت . . .	٢٠٧	هيجة نفس . . .
٢٣٨	قلق . . .	٢٠٩	على شاطئ النيل . . .
٢٣٩	غرفة الأحزان . . .	٢٠٩	نادى المتعبين . . .
٢٤٤	حياتي . . .	٢١٠	تأملات . . .
٢٤٥	قلب وصاحبه . . .	٢١٢	صوت اليقظة . . .
	رثاء	٢١٤	وحى مج بن . . .
٢٤٩	في الأربعين . . .	٢١٦	السعادة الضائعة . . .
٢٥١	وداع شاعر . . .	٢١٧	على لسان مريض . . .
		٢١٨	أمس واليوم . . .

تصويب

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٤	٩	تُلَح	تُلِح
١٠	٣	صِلَاتِي	صَلَاتِي
١١	٤	الرماه	الرماء
٢٢	٣	لا تحابي	لا تحاب
٣٥	٦	وعاية	ورعاية
٧٣	١	تماؤاد	تماذوا
٧٧	٨	أنى	أنى
٧٨	٩	ثُغْرُكُ	ثَغْرُكُ
٩٠	٧	يُهْدَى	يَهْدَى
٩٠	٨	يملا ، يقدرنى	يملا ، يقدرنى
١٠٠	٥	غَوَيْتُ	غَوَيْتُ
١٣٠	٨	جَمَّ	جَمَّ
١٣٥	١٠	رقيق	رقيق
١٤٢	١٣	شجرة	شجر
١٥١	٦	وجِم	وجِم
١٦٨	٢	ن	آن
١٦٩	٩	وللّهر	وللذهر
١٧٥	١١	قاسية	ناسية
١٩٥	١٦	مهاجة	مهاجا
٢٠٢	٩	كل	كل
٢١٠	٤	الفن	الفن
١٢٤	٨	القيصد	القصيد

Bibliotheca Alexandrina



0355790

دار مصر للطباعة